موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

صلة الرّحم

الدكتور محمد راتب النابلسي

www.nabulsi.com info@nabulsi.com

مقدمة عن الكتاب

الإنسان لا يعيش في فراغ، إنما يعيش مع مجموعة كبيرة من الناس، هذا التعاون سيحدث بينهم اشتباكات على حسب اختلاف طبائع الإنسانهذا الاختلاف سيؤدي إلى التشابك بين هؤلاء الناس، ولا يستطيع الإنسان أن يحصل على كل شيء، فهو بحاجة لمجتمع يعيش فيه، هذا المجتمع بحاجة للترابط، لا بد من وجود ضابط، أو حكم يحكم بينهم، وهذا الحكم هو الضابط الخلقي بين هؤلاء الناس، فصلة الرحم من العادات الاجتماعية التي أمر بها الإسلام والقرآن:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾

[سورة النساء: ١]

و يتألف الكتاب من 238 صفحة و يتكون من المحاضرات التي ألقاها فضيلة الدكتور في فترات زمنية مختلفة عن صلة الرحم ، و يتضمن ما يـلي:

يبدأ الكتاب بفصل تمهيدي عن التعاون الاجتماعي في الإسلام ثم ينتقل الكتاب لتعريف المفاهيم العامة لصلة الرحم و في الفصل الثالث يقوم الكتاب بتحديد من هم الأرحام ، ثم يتناول الكتاب العلاقة بين العبادات و صلة الرحم ، أما الفصل الخامس فيحتوي على المحاضرات التي تتحدث عن صلة الرحم في المناسبات و الأعياد ، و في الخاتمة يتحدث الكتاب عن سعادة الإنسان بصلة الرحم .

الفريق الفني

لموسوعة النابلسي للعلوم الاسلامية

في 2018/01/08

الفصل الاول : تمهيد

الدرس (1-2) : مقدمة عامة

الدرس (2-2) : التعاون الاجتماعي في الإسلام

الدرس (1-2) : مقدمة عامة

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة, مثل تركيبي مركب: لو أن الإنسان أُرسل إلى بلد غربي لينال الدكتوراه, وقد وعد إذا رجع, أن يكون في أعلى منصب, وأن يعطى أجمل بيت, وأن يقترن بأجمل امرأة, وهو فقير, فالوعود مغرية, والوعود تقترب من المستحيل أو الخيال, هذا ذهب لبلد غربي؛ فرنسا, انكلترا, أمريكا, بمدينة, كم خيار أمامه؟ أمامه آلاف الخيارات, في خيار واحد مُسعِد له, هو أن يدرس الدكتوراه, أما في مسارح, في ملاه, في نوادي ليلية, في حدائق, في مكتبات, في تجول بالأسواق, في استلقاء في الفراش, في قراءة قصص, أمامه آلاف الخيارات, أما كل هذه الخيارات طرق مسدودة, ويبقى فقيراً, ويبقى صغيراً, ويبقى مغموراً, أما إذا قرأ فقط, ودرس, ونال الشهادة, حقق أحلامه كلها, فهو في هذا البلد, في شيء واحد يُسعده, والأشياء الباقية كلها لا تسعده, بل تشقيه, بل تجعله يندم أشد الندم.

الآن: نحن في الدنيا, كم خيار أمامنا؟ هذه المدينة أمامكم؛ ممكن أن تعمل سهرة, ممكن أن تعمل سياحة, ممكن أن تعمل بيتاً فخماً, ممكن أن تنغمس إلى قمة الرأس في الملذات, ممكن أن تسعى إلى مركز عال جداً, وممكن أن تعرف الله, معرفة الله وحدها: الطريق السالك إلى الجنة, والطرق كلها مغلقة, لكن متى تشعر أنها مغلقة؟ عند الموت, عند الموت, الإنسان يرى مكانه في النار, فيقول: لم أر خيراً قط, يكون واصلاً إلى أعلى مرتبة في الدنيا, ومستمتعاً أعلى استمتاع, يقول: لم أر خيراً قط .

فأنا الذي أتمناه: كيف أن هذا الطالب الفقير, المغمور, التعيس, موعود بأعلى منصب, بأجمل بيت, بأجمل مركبة, بأجمل زوجة, إذا نال الدكتوراه؟ فصار عنده هاجس, أن كل شيء يقربه من الدكتوراه يفعله . مثلاً: هو لغته ضعيفة, لقي صديقاً لغته قوية, فجلس معه, يستفيد من لغته, هذه لها علاقة بالدكتوراه, اشترى كتاباً من اختصاصه, قرأه, دخل لمكتبة ليبحث عن مراجع اختصاصه أيضاً, عنده حوالي مئة خيار, لكن كلها تؤدي لهدفه.

هكذا المؤمن, بعد أن يعرف الله عز وجل, لا يوجد غير هدف واحد, أن يعمل عملاً صالحاً, يكون سبباً لدخول الجنة, فحجمك عند الله بحجم عملك الصالح, والأعمال الصالحة لا تعد ولا تحصى, الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق.

الشيء العجيب في الإسلام: أن العادات.... الآن: خمسة آلاف مليون إنسان؛ يستيقظون صباحاً, يذهبون إلى أعمالهم, يعملون ثماني ساعات, يرجعون إلى بيوتهم, يتناولون طعام الغداء, ينامون بعد الظهر, إذا كان في مجال, يستيقظون مساء, عندهم سهرة, لقاء, زيارة, يرجعون, ينامون, يستيقظون صباحاً, هذا العمل اليومي الممل عند المؤمن ينقلب إلى عبادة, العادات تصبح بعد معرفة الله: عبادات, والعبادات الصرفة: إذا لا يوجد معها إيمان بالله, تصبح آثاماً طبعاً؛ الصلاة في معها نفاق, الصيام في معه نفاق, رياء, فالعبادات المحضة تصبح آثاماً, والعادات المحضة تنقلب إلى عبادات بالنوايا الطيبة, فهذه مقدمة.

المؤمن عنده هدف واحد, ممكن يسهر للساعة الواحدة, ممكن يبذل ماله كله, ممكن يتعب تعباً شديداً, لكن كل هذه النشاطات, تصب في خانة واحدة, تصب في حقل واحد, القرب من الله, يوجد في الكون حقيقة واحدة, القرب من هذه الحقيقة: هو السعادة, البعد عنها.....

مرة شيخ سأل تلاميذه قال له: يا بني! لماذا تغض بصرك عن النساء؟ ففي تلميذ جوابه غير صحيح, قال: أنا سيدي, لا أحب أن أنظر, أكره, أرى أن الفتاة شيء يدعو للتقزز, قال له: لا, الكلام غير صحيح, هذا خلاف الفطرة, الله عز وجل قال:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾

[سورة آل عمران الآية:14]

المرأة محببة, أي امرأة محببة, فالنظر إليها, ليس يدعو للتقزز إطلاقاً, سأل ثانياً, سأل ثالثاً, فجاءه الجواب: أنا كنت حاضراً, أعجبني هذا الجواب, قال: أنا لي صلة بالله, فإذا نظرت إلى امرأة لا تحل لي, انقطعت هذه الصلة, فحرصي على دوام هذه الصلة, يحملني على غض البصر, حرصي على دوام هذه الصلة.....غض البصر أيضاً, الإنسان إذا ذاق طعم القرب.....

في طريقة بالتربية: أن هذا الطالب, عليك أن تدفعه إلى عمل عظيم, نحن طبقناه, فينبغي أن تريه شيئاً من المتعة البريئة, تأخذه إلى مكان جميل, يسبح, يأكل, يسعد, لكي تذوقه هذا, بقي أن تجعلها بعد ذلك للمتفوق, إذا لم يذقها, لا يسعى إليها, يجب أن يذوق المتعة, هذه بعد ذلك, تجعلها لمن يتفوق على أقرانه؛ بحفظ القرآن, بأداء الواجبات الدينية مثلاً .

فأول شيء: الله عز وجل يذوق المؤمن طعم القرب, شيء لا يوصف؛ طمأنينة, سعادة, قرب من الله, شعور بالرضا, بالأمن, بعد ذلك يحببه الله عز وجل, كلما ارتكب خطأ يحببه, أذاقه أولاً حتى علقه, بعد أن علقه, الآن يؤدبه.

هذه كلمة تقديم: إن الإنسان في الدنيا, خلق من أجل أن يعمل العمل الصالح, والعمل الصالح: هو الذي يرفعه عند الله عز وجل, وحجمك عند الله بحجم عملك الصالح, والإنسان حينما يموت: لا يمكن أحد أن يتكلم عن متاعه الدنيوي, يتكلمون عن أعماله الصالحة.

مرة توفي شخص, حضرت الجنازة, صلوا على الجنازة, كان أستاذه يحضر الجنازة, أحب أن يتكلم عنه, قال: أخواننا الكرام, أخوكم كان مؤذناً, ترحموا عليه, فهو عنده معامل, وعنده نشاطات في الدنيا واسعة جداً, يتحدث عنه عشر ساعات, لكن كله في الدنيا, أما في الآخرة؛ ما في غير مؤذن, فأنا انصدمت؛ أن الإنسان يعمل عملاً, يتحدثون عنه فقط دقيقة,

ستين ثانية, خمس ثوان, انتهت العملية كلها.

فعند الموت: لا يوجد مساحة بيته, عند الموت: لا يوجد نوع مركبته, لا يوجد عند الموت: أين كان يقضي الصيف؟ هذا كله لا قيمة له عند الموت, أما عند الموت: ماذا ترك من أثر طيب؟ هل ترك علماً ينتفع به؟ هل ترك ولداً صالحاً يدعو له؟ هل ترك صدقة جارية؟.

الإنسان ما دام لا يوجد عنده مشكلة بصحته, قضية الموت قضية تخيلية, لكن ليس قضية واقعية, أما لما يشارف على مغادرة الدنيا, يمكن أن يضطرب اضطراباً, ليس بعده اضطراب, الإنسان لما يشعر أنه سوف يخرج بلا رجعة, والمرض قد يكون هو الذي ينهي حياته, يعد للمليون قبل أن يقترف معصية .

ما مفهوم صلة الأرحام كما وردت في الأحاديث :

1-أن تدعو أقرباءك إلى الله :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر: فليكرم ضيفه, ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر: فليصل رحمه))

[ورد في الأثر]

وصل الرحم مقترن مع الإيمان بالله, واليوم الآخر, أنا ذكرت سابقاً, صلة الرحم يفهمها الناس فهماً مضحكاً, مفرغاً من مضمونه؛ يزور أخته, أخته تسرع في ضيافته, تقدم له الفواكه, القهوة, الشاي, لأنه زارها, ما الذي جاءها من الزيارة؟.

صلة الرحم: تفقد الأهل, صلة الرحم: معاونة الأهل, صلة الرحم: الأخذ بيدهم إلى الله, هذه الصلة, يكون في ذهنك شيء, أنا سوف أزور أختي, أريد أن أزور بناتها, أولادها, لعلهم يحتاجون إلى شيء مثلاً, لعلهم يحتاجون لنصيحة, لتوجيه معاونة.

فلما أنت تأخذ بيد أهلك إلى الله ورسوله, تكون قد وصلت رحمك, تبدأ بالزيارة, تسير في طريق التفقد؛ تفقد أحوالهم المعيشية, والاجتماعية, والدينية, تنتهي بإيصالهم إلى الله عز وجل, هذه صلة الرحم, وكل إنسان يفهمها فهماً آخر , يكون فهماً غير صحيح.

ممكن إنسان يكون مصدر سعادة لمن حوله من أقربائه؛ له أخوات, له بنات أخوات, فإذا زار بنات أخواته, واهتم بهن, ووجههن, ونصحهن, وهن احتفلن به, أصبحت الزيارة طريق إلى الله عز وجل.

صلة الرحم التي يعوِّل عليها الإسلام, أنه ربطها بالإيمان .

2- صلة الرحم تزيد في رزق الواصل :

الشيء الثاني: في شخص كبير العائلة, دائماً عميد العائلة, ملاذ العائلة كلها؛ شاب يريد أن يتزوج, يطرق بابه مثلاً, امرأة مطلقة, تطلب منه أن يساعدها مثلاً, عنده مشكلة, إنسان مريض بأسرته, هو يدفع عنه العملية, فهذا هو كبير العائلة, والذي له هيمنة على العائلة كلها؛ هيمنة عطف, وهيمنة رحمة, وهيمنة إحسان, ينبغي أن يمده الله عز وجل برزقة إضافية, ليلبي الطلبات.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((مَن سَرّه أن يَبْسُط الله له في رزقه، وأن يَنْسَأ له في أَثَره: فلْيَصِلْ رحمه))

[أخرجه البخاري والترمذي عن أبي هريرة]

الحديث الثاني: الصلة؛ زيارة, تفقد, دعوة إلى الله, الآن: الصلة رزق وفير , وهذا شيء ثابت .

كل إنسان يخرج من دائرة أسرته إلى دائرة أقربائه؛ أعمامه, أولاد أعمامه, أخواله, أولاد أخواله, عماته, أولاد عماته, يخرج من دائرة ذاته لدائرة أقربائه؛ خدمة, ورعاية, واهتماماً, ومعاونة, هذا ينبغي أن يعطيه الله عز وجل حسب وعده رزقة ميسرة, لكي يقدم هدايا بالمناسبات, لكي يستطيع أن يلبي, هذه لا يوجد عندها وقود أول الشتاء, هذه لا يوجد عندها ألبسة لأولادها للمدارس, وهذه لا يوجد عندها ..... أخواته جميعاً.

فلما الإنسان يتصدى لصلة رحمه, فالله عز وجل يزيد في رزقه, يقول له: أنت ستخدم أهلك, لكن على حسابي, ليس على حسابك, يعطيه رزقة إضافية استثنائية, وهذا شيء ملاحظ .....

أعرف أناساً دخلهم كبير جداً؛ لأنه لا يوجد مشكلة كبيرة, إلا ويضعون لها حلاً, ملاذ الأسرة كلها, هذا دور كبير جداً, يكون شخص .....

إذا أحب الله عبداً, جعل حوائج الناس إليه.

لما تكون الحوائج إليك: صار عندك سلطة روحية عليهم.

أنا لا أنسى هذه القصة, مع أنني قلتها لكم كثيراً: أحد أخواننا وصل رحمه, كان عند أخته, وجد في مشكلة بالبيت: على ثلاثمئة ليرة في الشهر, أحب أن يحل المشكلة, قال: أنا أدفع المبلغ, خذي مني كل شهر, فصار يدفع كل شهر ثلاثمئة ليرة, بعد ستة أشهر طلبت أخته منه, أن يعمل درساً لبناتها, جاء البنات, وبنات الأخوات, صار في درس أسبوعي لبنات أخواته, كلهن صبايا, فهو ليس له علاقة بالتدريس إطلاقاً, هو مهندس, قال لي: والله صرت أحضر نفسي, سمعت آية, أتابع تفسيرها, ركز حاله؛ بآية, حديث, قصة, يجمعهن لمدة ساعة, كل جمعة لمدة ساعة.

أول شيء: معظمهن ارتدين الحجاب, بعد ذلك: تزوج بعضهن من أزواج مؤمنين أطهار, بدت منه بثلاثمئة, انتهت بالدعوة إلى الله, بدت بعدة أسر, تقيم أمر الله في البيت, شغلة كبيرة, هذه صلة الرحم.

كل إنسان عبد الإحسان, أما هذه, كيف حالك يا أختي؟ فقط كلمة, لا يخرج منك شيء أبداً, ما هذه الصلة؟ أما صلة الرحم: معاونة, تفقد.

لك أخت غنية جداً, ليست بحاجتك, إذاً: دعوة إلى الله, إذا لم تكن بحاجتك: دعوة إلى الله؛ إما معاونة, وإما دعوة, أما فقط سؤال, وزيارة, ضيافة, وحديث بالدنيا, ليست هذه صلة الرحم.

قال:

((إن أعرابياً عَرَض للنبيّ صلى الله عليه وسلم, وهو في سفر، فأخذ بخِطام ناقتِهِ –أو بزمامِها–, ثم قال: يا رسولَ الله! –أو يا محمد– أخبرني بما يُقَرِّبني من الجنة، ويُباعدُني من النار، قال: فكفَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، ثم نظر في أصحابه، ثم قال: لقد وُفِّقَ –أو لقد هُدِيَ– قال: كيف قلتَ؟ قال: فأعاد، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: تعبدُ الله لا تُشْرك به شيئاً، وتقيمُ الصلاةَ، وتُؤتي الزكاةَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ))

[أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه:

((إن اللهَ خَلَقَ الخلق، حتى إذا فَرَغَ منهم, قامَتِ الرَّحِمُ، فأخذت بحَقْوِ الرحمن، فقال: مَهْ؟ قالت: هذا مقامُ العائذِ بكَ من القطيعة، قال: نعم، أَمَا تَرضينَ أن أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وأقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قالت: بلى، قال: فذلك لكِ))

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

3– من هو الواصل ؟

قال عليه الصلاة والسلام:

((ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكن الواصلُ: مَنْ إذا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

الآن: في بروتوكول بين الناس, بالتعبير الجديد: أخي عنده زيارة, يزورني أزوره, أعطاني هدية أهديه, زارني أزوره, زار أولادي في العيد, أزور أولاده في العيد, عمل لي عزيمة, أعمل له عزيمة.

قال: ليس هذا الواصل, الواصل: من إذا قطعت رحمه وصلها, لقول النبي الكريم:

((أَمَرَنِي رَبِّي بِتِسْعٍ: خَشْيَةِ الله في السِّرِّ والعلانية، وكلمة العدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وأن أَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي، وأعطي مَنْ حَرَمَنِي، وأعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي، وأن يكون صَمْتي فِكْرا، ونُطْقِي ذِكْرا، ونظري عبرة))

[ورد في الأثر]

حديث آخر: أن رجلاً قال:

((يا رسولَ الله! إن لي قرابة، أصلِهُم ويقطعونني، وأُحْسِن إِليهم ويُسيئُون إِليَّ، وأحلُم عنهم, ويجهلون عليَّ؟ قال: لئن كنتَ كما قلتَ, فكأنما تُسِفُّهُم الملَّ –الملّ: الصفوة الساخنة الحارة– ولن يزال معك من الله ظهير عليهم, ما دُمتَ على ذلك))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

في أهل أقوياء جداً؛ كلما أحسنت يسيئون, تتقرب يقطعون, تقدم لهم هدية يرفضوها, إساءة واضحة جداً, فأنت أد الذي عليك, واطلب من الله الذي لك.

4- مصير قاطع الرحم :

آخر حديث:

((لا يَدْخُلُ الجنةَ قاطِع))

[أخرجه البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم]

قاطع الرحم: الجنة محرمة عليه .

هذه هي أهم أربعة معان في الموضوع .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-2) : التعاون الاجتماعي في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع:

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، انقضى جزء من هذا الشهر الكريم،

صمنا، وصلينا، وقمنا الليل ذكراً ودعاءً رغبة ورجاء، سمونا بأخلاقنا وأعمالنا، وابتعدنا عن كل ما يغضب ربنا، ولكن ماذا تفيدنا هذه الطاعات إن لم تحملنا على فعل الخير؟ وإذا لم تجعلنا نشعر بالآخرين ونقدم لهم العون والمحبة؟ إن حبّ الله يجب أن ينعكس في نفوسنا حباً لخلقه، وتعاوناً معهم، فالخلق كلهم عيال الله، وأحبّ الخلق إلى الله أنفعهم لعياله، وقد قال تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

[سورة المائدة : 2]

التعاون بما فيه مصلحة الإنسان فرداً وجماعة، وما فيه خير البشرية جمعاء، شجرة التعاون تبدأ صغيرة في محيط الأسرة والقرابة، وتنتهي بالناس أجمعين.

أيها المشاهدون الكرام؛ يسعدني أن أرحب بضيفي في هذه الندوة فضيلة الدكتور الشيخ محمد راتب النابلسي، الأستاذ المحاضر في كلية التربية بجامعة دمشق، أستاذ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في كليات الشريعة وأصول الدين، وفضيلة الشيخ عبد الغني الكاري المدرس الديني وخطيب مسجد عمر بن الخطاب في اللاذقية، أهلاً وسهلاً بالأساتذة الكرام.

في هذه الندوة أتوجه بالشكر لحضوركما، وآمل من فضيلة الدكتور راتب أن يبين لنا الجانب الاجتماعي تحديداً في الإنسان ما هو أصله الخلقي؟

الأصل الخلقي للإنسان :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

الحقيقة أن الإنسان كائن متميز، هو في القرآن الكريم الأول رتبة، لأن الله

عز وجل يقول:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ﴾

[سورة الأحزاب:72]

هو له جانب عقلي، وجانب نفسي، وجانب جسمي، والعقل غذاؤه العلم، والقلب غذاؤه الحب، والجسم غذاؤه الطعام والشراب، وأودع الله فيه دوافع، من أبرز هذه الدوافع الدافع للطعام والشراب لبقاء الفرد، ثم الدافع إلى الجنس لبقاء النوع، ثم الدافع إلى الذكر لبقاء الذكر، يسميه علماء النفس: تأكيد الذات، هذه الدوافع الثلاثة يتحرك من خلالها، لكن هذه الدوافع حيادية يمكن أن توظف في الخير، كما يمكن أن توظف في الشر، ولكن شاءت حكمة الله أن يجتمع الإنسان مع أخيه شاء أم أبى، ذلك لأن الإنسان يحتاج لمليون شيء، ولا يمكن أن تستمر حياته إلا ضمن الجماعة، ففي أصل تكوينه وبرمجته يجب أن يعيش مع أخيه الإنسان.

أنت مثلاً تتقن اختصاصاً معيناً لكنك بحاجة لطبيب، ولمهندس يبني لك البيت، ولنجار، ولمعلم، ولمن يبيعك الخبز والطعام والشراب، ولمن يصنع لك السيارة، أنت فوق كل شيء تعمل في التلفزيون، لكنك بحاجة لمليون حاجة، فلأنك تتقن شيئاً واحداً، وبحاجة لمليون شيء فلا بد من أن تعيش مع أخيك الإنسان، هذا في الأصل، بل إن الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة يشير إلى ملمح واحد:

﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾

[سورة المطففين: 26]

أنت مع أخيك الإنسان تسابقه لجنة عرضها السموات والأرض.

الشيء الثاني؛ أن الله كان من الممكن أن يخلق المواد للاستهلاك مباشرة، لكن خلقها بطريقة تحتاج لجهد بشري، فلا بد من أن تزرع البذرة لتنمو طعاماً لك، لا بد أن تحفر البئر، أو تبني البيت، لا بد من صنع الملابس، فلأن الله أراد أن نكون مع بعضنا بعضاً الله عز وجل فوق ذلك أرادنا أن نعمل، فالعمل قدرنا شئنا أم أبينا، وهذه الحياة أساسها العمل.

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ ﴾

[سورة الإنشقاق:6]

الآن من خلال اجتماعنا مع بني جنسنا، ومن خلال العمل الذي نحن مضطرون إليه يمتحن الإنسان، فأنا مع أخي الإنسان إما أن أصدق، وإما أن أكذب، إما أن أخلص، وإما أن أخون، إما أن أنفق، وإما أن أشحذ، إما أن أكون رفيقاً به، أو قاسياً عليه.

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾

[سورة الملك: 2]

فلقاء البشر مع بعضهم بعضاً الحتمي الذي أراده الله عز وجل، ثم إن العمل الذي لابد منه كي تستمر حياتنا مناسبتان كبيرتان لكشف حقيقة الإنسان، الدنيا دار ابتلاء والآخرة دار جزاء، الدنيا دار تكليف والآخرة دار تشريف، الدنيا دار عمل والآخرة دار حساب، فنحن ممتحنون في الدنيا، ومادة امتحاننا ما منحنا إياه، أو ما زوي عنا، في الدعاء الشريف: " اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله عوناً لي فيما تحب، وما زويت عني ما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب."

مواد الامتحان ما منحني الله إياه، وما حرمني منه، لكن هناك من يقول قولاً رائعاً: إن المجموع ثابت، لو أعطيت لكل حظ من حظوظ الدنيا علامة، وجمعت علامات أي إنسان.

مثلاً صاحب الدخل المحدود لا يعاني من هموم تسحق أصحاب الدخل الغير محدود في بعض الأزمات العامة، وصاحب الدخل الغير محدود يقاضي أصحاب الدخل المحدود بهموم تسحق الجبال أحياناً، فكأن المجموع ثابت، الزوجة لها علامة، الابن له

علامة، صحته، ففي النهاية المجموع ثابت، والإنسان في دار ابتلاء، ينبغي أن يقوم بواجب إيمانه في طاعة الله، والمؤمن الصادق يطيع الله في السراء والضراء، والغنى والفقر، والفرحة والمرض، وفي إقبال الدنيا وإدبارها.

المذيع:

بهذا المفهوم موضع التواصل الاجتماعي هو أمر خلقي من إرادة الله سبحانه وتعالى لهذه البشرية لكي تكون متواصلة مع بعضها البعض، ومن هنا لا بد أن في الإسلام توجيهات لربط هذه العلاقات الاجتماعية، فأتوجه للشيخ عبد الغني ليبين لنا أبرز هذه التوجيهات الإسلامية بالتواصل الاجتماعي.

الإنسان اجتماعي بطبعه :

الأستاذ عبد الغني:

بسم الله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

وبعد... انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

[سورة الحج: 77]

ومن قوله تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

[سورة المائدة: 2]

ومن قول بعض الفلاسفة أو علماء التربية: الإنسان اجتماعي بطبعه، وكما قال بعض الشعراء:

الناس للناس من بدو ومن حضر بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

***

الإنسان لا يعيش في فراغ، ولا في غابة بعيداً عن الناس، إنما يعيش مع مجموعة كبيرة من الناس، هذا التعاون سيحدث بينهم اشتباكات على حسب اختلاف طبائع الإنسان، واختلاف حاجاتهم، هذا الاختلاف سيؤدي إلى التشابك بين هؤلاء الناس، فهذا يريد هذا، وهذا يريد ذاك، ولا يستطيع الإنسان – كما تكلم فضيلة الدكتور بارك الله فيه– أن يحصل على كل شيء، لا يستطيع لا بد له من الآخرين، كما ذكرنا بعضاً لبعض خدم وإن لم يشعروا، فهو بحاجة لمجتمع يعيش فيه، هذا المجتمع بحاجة للترابط، اختلاف وجهات النظر

والطبائع قد تحدث مشاكل أو اشتباكات فيما بينهم، لا بد من وجود ضابط، أو حكم يحكم بينهم، وهذا الحكم هو الضابط الخلقي بين هؤلاء الناس، والإسلام أشار إلى هذه النقطة في كثير من الآيات والأحاديث، فمثلاً التواصل الاجتماعي الذي يقوده الإسلام حدده في بعض الأمور مثلاً تواصل بين الأرحام، وقد بيّن الله ذلك في كتابه، وبيّن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في سنته وأحاديثه الشريفة، هذا التواصل ذكر في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَاكِ لَكِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا))

[مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

فصلة الرحم من العادات الاجتماعية التي أمر بها الإسلام والقرآن:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾

[سورة النساء: 1]

فشجع على صلة الرحم.....

المذيع:

النبي عليه الصلاة والسلام جعل من أسباب صلة الرحم زيادة العمر والرزق.

الأستاذ عبد الغني:

كما ورد في الحديث الشريف:

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِي اللَّهم عَنْهم]

هذا الحديث متفق عليه، وهذه الصلة تؤدي إلى تفاهم البعض مع البعض، الناس مع الآخرين، يعرفون مشاكلهم وما يدور حولهم، يساعدونهم، ويمدون لهم يد العون والمساعدة في كل شيء، هذا ليس فقط من صلة الرحم، وإنما هذا المقصود به أيضاً في كتاب الله التعاون مع الجيران.

((عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ))

[البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهَا]

((عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ))

[مسلم عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ]

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ))

[الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]

كل هذا أحاديث ونصوص تكلم بها النبي عليه الصلاة والسلام من أجل أن يعيش هذا المجتمع كما أراد الله له مجتمعاً متفاهماً ومتعاوناً، عرف كلاً منهم حده فوقف عنده، وهذا التواصل الاجتماعي يحدث كثيراً في رمضان، ولو عدنا للوراء قليلاً لرأينا أن رمضان من خمسين عاماً مضت إلى الآن نرى أن الحركة الاجتماعية في المجتمع المسلم الأغنياء يقبلون على الفقراء، ويدعونهم للولائم، الفقير لا يشعر بالجوع في رمضان بسبب هذا الإكرام من الغني، هناك تواصل بين الغني والفقير، وتعاون بين القوي والضعيف، والفقير يحب الغني لأنه يحسن إليه، والغني يحب الفقير لأنه يؤدي به إلى ثواب الله عز وجل في رمضان حينما يدعوه لهذه الولائم.

المذيع:

نحن نستطيع أن نقول: إن رمضان يجدد هذه العلاقة الاجتماعية التي جاءت بهذه النصوص القرآنية، والتوجيهات النبوية، لكن فضيلة الدكتور راتب في حديثه ذكر أن هذه العلاقة بين الناس هي نوع من الابتلاء، أرجو أن توضحوا كيف سيكون هذا التواصل ابتلاء من الإنسان لأخيه الإنسان؟

تسخير البشر بعضهم لبعض :

الدكتور راتب :

لا بد من توضيح حقيقة أن الله سبحانه وتعالى سخر بعضنا لبعض، وفضل بعضنا على بعض، يتوهم قارئ القرآن الغير متعمق أن الله عز وجل جعل إنساناً فاضلاً وإنساناً مفضولاً، لا، فضل بعضنا على بعض بمعنى أنك في موقف أنت فاضل، وفي موقف آخر في اليوم نفسه أنت مفضول.

قد يأتي إنسان لطبيب يشكو ألماً في جسمه، فهذا الطبيب فاضل أمام هذا المريض، الطبيب نفسه في أثناء النهار يستمع لصوت المحرك في مركبته لا يرضيه، يتجه لمن يعمل في إصلاح المركبات، الطبيب المتفوق يقف مفضولاً أمام هذا الذي يتقن تصليح السيارة، فنحن في كل ساعة نكون في موقع، تارة في موقع العطاء وتارة في موقع الأخذ، ونحن مسخرون لبعضنا بعضاً، هذه حقيقة.

التناقض بين الطبع والتكليف ثمن الجنة :

الحقيقة الثانية أن الله سبحانه وتعالى أعطانا طبعاً معيناً ومعنا تكليف، فالطبع يميل إلى النوع، والطبع مرتبط بالجسم، والتكليف أن تستيقظ لصلاة الفجر، الطبع يقتضي أن تملأ عينيك من محاسن النساء، والتكليف أن تغض البصر، الطبع يقتضي أن تأخذ المال، والتكليف أن تنفقه، الطبع يقتضي أن تغوص في فضائح الناس، والتكليف يأمرك أن تصبر، الآن من هذا التناقض بين الطبع والتكليف يكون ثمن الجنة.

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾

[سورة النازعات: 40-41]

الآن جعلت هذا تمهيداً لحقيقة طيبة في هذا اللقاء الطيب، الطبع أن تعيش وحدك، وتأكل، وتستعلي على الناس، الطبع فردي، والتكليف جماعي، فأنت تتعاون مع إخوانك المؤمنين مع بني البشر أجمعين، تقدم لهم، تبني حياتك على العطاء بقدر طاعتك لله، وتؤكد ذاتك، وتبني مجدك على أنقاض الناس، وتبني حياتك على موتهم، وغناك على فقرهم، وأمنك على خوفهم، وعزتك على ذلهم، إذا كنت متفلتاً من منهج الله، وفي هذا اللقاء الطيب الأصل في هذا الموضوع قوله تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

[سورة المائدة: 2]

قال علماء التفسير: البر صلاح الدنيا، والتقوى صلاح الآخرة، أن نتعاون لصلاح الدنيا ولصلاح الآخرة، فنحن حينما نأتمر بأمر لله عز وجل يكون هذا الاجتماع، أنا أجتمع مع أخي أصدقه أو أكذبه.

((عَنْ سُفْيَانَ بْنِ أَسِيدٍ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ))

[أبو داود عَنْ سُفْيَانَ بْنِ أَسِيدٍ الْحَضْرَمِيِّ]

فحينما أصدق نجحت في الامتحان، وحينما أكذب سقطت في الامتحان، حينما أخلص أو أخون، أنفق أو أشحد، الذي يدفع الإنسان خلقه العظيم الكريم، والذي خلقه في أسفل السافلين سيحول هذا بينه و بين الأعمال الحسنة، والإمام ابن القيم يقول: الإيمان هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان.

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ بَعْضِ حُجَرِهِ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِحَلْقَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ وَالْأُخْرَى يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلٌّ عَلَى خَيْرٍ هَؤُلَاءِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ، وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَهَؤُلَاءِ يَتَعَلَّمُونَ وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا فَجَلَسَ مَعَهُمْ))

[ابن ماجة عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ))

[أحمد عَنْ أبي هريرة]

وهذا الإسلام العظيم الذي انتشر في الآفاق بسبب أخلاق الصحابة الكرام، والله الذي لا إله إلا هو لو فهم الصحابة الكرام الإسلام كما يفهمه عامة المسلمون اليوم ما خرج من مكة.

أخلاق المسلمين تشدّ الناس للإسلام :

ما الذي يشد الناس للإسلام؟ أخلاق المسلمين، إنفاقهم، صدقهم، أمانتهم، عفتهم، ما الذي ينفر الناس من المسلمين؟ انحرافهم، حينما تشبث أصحاب النبي الكريم بالخلق القويم دخل الناس في دين الله أفواجاً، وحينما يرى الناس مسلماً يقصر، يكذب، يحتال، يقصر في واجباته، يخرج الناس من دين الله أفواجاً، الذي يشد الناس للإسلام أخلاق المسلمين، ونحن حينما نلتقي مع بعضنا بعضا تظهر الأخلاق الحميدة والخبيثة، فنحن مبتلون باجتماعنا، ومحاسبون على حركتنا، والله سبحانه وتعالى في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ولكن الشيء الذي يلفت النظر أن النبي عليه الصلاة والسلام لو جمعت أحاديثه الاجتماعية بأكملها ووضعتها في بابين لوجدت العجب العجاب، ما من شيء يقرب الإنسان من أخيه الإنسان إلا أمانته، وما من شيء يبعد الإنسان عن أخيه الإنسان إلا نهى عنه، نهى عن الغيبة، والنميمة، والتقليد، والمحاكاة، والاستهزاء، والسخرية، والتباغض، وأمر بإلقاء السلام، وبتلبية الدعوة، وبالصلة، حتى لو دعي إلى وليمة عليه أن يلبي.

النبي الكريم مدعو لوليمة ومعه صحابي فلما جعل الطعام قال: إني صائم، قال: أخوك دعاك وتكلف لك وتقول: إني صائم؟! أفطر وصم يوماً مكانه.

((عَنْ عَبَّادِ بْنِ شُرَحْبِيلَ قَالَ: قَدِمْتُ مَعَ عُمُومَتِي الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ حَائِطًا مِنْ حِيطَانِهَا فَفَرَكْتُ مِنْ سُنْبُلِهِ فَجَاءَ صَاحِبُ الْحَائِطِ فَأَخَذَ كِسَائِي وَضَرَبَنِي فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْتَعْدِي عَلَيْهِ فَأَرْسَلَ إِلَى الرَّجُلِ فَجَاءُوا بِهِ فَقَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ دَخَلَ حَائِطِي فَأَخَذَ مِنْ سُنْبُلِهِ فَفَرَكَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا عَلَّمْتَهُ إِذْ كَانَ جَاهِلًا وَلَا أَطْعَمْتَهُ إِذْ كَانَ جَائِعًا ارْدُدْ عَلَيْهِ كِسَاءَهُ وَأَمَرَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَسْقٍ أَوْ نِصْفِ وَسْقٍ))

[النسائي عَنْ عَبَّادِ بْنِ شُرَحْبِيلَ]

من أين عالج المشكلة؟ لا من نهايتها، اليوم العالم يعالج الإرهاب من نهايته، يجب أن يعالج من بدايته، لماذا كان الإرهاب في العالم؟ قال: مَا عَلَّمْتَهُ إِذْ كَانَ جَاهِلًا وَلَا أَطْعَمْتَهُ إِذْ كَانَ جَائِعًا. يجب أن نبحث عن السبب، لأن الله عز وجل يقول:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾

[سورة الفتح :29]

متى كانوا أشداء على الطرف الآخر؟ لأنهم معه، فنحن مأمورون أن نجتمع، والحقيقة الآن نحن نكون أو لا نكون، بقاؤنا ونمونا وتقدمنا وانتصارنا على أعدائنا بوحدتنا، واجتماعنا، وتضامننا، وتكاتفنا، ولعل الآية الكريمة:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

[سورة المائدة: 2]

هي الأصل في هذا اللقاء الطيب تعاونوا على صلاح الدنيا وصلاح الآخرة.

المذيع:

هنا نستطيع أن نقول: هذا الدين الحنيف شرع كثير من العبادات الجماعية منها صلاة الجماعة، ومنها الحج، ولكن هناك عبادة مادية التي هي الزكاة والصدقة، فضيلة الشيخ عبد الغني هل يمكن أن تعطي إضاءة حول دور الصدقة ودور الإنفاق والزكاة في هذا التواصل الاجتماعي؟

دور الصدقة والإنفاق والزكاة في التواصل الاجتماعي :

الأستاذ عبد الغني:

في البداية أريد أن أضيف إلى كلام أخي الدكتور حينما تحدث عن المسلم، وعن تشويه صورة الإسلام في عمل مسلم، أو خلق مسلم، أحد الشعراء ذكر ذلك فقال:

يقولون في الإسلام قولاً أنه يعيق ذويه عن طريق التقدم، الإسلام هو المتهم وليس المسلم، لأنه إذا أخطأ المسلم عزونا هذه الأخطاء للإسلام وليس للمسلم، وهذا خطأ كبير.

إذا كان هذا حقاً فكيف تقدمت أوائله في عهده المتقدم؟ إذا كان ذنب المسلم اليوم جهله فماذا على الإسلام من جهل المسلمين؟ يجب أن نفرق بين عمل المسلم وبين الإسلام، إن تمسك هذا الإنسان بشريعة الإسلام كان مسلماً حقاً طالباً المنى ظاهراً وباطناً فيما يتعلق بهذا الأمر.

هناك عبادات جماعية فرضها الإسلام منها صلاة الجماعة، حتى يلتقي الناس ويتكاثر وجودهم فيما بينهم، ويتساءلون فيما بينهم عن أحوالهم، ويتفقدون أمور بعضهم كصلاة الجماعة التي تشير إلى القوة والمنعة في هذا الدين، أو صلاة العيدين أو الحج حتى الزكاة، الزكاة اجتماعية لأنها آخذ ومعط، فقير وغني، وهناك علاقة موجودة بين الغني وبين الفقير، وبين المكلف ومن يحتاج إلى ذلك، فيد تعطي ويد تأخذ، المعطي يجب أن يكون رحيماً رفيقاً على هذا الإنسان، لا يعطيه بمنة ولا يمنن في ذلك، إنما يعطيه كواجب.

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾

[سورة المعارج: 24-25]

والفقير يأخذ هذا عن رضا وطواعية، إذا اكتمل هذا المعنى فبين المعطي والآخذ، وبين الدافع والآخذ اكتمل هذا المعنى، نشأت بينهما علاقة المحبة والمودة، فالغني يصل إلى الفقير، والفقير يساعد هذا الغني، ويقضي له كثيراً من حاجاته، إن كان المجتمع بهذا الأمر لا يمكن أن تدخله شائبة، أو يدخل إليه أي شيء يمكن أن يؤثر من قوته، لأنه كما قلنا: كل إنسان عرف حده فوقف عنده.

هذه الكلمة لسيدنا عمر رضي الله عنه حينما كان قاضياً في زمن الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، كان سيد دار القضاء دون أن يأتي إليه متخاصمان، الآن المحاكم تعج ومن يدخل في مشكلة يعيش عشرات السنين ولا يحصل على حقه، فقدم استقالته لسيدنا أبي بكر، سيدنا أبو بكر قال له: لم يا عمر ألم يرضى الناس بحكمك وبعدلك؟ قال: بلى يا خليفة رسول الله، لكن لا حاجة لي عند قوم عرف كل منهم حده فوقف عنده. لديهم النصيحة، خلقهم القرآن، عملهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إن احتاج أحدهم ساعدوه،

وإن مرض عادوه، وإن افتقر أعانوه، ففيم يختصمن يا أمير المؤمنين؟ هذا عنوان واضح للتواصل الاجتماعي.

المذيع:

دور الصدقات وخاصة في شهر رمضان، الله سبحانه وتعالى جعل هذا الشهر لنزداد في هذا الموضوع، هل من إضاءة أخيرة من قبل الشيخ راتب؟

دور الصدقات في شهر رمضان :

الدكتور راتب :

قال تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾

[سورة التوبة: 103]

تبين صدقهم.

﴿ تُطَهِّرُهُمْ ﴾

[سورة التوبة: 103]

تطهر الغني من الشح، والفقير من الحقد، والمال من تعلق حق الغير به،

﴿ وَتُزَكِّيهِمْ﴾

تنمي نفس الغني حينما يرى عمله وقد ترك بصمة كبيرة في المجتمع، وتنمي نفس الفقير حينما يرى نفسه ليس مهملاً، وتنمي المال بطريقة عجيبة، لأن الإنسان حينما يعطي يجعل في يد المعطى قوة شرائية تعود عليه بالخير مرة ثانية، والمال يحفظ بأداء الزكاة، وينمو بأداء الزكاة، فهذه الآية أصل:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾

[سورة التوبة: 103]

وشهر رمضان شهر الزكاة.

((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ))

[البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ]

والأمة المسلمة في رمضان عليها أن تؤدي زكاة الفطر.

يوجد ملمح رائع في هذا التوجيه، حتى الفقير جداً الذي لا يملك قوت يومه وجبة طعام واحدة، عليه أن يدفع زكاة الفطر، ليذوق طعم الإنفاق مرة في العام، لذلك العرب يقولون: فلان أريحي ارتاح من العطاء.

مرة إنسان أعطى امرأة عطاء كبيراً فلامه صديقه، قال: لقد كان يرضيها القليل لم أعطيتها الكثير أنت لا تعرفها؟ فقال الأريحي: إذا كان يرضيها القليل فأنا لا أرضى لها إلا بالكثير، وإذا كانت لا تعرفني فأنا أعرفها، ففي موكبة العطاء الإنسان كل سعته في العطاء.

مرة قرأت مقالة في مجلة انتهت المقالة في رأس الصفحة وبقي فراغ كتبت حكمة، قال: إذا أردت أن تسعد فأسعد الآخرين فأنت أسعدهم.

حينما الإنسان يخرج من ذاته ليكون في خدمة الخلق هو أسعد الخلق.

خاتمة و توديع :

المذيع:

في قضية زكاة الفطر كأنها تتوجب على الصغار، ولي الصغار عليه أن يخرج زكاة فطره حتى عن الصغار لو لم يصوموا، وعلى الجنين، كل ذلك لتشجيع الناس على الإنفاق ليكون هذا التواصل الاجتماعي ليس تواصلاً كمالياً فقط، وإنما تواصل عاطفي ومادي في آن واحد، ليحقق هذه الصلة الروحية والتعاونية بين أبناء المجتمع المسلم.

الحقيقة الوقت كاد أن ينتهي أتوجه بالشكر الجزيل لما تفضلتم به، أتوجه بالشكر الجزيل لفضيلة الدكتور الشيخ محمد راتب النابلسي، أستاذ مادة الإعجاز العلمي في كليات الشريعة وأصول الدين، والمدرس في كلية التربية، ولفضيلة الشيخ عبد الغني مكاري المدرس الديني وخطيب مسجد عمر بن الخطاب في اللاذقية.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني : مفاهيم عامة لصلة الرحم

الدرس (1-5) : مفاهيم صلة الرحم

الدرس (2-5) : حقيقة صلة الرحم

الدرس (3-5) : نتائج قطع الأرحام

الدرس (4-5) : صلة الرحم و أهميتها

الدرس (5-5) : المفهوم الواسع لصلة الرحم

الدرس (1-5) : مفاهيم صلة الرحم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته ، وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذنٌ بخبر ، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته، ومن والاه ، ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على كل شيء قدير ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

صلة الرّحم :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ لا زلنا في موضوع أخلاق المؤمن ، ولا زلنا في السمة السامية الأساسية من سماته ألا وهي حب الرحمة ، فالرحمة أيها الأخوة كما قلت في خطبة سابقة سمة أساسية جداً من سمات المؤمن ، وتتبدى بصور شتى من صورها بر الوالدين ، ومن صورها صلة الرحم ، فالإسلام أيها الأخوة أوصى بصلة الرحم ، ونهى نهياً شديداً عن قطعها ، بل إن من مبادئ الإسلام تمتين العلاقة بين الأقارب ، لأن الإسلام يهدف إلى أن يعيش الإنسان فطرته ، ومن فطرة المسلم أن يكون اجتماعياً ، يتعاون مع الآخرين تعاوناً إيجابياً .

أيها الأخوة الأكارم ؛ من هم رحم الإنسان ؟ في أدق التفاسير ، وأدق التعاريف كل أقربائه ، من جهة أبيه وأمه ، هؤلاء هم رحم الإنسان .

وماذا تعني صلة الرحم ؟ من صلة الرحم أن تزورهم ، وأن تتفقد أحوالهم ، وأن تكرمهم ، وأن تقدم لهم الهدايا في المناسبات ، وأن تتصدق على فقيرهم ، وأن تتعهد مرضاهم ، وأن تشاركهم في مسراتهم ، وأن تشاركهم في أحزانهم ، وأن تقدمهم على غيرهم فيما تعطي ، صلة الرحم تعني أن تزورهم ، وأن تتفقد أحوالهم المعيشية، والاجتماعية ، وأن تكرمهم ، وأن تقدم لهم الهدايا في المناسبات ، وأن تتصدق على فقيرهم ، وأن

تتعهد مرضاهم ، وأن تشاركهم في المسرات ، وفي الأحزان ، وأن تقدمهم على غيرهم في الأعطيات ، تجسيداً للقاعدة : الأقربون أولى بالمعروف .

صلة الرحم من موجبات دخول الجنة :

أيها الأخوة الأكارم ؛ وقطيعة الرحم تعني هجرانهم ، والإعراض عن زيارتهم ، وعدم مشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم ، والله سبحانه وتعالى وصف المؤمنين بأنهم يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ووصف الذين استحقوا لعنته واستحقوا سوء الدار بأنهم :

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾

[سورة البقرة : 27]

فالذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل هم المؤمنون ، والذين استحقوا لعنة الله ، وسوء الدار هم الذين :

﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾

بل إن صلة الرحم من موجبات دخول الجنة، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري أن رجلاً قال : يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام :

((تعبد الله ، ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم))

[متفق عليه عن أبي أيوب الأنصاري]

طبعاً نحن نخاطب المؤمنين ، المؤمن يعرف الله ، ويعبده ، ويصلي ، ويزكي ، ونقول لهذا المؤمن : وعليك أن تصل الرحم ، أما هذا الذي يصل رحمه من دون أن يعرف الله، من دون أن يعبده فهذا سلوك اجتماعي ، يقطف ثماره في الدنيا ، لكن إذا خاطبنا المؤمنين بالله عز وجل الذين عرفوا الله ، وعبدوه ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، هؤلاء معنيون بهذه الآيات ، لأن الكفار كقاعدة يخاطبون بأصول الدين ، بينما المؤمنون يخاطبون بفروع الدين .

وروى البخاري ومسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنها أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((الرحم معلقة بالعرش ، تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله))

[متفق عليه عن عائشة]

كل أسرة فيها أقارب فقراء ، أغنياء ، مرضى ، أصحاء ، ضعاف ، أقوياء ، متفوقون في الدنيا ، مغمورون في الدنيا ، فإذا وصل الأقوياء الضعفاء ، والأغنياء الفقراء ، والأصحاء المرضى ، وصلوهم ، وواسوهم ، وأكرموهم ، وطيبوا خاطرهم ، إن هذه الأسرة تغدو متماسكة ، بل إن من صلة الرحم أيها الأخوة أن تدل أقرباءك على الله عز وجل ، ولن تستطيع أن تدلهم على الله إلا بالإحسان إليهم ، ومن الإحسان إليهم أن تزورهم ، وأن تتفقد أحوالهم ، وأن تقدم لهم ما يواسيهم في مناسبتهم .

أيها الأخوة الأكارم ؛ وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:

((الرحم شجنة من الرحمن ، قال الله : من وصلك وصلته ، ومن قطعك قطعته))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

وفي الحديث القدسي :

((أنا الله ، وأنا الرحمن خلقت الرحم ، وشققت لها من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته ؛ أي قطعته))

[أبو داود و الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف]

وقد ندهش أيها الأخوة أن قاطع الرحم محروم من دخول الجنة إما حرمة مؤقتة ، أو أبدية ، لقول النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم :

((لا يدخل الجنة قاطع))

[متفق عليه عن جبير بن مطعم]

وقد فسر شراح الحديث قاطع الرحم القاطع لمَا أمر الله به أن يوصل :

((لا يدخل الجنة قاطع))

[متفق عليه عن جبير بن مطعم]

واصل الرحمة هو من إذا قطعت رحمه وصلها :

أما إذا أردنا أن ندخل في لب الموضوع ، وأن نتعرف إلى طبيعة صلة الرحم فبادئ ذي بدء أيها الأخوة النبي عليه الصلاة والسلام يقرر أنه ليس الواصل – واصل الرحم –هو الذي يعامل أرحامه بالمثل ، وهذا من طبيعة الناس اليوم ، إن زارني أزوره ، إن وصلني أصله ، إن أهداني أهدي إليه ، إن اتصل بي وعزاني أعزيه ، إن واساني أواسيه ، هذا المنطق منطق المعاملة بالمثل النبي عليه الصلاة والسلام رفضه في موضوع صلة الرحم ، فقد قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما أن النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول :

((ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها))

[البخاري عن عبد الله بن عمر بن العاص]

يدعم هذا المعنى قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((أمرني ربي بتسع ؛ خشية الله بالسر والعلانية ، كلمة العدل في الغضب والرضى، القصد في الفقر والغنى ، وأن أصل من قطعني))

[القرطبي في تفسيره عن أبي هريرة]

لن تكون واصل الرحم إلا إذا وصلت من قطعك ، أن أصل من قطعني ، وأن أعفو عمن ظلمني ، وأن أعطي من حرمني ، وأن يكون صمتي فكراً ، ونطقي ذكراً ، ونظري عبرةً ، النبي عليه الصلاة والسلام بالتعريف الدقيق يقول : ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل إذا قطعت رحمه وصلها , وشكا رجل إلى النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قطيعة قرابة له :

((يا رَسُول اللَّهِ إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني ، وأحسن إليهم ويسيئون إلي ، وأحلم عنهم ويجهلون علي . فقال : لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك))

[مسلم عن أبي هريرة]

أي الإنسان هو الإنسان في كل مكان وزمان ، وهذا نموذج متكرر ، أصلهم ويقطعوني ، وأحسن إليهم ويسيئون إلي ، وأحلم عنهم ويجهلون علي ، فقال عليه الصلاة والسلام – دققوا أيها الأخوة كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام يعلمنا – : لئن كنت كما قلت– إياك أن تفتي فتوى مطلقة – لئن كنت كما قلت أي إذا كان كلامك مطابقاً للواقع ، أنا أفتي لك على حسب كلامك ، فإن لم يكن كلامك مطابقاً للواقع ففتواي لا تنصرف إلى حالتك ، وأي سائل يسأل ، وأي مجيب يجيب ، يجب أن يقيد إجابته بهذه الكلمة – لئن كنت كما تقول – إن كان وصفك مطابقاً للواقع ، هذه الفتوى لهذا الوصف ، والفتوى على قدر الوصف ، لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ، المل ؛ الرماد الحار ، أي كأنهم يسفون رماداً حاراً يحرق أفواههم، لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك . أي المؤمن الذي يصل رحمه ويقطعونه ، يحسن إليهم ويسيئون إليه ، يحلم عنهم ويجهلون عليه ، هذا نموذج موجود في كل زمن ، لئن كنت كما قلت فلهم من الله عقاب شديد ، ولك من الله ظهير أي معين ، ودائماً وأبداً الله مع المظلوم ، في الزواج ، في الشراكة ، في القرابة ، الله مع المظلوم .

((اتقوا دعوة المظلوم ولو كان كافراً فإنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَينَ اللهِ حِجَابٌ))

[متفق عليه عن عبد الله بن عباس]

((اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرا))

[تصحيح السيوطي عن أنس]

وللباطل جولة ، ولا يستقر إلا الحق ، والأمور لابد من أن تتكشف والله هو الحق ، لأنه سيحق الحق ، وسيظهره في وقت قريب أو بعيد .

التكافل الاجتماعي :

أيها الأخوة الأكارم ؛ وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :

((إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم ، فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، فقال الله عز وجل : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأن أقطع من قطعك ، قالت : بلى ، قال : كذلك لك))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

أقرباؤك من لهم غيرك ؟ أقرباؤك الفقراء ، أقرباؤك الضعاف ، أقرباؤك المحتاجون من لهم غيرك ؟ النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى ، وبهذه التوجيهات يجعل الأسر متماسكة ، لأن الأسرة الصغيرة هي أصغر لبنة في المجتمع ، أما الأسرة الكبيرة فإذا تفقد غنيهم فقيرهم ، وقويهم ضعيفهم ، وصحيحهم مريضهم ، صار هناك ما يسمى بالتكافل الاجتماعي ، على مستوى أسرة ، فالإنسان قبل أن يبحث عن عمل صالح يقدمه للغريب عليه أن يتفقد أحوال أقربائه الأدنين والأبعدين . ثم قال الله عز وجل :

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾

[سورة محمد : 22-23]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ من لطائف الشريعة الغراء أن الإنسان إذا تصدق على قريبه تحسب له هذه الصدقة مرتين ، مرةً كصدقة ، ومرةً كصلة . فقد روى الترمذي بإسناد حسن عن سلمان بن عامر عن النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((أن الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة))

[الترمذي بإسناد حسن عن سلمان بن عامر]

صلة الرحم تبسط الرزق و تطيل العمر :

مرّ بنا قبل أسابيع أن البغي والعقوق يعجل لصاحبهما في الدنيا العقاب ، على هذه الشاكلة صلة الرحم لها مكافآت في الدنيا قبل الآخرة ، لها مكافآت في الدنيا مع أن حقك في الآخرة محفوظ ، مكافآت صلة الرحم في الدنيا كما قال عليه الصلاة والسلام : بسط الرزق وإطالة العمر ، لذلك روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك أن النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول :

((من أحب أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره – أي في أجله – فليصل رحمه))

[مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عن أنس بن مالك]

بسط الرزق وإطالة العمر ، أما إطالة العمر فلها توجيهات وجهها العلماء ، العمر أتفه ما فيه مدته الزمنية ، لكن أخطر ما فيه غناه بالأعمال الصالحة ، تماماً لو فتح الإنسان متجره ساعة وربح ألفاً ، ولو فتحه عشر ساعات وربح مئة ليرة ، ما قيمة الدوام أمام الأرباح ؟ فقيمة العمر لا بمدته الزمنية بل بفحواه ، بغناه بالأعمال الصالحة ، لذلك الذين تركوا آثاراً في البشرية ما عاشوا أعماراً طويلة ، عاشوا أعماراً متوسطة ، بل عاشوا أعماراً قصيرة لكن أعمارهم كانت مفعمة بالأعمال الصالحة ، فمن أحب أن يبسط رزقه أو أن يزيد أجله فليصل رحمه .

وروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك عن رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((أنه كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخيلٍ – أغنى صحابي بالنخيل – وكان أحب أمواله إليه بيرحاء – بستان تجاه المسجد النبوي ، اسمه بيرحاء – وكانت مقابلةً للمسجد ، وكان رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخلها ويشرب من مائها الطيب ، فلما نزلت الآية : ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال يا رسول الله إن الله تعالى يقول : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب مالي إلي بيرحاء ، وإنها صدقة لله تعالى ، وأرجو ذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله ، فقال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بخ بخ ! ذلك مال رابح ، ذلك مال رابح ، وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين منك فقال : أفعل يا رَسُول اللَّهِ ، فقسم الحديقة بين أقاربه وبني عمه))

[مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عن أنس بن مالك]

من تصدقت من مالها على زوجها الفقير فلها أجران أجر القرابة وأجر الصدقة :

وروى البخاري ومسلم عن رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود قالت : قال رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن))

[مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ]

فرجعت إلى عبد الله فقلت : إنك رجلٌ خفيف ذات اليد – أي دخلك قليل – وإن رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أمرنا بالصدقة ، فأتِه فاسأله فإن كان ذلك يجزي عني – أي إن أعطيتك زكاة مالي أو صدقة من مالي – وإلا صرفتها إلى غيرك ، فقال عبد الله : بل أنت ائتيه ، ذهبت زينب إلى رسول الله ، فإذا امرأة من

الأنصار بباب رسول الله قالت : حاجتي حاجتها – أي سؤالي كسؤالها – فخرج علينا بلال فقلنا له : ائتي رسول الله فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانه أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما ؟

ولا تخبره من نحن ، فدخل بلال على رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسأله فقال عليه الصلاة والسلام من هما ؟ ويبدو أن هذا السؤال له علاقة بالفتوى فإذا عرفت من هو المستفتي ؟ ما وضعه ؟ ما مستوى إيمانه ؟ ما مستوى حاجته ؟ فقال : من هما؟ قال : امرأة من الأنصار وزينب ، قال النبي الكريم أي الزيانب ؟ قال بلال : امرأة عبد الله ، قال عليه الصلاة والسلام : قل لهما : لهما أجران ، أجر القرابة وأجر الصدقة ، واستنبط العلماء أن المرأة الموسرة بإمكانها أن تعطي زكاة مالها لزوجها لأنه أقرب الناس إليها .

وروى البخاري ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري أن رجلاً قال : يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ؟ قال :

((تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم))

[مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عن أبي أيوب الأنصاري]

وصلة الرحم بعد معرفة الله وعبادته من أفضل الأعمال التي تقرب إلى الله تعالى.

صلة الرحم واجبة على كل مسلم :

الآن من الأحكام الشرعية في هذا الموضوع أن صلة الرحم واجبة ولو كان ذوا الرحم غير مسلمين ، هذا هو الدين الحنيف ، ولكن يجب أن تبنى على قواعد الشرع ، أي دع خيراً عليه الشر يربو ، درء المفاسد مقدم على جلب المنافع ، إذا كان في هذه الصلة ضياعاً لدينك لا ، دينك أولى ، أما إذا استطعت أن تصل الرحم من دون أن تضحي بدينك ، أو ببعض منه فالأولى أن تصل هذه الرحم .

أيها الأخوة الأكارم ؛ روى مسلم عن أبي هريرة أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((وأنذر عشيرتك الأقربين ، عندئذٍ دعا النبي عليه الصلاة والسلام قريشاً فاجتمعوا وقال : يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم ، يا بني عبد المطلب ، يا فاطمة ، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً ، غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها))

[مسلم عن أبي هريرة]

أي من كان له رحم فليصلها ، وهذا توجيه النبي عليه الصلاة والسلام .

مرةً ثانية أيها الأخوة : يجب أن تعرف الخير والشر ، ويجب أن تعرف الشرين ، وأن تفرق بينهما ، وأن تختار أخفهما ، فدع خيراً عليه الشر يربو ، درء المفاسد مقدم على جلب المنافع ، إذا ضمنت سلامة دينك دون أن تضيع شيئاً منه يجب أن تصل رحمك ، وفي حالات خاصة سلامة الدين أولى .

أيها الأخوة الأكارم ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني . والحمد لله رب العالمين .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أعظم عملٍ في صلة الرحم هداية من يلوذون بك :

أيها الأخوة الأكارم ؛ تتميماً للموضوع الأول أرقى أنواع الصلة من كان له أقارب ، أرقى أنواع الصلة أن يدلهم على الله ، لذلك حينما قال الله عز وجل :

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾

[سورة الشعراء : 214]

أي أقرباؤك أولى بالهداية من الآخرين ، فلذلك إذا نور لإنسان قلبه ، وهداه رشده ، وألهمه الخير ، وتعرف إلى الله عز وجل ، واصطلح معه ، أعظم عملٍ يفعله مع أقربائه فضلاً عن زيارتهم ، وعن تفقد أحوالهم ، وعن إكرامهم ، وعن تقديم الهدايا لهم ، وعن التصدق على فقيرهم ، وعن مواساتهم في أفراحهم وأحزانهم ، وعن تلبية دعواتهم ، فضلاً عن كل ذلك إن أعظم صلة رحم يفعلها الإنسان مع أقربائه أن يدلهم على الله ، من كان له أخوات ، من كان له إخوان ، أقارب ، أبناء عم ، أبناء عمة ، ليقيم معهم جلسة من حين للآخر ، أو جلسة دورية يحدثهم عن الله عز

وجل ، يفسر لهم بعض آيات القرآن التي سمعها ، إذا فعل ذلك ، وقربهم إليه ، ودلهم على الله ، وأنقذهم من الضلال ، ومن الضياع ، ومن الشقاء والتشتت ، فإذا فعل ذلك فهذا النوع من الصلة ، يعد أعظم صلة رحم يفعلها المؤمن في حياته ، فلذلك الأقربون أولى بالمعروف بعلمك ، وبتوجيهاتك ، وبعنايتك ، وبنصحك ، وبإرشادك ، وهكذا فعل النبي عليه الصلاة والسلام .

وقد يلفت النظر أن رجلاً مؤمناً بعد أن اصطلح مع الله ، وتعرف إليه ، أقنع أخاه بطاعة الله ، ثم أقنع أولاد أخيه بطاعة الله عز وجل ، أي حينما يمتلئ الإناء لابد من أن يفيض على غيره ، وهكذا المؤمن ، أقرب الناس إليك أقرباؤك ، والقريب لا ينفتح قلبه لك إلا بالإحسان، إذاً الزيارة والتفقد وتقديم الهدايا والمعاونة والإكرام ، وكل هذه الأعمال تفتح قلب القريب قبل أن يفتح لك عقله ، فإذا فتحت قلبه فتح لك عقله ، وعندئذٍ تستطيع أن تفعل أعظم عملٍ في صلة الرحم وهو هداية من يلوذون بك .

علاقة الصلاة بصحة الجسد :

أيها الأخوة الأكارم ؛ الموضوع العلمي في هذه الخطبة بحث دقيقٌ دقيق ، وشيقٌ شيق عن علاقة الصلاة بصحة الجسد ، لا مجال لبسطه من على هذا المنبر .

ولكن أقتطف لكم من هذا البحث الدقيق بعض الملاحظات ، قال : الصلاة ترفع كفاءة القلب والدورة الدموية، طبعاً فضلاً عن أنها عبادة ، وفضلاً عن الحديث عن خشوعها ، وعن فرضيتها ، نتحدث عن الصلاة من زاوية ضيقة جداً ألا وهي علاقتها بصحة البدن ، قيل : يندر بين المصلين أن تجد أشخاصاً يعانون من أمراض في العمود الفقري ، طبيعة الركوع والسجود والقيام هي صحة للعمود الفقري ، فلذلك أمراض العمود الفقري تندر بين المصلين ، ويندر بين المصلين التهابات المفاصل بجميع أنواعها ، ويندر بين المصلين مرض القرص ، ويندر بين المصلين حصول الدوالي وجلطات الأوردة العميقة ، ويندر بين المصلين الاحتقان الدموي في الحوض الذي يسبب البواسير والنزفات الرحمية ، ويندر بين المصلين ضيق الصدر الذي هو بسبب تراكم غاز ثاني أكسيد الكربون في الرئتين ، فالزفير القسري الذي يحدثه الركوع والسجود ينشط الرئتين وينشط القلب مع الرئتين ،

ويندر بين المصلين التيه والخرف الشيخي لأن السجود من شانه أن يروي الدماغ بالدم ، والتيه والخرف الشيخي في بعض أسبابه نقص في تروية أوعية المخ ، لذلك السجود يجعل الدم ينصب على أوعية الرأس بشكل قسري بفعل الجاذبية ، لذلك التيه والخرف الشيخي يندر بين المصلين . وقد أشار النبي عليه الصلاة والسلام إشارة موجزة رائعة قال :

((يا بلال أقم الصلاة وأرحنا بها))

[أخرجه أبو داود كتاب الأدب]

ومن يدري لعل الراحة في الصلاة الراحة نفسية وجسمية في وقت واحد .

أيها الأخوة الأكارم ؛ أمر الله عز وجل أعظم بكثير من أن يفسر بعلة واحدة ، أو بحكمة واحدة ، أوامر الله عز وجل حكمها وعللها لا تعد ولا تحصى .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شرّ ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفرك ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك . اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين . اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين . اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك . اللهم لا تؤمنا مكرك ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين . اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين . اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عضال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء . اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما تحب ، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب . اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبذلها بالإقتار ، فنسأل شرّ

خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى ، وذم من منع ، وأنت من فوقهم ولي العطاء ، وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء . اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين . اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-5) : حقيقة صلة الرحم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ، ونستعين به ونسترشده ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر . وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذن بخبر . اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين . اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرِنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممـن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

صلة الرحم :

أيها الأخوة الكرام ؛ باب كبير من أبواب الأعمال الصالحة يغفل عنه معظم المسلمين ، ومعصية كبيرة كبيرةً يقترفها الناس لجهلهم وهم لا يشعرون ، إن موضوع الخطبة اليوم عن صلة الرحم .

أيها الأخوة الكرام ؛ لقد أوصى الإسلام بصلة الرحم ، ونهى نهياً شديداً عن قطيعة الرحم ، فمن مبادئ الإسلام الاجتماعية تمتين العلاقات بين الأقارب ، وأولى الناس بذلك الأقربون رحماً ، فلهم حق الأخوة بالإسلام ولهم حق القرابة .

أيها الأخوة الكرام ؛ ماذا تعني كلمة صلة الرحم؟ . .

قال العلماء: تكون صلة الرحم بالزيارة ، وتكون بتلبية الدعوة ، وتكون بتفقد الأحوال ، وتكون بالإكرام ، وتكون بالهدية ، وتكون بالتصدق على الفقراء من الأقربين ، وتكون بعيادة مرضاهم ، وتكون بمشاركتهم أفراحهم ، وتكون بمواساتهم في أحزانهم ، وتكون بتقديمهم على غيرهم في كل أمر هم أحق به ، بسبب قرابتهم ، ثم تكون – وهذا تاج الصلة بالرحم – بدعوة هؤلاء إلى الله ، والأخذ بهم إلى مرضاته . الزيارة ، وتلبية الدعوة ، وتفقد الأحوال ، والإكرام ، والهدية ، والتصدق ، والتعهد ، وعيادة المريض ، والمشاركة في الأفراح ، والمواساة في الأحزان ، وتقديمهم على غيرهم فيما هم أحق به ، ثم دعوتهم إلى الله عز وجل ، والأخذ بيدهم إلى الدار الآخرة . . هذه هي صلة الرحم .

أما قطيعة الرحم فتكون بالهجر ، والإعراض عن الزيارة المستطاعة ، وعدم المشاركة في المسرات ، وعدم المواساة في الأحزان ، وتكون بتفضيل غيرهم عليهم في الصلاة والعطاءات التي هم أحق بها من غيرهم .

أيها الأخوة الكرام ؛ لقد وصف الله المؤمنين – هذه الصفة من أخصّ خصائص المؤمنين– بأنهم يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، وقد وصف الله من لهم اللعنة ولهم سوء الدار بأنهم يقطعون ما أمر الله به أن يوصل.

صلة الرحم من موجبات دخول الجنة :

أيها الأخوة الكرام ؛ صلة الرحم من موجبات دخول الجنة . روى الإمام البخاري ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه :

((أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ؟ قَالَ : مَا لَهُ مَا لَهُ ؟ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ))

[متفق عليه عن أبي أيوب الأنصاري]

أيها الأخوة الكرام ؛ من وصل الرحم وصله الله ، ومن قطع الرحم قطعه الله ، روى البخاري ومسلم– ولا تنسوا أن البخاري ومسلم أصح كتابين بعد كتاب الله ، ولا تنسوا أن الحديث الذي رواه البخاري ومسلم معاً هو من أعلى درجات الأحاديث الصحيحة ، وأن إنكار الأحاديث الصحيحة هو عين الكفر – في

صحيحيهما عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ : مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ))

[متفق عليه عن عائشة]

وروى البخاري أيضاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ اللَّهُ : مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ))

[البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

والشجنة عروق الشجر المتشابكة ، وأي إنسان – أيها الأخوة – هو حلقة في سلسلة، وعقدة في شبكة ، فلا ينبغي أن يقطع ما حوله ، حلقة في سلسلة ، وعقدة في شبكة ، وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم هذه العلاقات المتشابكة ، قال:

((إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ اللَّهُ : مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ))

[البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

روى أبو داود في حديث حسن صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما حدث عن ربه ، يقول الله عز وجل :

((أَنَا اللَّهُ ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنِ اسْمِي ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ))

بتته: أي قطعته .

[أبو داود عن أبي سلمة]

قطيعة الرحم من الأعمال التي تحرم فاعلها دخول الجنة :

أيها الأخوة الكرام ؛ قطيعة الرحم من الأعمال التي تحرم فاعلها دخول الجنة .

روى البخاري ومسلم أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ))

[متفق عليه عن مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ]

وأي حديث يعد فاعل معصيته بعدم دخول الجنة فهذه المعصية من الكبائر .

((لا يدخل الجنة نمام))

[متفق عليه عن حذيفة]

((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر))

[مسلم عن عبد الله بن مسعود]

((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ))

[متفق عليه عن مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ]

لأن الله سبحانه وتعالى أرادنا أن نجتمع ، وأن نتعاون ، وأن يأخذ كل منا بيد أخيه، فقاطع الرحم يقطع هذه العلاقات ، ويحل محلها الأشجان والآلام ، فلذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ))

[متفق عليه عن مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ]

المعنى الحقيقي لصلة الرحم :

أيها الأخوة الكرام ؛ درج الناس على أن يصلوا من وصلهم ، وعلى أن يقطعوا من قطعهم ، ليست هذه صلة الرحم ، لأن الذي يصل من وصله ، ويقطع من قطعه ليس له فضل على الطرف الآخر ، لذلك من الحقائق الثابتة أنه ليس الواصل لأرحامه الذي يعامل أرحامه بالمثل ، فإن وصلوه وصلهم ، وإن قطعوه قطعهم ، ولكن الواصل هو الذي إذا قطعته رحمه وصلها ، ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم:

((أمرني ربي بتسع ، خشية الله في السر والعلانية ، كلمة العدل في الغضب والرضا ، القصد في الفقر والغنى ، وأن أصل من قطعني ، وأن أعفو عمن ظلمني ، وأن أعطي من حرمني ، وأن يكون صمتي فكراً ، ونطقي ذكراً ، ونظري عبرةً))

[زيادات رزين عن أبي هريرة]

ألم يقل الله عز وجل ؟

﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾

[سورة الرعد: 22]

أيها الأخوة الكرام ؛ هناك آيات كثيرة ، وهناك أحاديث عديدة ، تؤكد أن صلة الرحم تعني أن تصل الرحم التي قطعتك . يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح:

((لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا))

[البخاري والترمذي وأبو داود وأحمد]

شكا رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قطيعة قرابته له ، على الرغم أنه يواصلهم، ويحسن إليهم ، ويحلم عليهم ، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم عن مبلغ عقوبتهم عند الله ، على قطيعتهم ، وعلى إساءتهم له ، إن صدق فيما قال ، فقال عليه الصلاة والسلام يخاطب هذا الرجل الذي شكا إليه أنه يحسن إليهم ويسيئون إليه ، يصلهم ويقطعونه ، يحفظهم ويضيعونه ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ :

((يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ ؟ فَقَالَ : لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ))

[مسلم عن أبي هريرة]

لئن كنت كما قلت ؛ كان عليه الصلاة والسلام متحفظاً ، إن كان هذا الذي تقوله صحيحاً ، لذلك قال العلماء الفتوى على قدر الوصف ، إن كنت كما تقول ، إن كان هذا الذي تقوله صحيحاً ، قال عليه الصلاة والسلام:

((لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ . .))

والملّ هو الرماد الحار ، وشيء عظيم أن يأكل الإنسان رماداً حاراً ، قال عليه الصلاة والسلام :

((لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ))

قطيعة الرحم معصية كبيرة وإثم شنيع :

روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتِ الرَّحِمُ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ قَالَ : فَهُوَ لَكِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

يا أيها الأخوة الكرام ؛ نستنبط من هذه الآيات وتلك الأحاديث الصحيحة أن قطيعة الرحم معصية كبيرة ، وإثم شنيع ، عقابها عند الله عقاب سريع .

صلة الرحم من أسباب زيادة الرزق و إطالة العمر :

من لطائف الشريعة الغراء أن الصدقة على المسكين تُحسب صدقة ، أما الصدقة على ذي الرحم فتحسب باثنتين ، صدقة وصلة . روى الترمذي بإسناد حسن عن سلمان بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ))

[الترمذي عن سلمان بن عامر]

أيها الأخوة الكرام ؛ صلة الرحم مما يكافئ الله عليها في الدنيا ببسط الرزق ، وإطالة العمر ، وهذا ثواب مُعجل يتسابق إليه معظم الناس ، وهو زائد على ثواب الآخرة .

روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[متفق عليه عن عائشة]

أحد أسباب زيادة الرزق صلة الرحم . . الأثر: هو العمر الذي فيه تُسجل آثار الإنسان ، لأن الإنسان في عمره يترك آثاراً صالحة أو طالحة . ويُنسأ : يؤخر .

((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[متفق عليه عن عائشة]

آراء العلماء في موضوع إطالة العمر :

وللعلماء في موضوع إطالة العمر آراء كثيرة ، من أوجهها أن طول العمر لا يكون بزيادته زمناً بل يكون بكثافته عملاً ، إذا زاد العمل الصالح زاد العمر ، وأوضح مثل على ذلك أنك إذا فتحت دكاناً وبعت في ساعة بمليون ليرة ، وآخر فتح دكانه أياماً طويلة ، ولم يبع بألف ليرة ، فأيها أكثر حظاً ، وأكثر ربحاً ؟ . . الوقت لا قيمة له . فأن ينسأ له في أجله أن يغتني عمره بالأعمال الصالحة ، ألم يقل سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام حينما سقى للفتاتين قال:

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾

[سورة القصص: 24]

بل إن العلماء مجمعون على أن الفقر الحقيقي هو فقر العمل الصالح ، لأنك موجود في الحياة الدنيا من أجل أن تعمل صالحاً ، هذا هو سرُّ وجودك ، وهذا هو غاية وجودك، العمل الصالح ثمن الجنة:

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[سورة النحل: 32]

بل إن الإنسان إذا أدركه الموت لا يندم إلا على شيء واحد ، على عمل صالح فاته:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

[سورة المؤمنون: 99-100]

مكافأة الله الإنسان على صلة الرحم في الدنيا قبل الآخرة :

أيها الأخوة الكرام ؛ صلة الرحم كما قلنا مما يكافئ الله عليه في الدنيا قبل الآخرة ، روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال:

((كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ ، قَالَ أَنَسٌ : فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾

قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ :

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾

وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ – أي الآن ما يشبه مزرعة في أجمل مكان حول المدينة ، فيها ما لذ وطاب ، وفيها كل ما يمتع النظر – بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ : أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ))

[متفق عليه عن أنس]

بيرحاء: اسم لحديقة فيها نخل .

عطاء الأقارب صدقة و صلة :

وهذه قصة تؤكد أن عطاء الأقارب صدقة وصلة . وروى البخاري ومسلم:

((عن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ قَالَتْ : فَرَجَعْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَقُلْتُ : إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ الْيَدِ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ فَأْتِهِ فَاسْأَلْهُ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ يَجْزِي عَنِّي وَإِلَّا صَرَفْتُهَا إِلَى غَيْرِكُمْ – أي قالت لزوجها : يا أبا مسعود ، إنك رجل خفيف ذات اليد ، أي الأحوال أقل من وسط ، خفيف ذات اليد تعبير لطيف جداً ، تعبير مهذب، تعبير رقيق . . إنك خفيف– إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ الْيَدِ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ فَأْتِهِ فَاسْأَلْهُ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ يَجْزِي عَنِّي وَإِلَّا صَرَفْتُهَا إِلَى غَيْرِكُمْ قَالَتْ : فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بَلِ ائْتِيهِ أَنْتِ ، قَالَتْ : فَانْطَلَقْتُ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِبَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجَتِي حَاجَتُهَا قَالَتْ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ الْمَهَابَةُ ، قَالَتْ : فَخَرَجَ عَلَيْنَا بِلَالٌ فَقُلْنَا لَهُ : ائْتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبِرْهُ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ بِالْبَابِ تَسْأَلَانِكَ أَتُجْزِئُ الصَّدَقَةُ عَنْهُمَا عَلَى أَزْوَاجِهِمَا وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حُجُورِهِمَا وَلَا تُخْبِرْهُ مَنْ نَحْنُ ؟ قَالَتْ : فَدَخَلَ بِلَالٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ هُمَا – ماذا نستنبط من سؤال النبي عن هوية السائل ؟ . . كل سائل له وضع خاص ، الفتوى يجب أن تنصرف إلى حالة يتلبس بها السائل– فَقَالَ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَزَيْنَبُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الزَّيَانِبِ – إذاً هو يعلم من أحوال أصحابه ما يعلم ، وهذه هي التربية ، إلقاء العلم شيء ، وتربية النفوس شيء آخر– أي الزيانب قَالَ امْرَأَةُ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمَا أَجْرَانِ أَجْرُ الْقَرَابَةِ ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ))

[متفق عليه عن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود]

أي إذا تصدقت امرأة موسرة على زوجها ، العكس غير صحيح ، لا يجوز أن يعطي الزوج نفقته أو زكاته لزوجته ، لأنه مُلزم بالإنفاق عليها فلو أعطاها من زكاته ، كأنه ما أنفق زكاة ماله ، أما الزوجة الموسرة فلها أن تعطي زكاة مالها لزوجها ، فقال عليه الصلاة والسلام:

((. . لَهُمَا أَجْرَانِ أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ))

[متفق عليه عن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود]

العقلاء الصادقون مع الله لا تعنيهم المظاهر بل الحق :

وروى مسلم في صحيحه عن عمر بن عبسة السملي في حديث طويل قال:

((كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ – أي يضيقون عليه– فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا نَبِيٌّ ، فَقُلْتُ : وَمَا نَبِيٌّ ؟ قَالَ : أَرْسَلَنِي اللَّهُ، فَقُلْتُ : وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ : أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ ، قُلْتُ لَهُ : فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ : حُرٌّ وَعَبْدٌ ، قَالَ وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ فَقُلْتُ : إِنِّي مُتَّبِعُكَ ؟ قَالَ : إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي . . .))

[مسلم عن عمر بن عبسة السملي]

الضعاف لا يقبلون من إنسان ضعيف دعوة ، ولا من إنسان مقهور دعوة ، العقلاء الصادقون مع الله لا تعنيهم المظاهر ، يعنيهم الحق من دون ما حولهم .

صلة الرحم أحد أكبر معالم الدعوة الإسلامية :

أيها الأخوة الكرام ؛ لا زلنا في صلة الرحم . . سيدنا جعفر بن أبي طالب حينما سأله النجاشي عن دعوة الإسلام قال:

((أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته ، وعفافه ، فدعانا إلى الله لتوحيده ، ولنعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء))

[أخرجه ابن خزيمة عن جعفر بن أبي طالب]

أبو سفيان حينما كان عند هرقل ملك الروم ، وهذه القصة رواها البخاري ومسلم :

((قال هرقل لأبي سفيان : حدثني عن محمد ماذا يأمركم به ؟ قال أبو سفيان : قُلْتُ : يَقُولُ : اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ))

[متفق عليه عن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود]

أي أحد أكبر معالم الدعوة الدعوة إلى صلة الرحم ؛ ليتماسك المجتمع ، ليتعاون المجتمع ، ليأخذ كل منا بيد أخيه ، ليأخذ القوي بيد الضعيف ، ليأخذ العالم بيد الجاهل ، ليأخذ الغني بيد الفقير . عليه أن يزورهم ، وعليه أن يتفقد أحوالهم ، وعليه أن يلبي دعوتهم ، وعليه أن يواسيهم في أحزانهم ، وأن يشاركهم في مسراتهم، وعليه أن يكرمهم ، وعليه أن يقدم لهم الهدايا ، وعليه أن يعاونهم إذا كانوا فقراء ، وعليه أن يأخذ بيدهم إلى الله والدار الآخرة ، هذه صلة الرحم ، ولها جزاءان معجلان في الدنيا ؛ أن الله سبحانه وتعالى يزيد في رزق الواصل ، ويؤخر أجله بمعنى أنه يزيد عمره أعمالاً صالحة .

صلة الرحم مطلوبة في الإسلام ولو كانت الرحم غير مسلمة :

الآن – أيها الأخوة – حقيقة دقيقة جداً ؛ صلة الرحم مطلوبة في الإسلام ولو كانت الرحم غير مسلمة ، لو أن إنساناً أسلم ، وأهله ليسوا كذلك ، هل عليه أن يصلهم ؟ الجواب : نعم ، عليه أن يصلهم ولو كانوا غير مسلمين ، ولكن هذه الصلة مشروطة ، بأن تكون فيما لا يتعارض مع أحكام الإسلام ، وفيما لا يتعارض مع صالح المسلمين ، إن لم تتعارض هذه الصلة مع أحكام الإسلام ، ومع مصالح المسلمين يجب أن يزورهم ، وأن يعاونهم ، وأن يتفقدهم، وأن يعينهم ، وأن يكرمهم ، وأن يواسيهم في أحزانهم ، وأن يشاركهم في أفراحهم ، ولو كانت الرحمة غير مسلمة .

صلة الرحم مطلوبة بشرط ألا تقود إلى معصية :

لكن أيها الأخوة لئلا يخطر في بالكم هذا السؤال ، لو أن صلة الرحم نشأ عنها مفسدة ؟ الجواب : دع خيراً عليه الشر يربو . . والقاعدة الأصولية : درء المفاسد مقدم على جلب المنافع . . أي إذا كانت هذه الصلة

سوف تقودك إلى معصية ، ومن معصية إلى معصية، ومن اختلاط إلى تبذل ، وبعد عن الله عز وجل ، هذه عندئذ ليست صلة رحم ، لا مؤاثرة في الخير ، ولكن الخير كله في المؤاثرة ، أي لا تؤثر أحداً على طاعتك لله ، لا تؤثر كائناً من كان على طاعتك لله .

أي صلة الرحم في حدود المنهج الذي جاءنا به النبي ، إذا كان هناك تبذل ، اختلاط ، ميوعة ، ميل إلى المعاصي ، هذه مفسدة ينبغي أن نتركها حفاظاً على ديننا ؛ دع خيراً عليه الشر يربو ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المنافع .

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا لغيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني . .

المغزى البعيد من صلة الرحم :

أيها الأخوة الكرام ؛ يخطر في بال معظم الناس أن صلة الرحم تكون بزيارة عابرة ، أو باتصال هاتفي ، أو سؤال عن الصحة ، هذا أقل ما في صلة الرحم ، أعيد هذه الفكرة مرتين، وثلاث من أجل أن يرسخ في أذهانكم أن صلة الرحم تبدأ بالزيارة ، مروراً بتفقد الأحوال ، مروراً بالمعاونة ، بالإكرام ، بتلبية الدعوة ، بالمواساة في الأحزان ، بالمشاركة في الأفراح ، وتنتهي بالدعوة إلى الله ، فبطولة الواحد منكم إذا استنار قلبه بنور الله ، وأقبل على الله ، وعرف المنهج الصحيح ، وعرف طريق السعادة ، بطولة أحدكم أن يقنع أقرب الناس إليه ، أن يقنع أهله ، أن يقنع أولاده ، أن يقنع أولاد عمه ، أن يقنع بني حماه ، أن يقنع كل من يلوذ به ، لماذا كنت قريباً لهم ؟ ينبغي أن تحب لهم ما تحب لنفسك ، وأن تكره لهم ما تكره لنفسك ، فالمغزى البعيد البعيد من صلة الرحم أن تأخذ بيد أقاربك إلى السعادة الأبدية ، إلى معرفة الله ، إلى تطبيق منهجه ، إلى طاعته ، إلى ارتياد مجالس العلم ، إلى التفقه بالفقه الحنيف ، هذه صلة الرحم ، تبدأ بزيارة عابرة ، وتمر بتفقد الأحوال ، وعيادة المريض ، وتقديم الهدية ، والإكرام ، والتصدق ، وتلبية الدعوة ، والمشاركة في الأفراح والمواساة في الأحزان ، وتنتهي بأن هذا الذي وصلته ، واعتنيت به ، وأكرمته ، وقدمت له الهدية ، وقربته إلى الله عز وجل ، كان في صحيفتك إلى يوم القيامة ، وأن كل أعماله في صحيفتك .

قال رسول الله صلى الله عيه وسلم يخاطب علي يوم فتح خيبر :

((فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ))

[متفق عليه عن سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ رَضِيَ]

ملخص الملخص ، أن الهدف البعيد الذي في مخيلتك ، أن أقرباءك جميعاً يجب أن يكونوا على شاكلتك ، وعلى الطريق الصحيح التي أنت عليه ، وعلى المنهج القويم الذي تسير فيه ، وعلى الهدف الكبير الذي تسعى إليه ، صلة الرحم تعني دعوة إلى الله ، صلة الرحم تعني أمراً بالمعروف ، ونهياً عن المنكر ، صلة الرحم تعني أن تكون داعيةً في حدود من حولك، أن تكون داعيةً إلى الله :

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

[سورة فصلت: 33]

بدأت الخطبة أيها الأخوة بأن باباً كبيراً من أبواب الخير يغفل عنه بعظم المسلمين، وأن معصيةً كبيرةً يفعلها بعض المسلمين ولا يلقون إليها بالاً ، كما قال عليه الصلاة والسلام:

((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

وإن أحدكم يقطع الرحم ، ولا يلقي لهذه القطيعة بالاً يبتعد عن الله بها مسافات شاسعة .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، لك الحمد على ما قضيت ، نستغفرك ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك . اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اقسم لنا من خشيتك ، ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على

من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين . اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين . اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك . اللهم لا تؤمنا مكرك ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين . اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً ، وسائر بلاد المسلمين . اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عضال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء . اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما تحب ، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب . اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبذلها بالإقتار، فنسأل شر خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى وذم من منع ، وأنت من فوقهم ولي العطاء ، وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء . اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين . اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-5) : نتائج قطع الأرحام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، الملك القدوس السلام، أحمد ربي وأشكره على عظيم الإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو العزة التي لا تضام، وذو الملك الذي لا يرام، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل من صلى وصام، وحج بيت الله الحرام، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمدٍ وعلى آله وصحبه الكرام.

أما بعد، فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، فهي وسيلتكم إلى ربكم في هذه الدنيا، وفي الأخرى .

نحن في أوائل رمضان... وفي الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتْ الشَّيَاطِينُ))

[رواه البخاري ومسلم]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنْ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ))

[الترمذي، ابن ماجه]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))

[رواه البخاري ومسلم]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))

[رواه البخاري ومسلم]

أمّةَ القرآن، هذا شهر الصيام، أحد أركان الإسلام، فضله الله على شهور العام، وأفاض فيه على المسلمين الخيرات والبركات، وضاعف لهم فيه الحسنات، وتجاوز فيه عن الذنوب والسيئات، أقال فيه العثرات، فهو شاهد للمحسنين، وشاهد على المعرضين والمفسدين، وأنتم معشر المسلمين في أوله، وما أسرع انقضاء آخره، فأروا الله من أنفسكم خيراً بالتوبة من المحرمات، وبفعل الطاعات، فإن هذا الشهر من أسباب مكفرات

الذنوب، والشفاء من العيوب، فرض الله جل جلاله عليكم صيامه، وسنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامه، وبشر على القيام بذلك أعظم البشائر، فاغتنموا هذا الشهر يا ذوي الألباب والبصائر.

وموضوعات رمضان الكبرى: التقوى، وهي علة الصيام، والقرآن حيث أنزل في رمضان، وصلة الأرحام أفضل أوقاتها في رمضان، ثم ليلة القدر، والعتق من النار، وقد تحدثت في خطبتين سابقتين في هذا المسجد عن التقوى، وأنها علة الصيام، وعن القرآن الذي أنزل في رمضان، وها نحن أولاء نتحدث عن صلة الأرحام.

أهمية صلة الرحم من العبادات التعاملية

إنّ رمضان شهرُ البرّ والصلةِ، وشهر التعاطفِ والمرحمةِ، فالقلوب تلين لذكرِ الله، والنفوسُ تستجيبُ لداعي الله، فلا ترى من جرّاء ذلك إلا أعمالاً زاكيات، وقرباً من ربّ الأرض والسماوات.

ذلك لأن الإسلامَ يهدِف إلى بناءِ مجتمعٍ متراحمٍ متعاطِف، تسودُه المحبّةُ والإخاء، ويهيمِن عليه حبّ الخيرِ والعَطاء، والأسرةُ وحْدةُ المجتمع، تسعَد بتقوى الله ورعايةِ الرّحِم، لذلك اهتمّ الإسلامُ بتوثيق عُراها، وتثبيتِ بُنيانها، فجاء الأمر برعايةِ حقّها بعدَ توحيد الله وبرّ الوالدين، قال جلّ وعلا:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى ﴾

[النساء: 36]

وقُرِنَت مع إفرادِ الله بالعبادةِ والصّلاةِ والزّكاة فعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ))

[متفق عليه]

وقد أُمِرَت الأمم قبلَنا بصِلة أرحامِها، قال سبحانه:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى ﴾

[البقرة: 83]

ودَعا إلى صِلتها نبيُّنا محمّدٌ (ص) في مَطلعِ نُبوّته، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ:

((كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ (ص) مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ ؟ قَالَ: أَنَا نَبِيٌّ، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ ؟ قَالَ: أَرْسَلَنِي اللَّهُ، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ: أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ...))

[رواه مسلم]

وسأل هِرقل أبا سفيانٍ عن النبيّ ما يقول لكم ؟ قال: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ:

((سَأَلْتُكَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ))

[رواه البخاري ومسلم]

وأمَر بها عليه الصلاة والسلام أوّلَ مقدمِه إلى المدينة، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ قِبَلَهُ، وَقِيلَ: قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، ثَلَاثًا، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ))

[رواه الترمذيّ وابن ماجه واللفظ له]

وهي وصيّة النبيّ (ص)، قال أبو ذر:

((أوصاني خليلي بصِلة الرّحم وإن أدبَرَت))

[رواه الطبراني]

فصِلةُ ذوي القربَى أمارةٌ على الإيمان، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((... وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ...))

[متفق عليه]

صلةُ الحرم عبادةٌ جليلة مِن أخصّ العبادات، يقول عمرو بن دينار: "**ما مِن خَطْوةٍ بعد الفريضةِ أعظمُ أجرًا من خَطوةٍ إلى ذي الرّحم** ".

ثوابُها معجَّل في الدنيا، ونعيمٌ مدَّخرَ في الآخرة، قال (ص):

((ليس شيء أُطِيعَ اللهُ فيه أعْجَل ثوابًا من صِلةِ الرحم))

[رواه البيهقيّ]

والقائمُ بحقوقِ ذوي القربَى موعودٌ بالجنّة، يقول عليه الصلاة والسلام عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ:

((... وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ، ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ، رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى، وَمُسْلِمٍ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ))

[رواه مسلم]

أمَرَ الله بالرّأفة بالأرحام كما نرأَف بالمِسكين، قال عزّ وجلّ:

﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾

[الإسراء: 26]

وحقُّهم في البذلِ والعطاء مقدّمٌ على اليتامَى والمساكين، قال سبحانَه:

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾

[البقرة: 215]

وللسخاءِ عليهم ثوابٌ مضاعفٌ من ربِّ العالمين، عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ))

[النسائي وابن ماجه]

وأوّلُ مَن يُعطَى مِن الصدقة هم الأقربون مِن ذوي المَسكنَة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ:

((كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ شِئْتَ، فَقَالَ: بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ

رَابِحٌ، قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا، وَأَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ، قَالَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ، وَبَنِي عَمِّهِ))

[متفق عليه]

فالباذلُ لهم سخيُّ النّفس، كريم الشّيَم، يقول الشعبيّ رحمه الله: " **ما ماتَ ذو قرابةٍ لي وعليه دينٌ إلاّ وقضيتُ عنه دينه** ".

ماذا تعني كلمة الأرحام ؟

الأول: رحم الدين، وهي رحم عامة تشمل جميع المسلمين، وتتفاوت صلتهم حسب قربهم وبعدهم من الدين، وكذلك حسب قربهم وبعدهم المكاني.

ويدل على ذلك قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

[الحجرات: 10]

فأثبت الله الأخوّةَ الإيمانية لجميع المسلمين.

وقوله:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾

[محمد]

الثاني: رحم القرابة، القريبة والبعيدة، من جهتي الأبوين.

ولكل من هذين النوعين حقوق ونوع صلة.

الروابطُ تزداد وُثوقًا بالرّحم، وقريبُك لا يَملّكَ على القرب، ولا ينسَاك في البُعد، عِزّهُ عزٌّ لك، وذُلّه ذُلٌّ لك.

قال القرطبي رحمه الله: " اتفقت الملة على أن صلة الرحم واجبة، وأن قطيعتها محرمة.

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا:

((إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ))

[أحمد]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَتَدْفَعُ عَنْ مِيتَةِ السُّوءِ))

[الترمذي]

ما معنى صلة الرحم ؟

الرحم العامة رحم الدِّين، ويجب صلتها بملازمة الإيمان، والمحبة للمؤمنين، ونصرتهم، والنصيحة لهم، وترك أذيتهم، والعدل بينهم، والإنصاف في معاملتهم، والقيام بحقوقهم الواجبة، كتمريض المرضى، ومواساة الفقراء، من دون أن يمن عليهم، ونصرة المظلومين، وحقوق الموتى، من غسلهم، والصلاة عليهم، ودفنهم، وغير ذلك من الحقوق المترتبة لأهل الإيمان .

الرحم الخاصة رحم القرابة، وتكون صلتها بزيارتهم، وتفقد أحوالهم، والسؤال عنهم، والإهداء إليهم، والتصدق على فقيرِهم، والتلطف مع وجيههم وغنيّهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتكون الصلة باستضافتهم، وحسن استقبالهم، وإعزازهم، ومشاركتهم في أفراحهم، ومواساتهم في أتراحِهم.

وتكون الصلة أيضاً بالدعاء للأرحام، وسلامة الصدر لهم، والحرص على نصحهم، ودعوتهم للخير، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وإصلاح ذات البين إذا فسدت.

وتكون الصلة أيضاً ببشاشةٍ عند اللّقاء، ولينٍ في المُعاملة، إلى طيبٍ في القول، وطلاقةٍ في الوجه، وزيارات وصِلات، وإحسانٌ إلى المحتاج، وبذلٌ للمعروف، ونصحُهم، والنّصحُ لهم، ومساندةُ مكروبِهم، وعيادةُ مريضهم، الصفحُ عن عثراتهم، وترك مُضارتهم، والمعنى الجامِع لذلك كلِّه: إيصالُ ما أمكَن من الخير، ودفعُ ما أمكنَ منَ الشرّ.

ثم إن الأقارب يختلفون في أحوالهم، وطباعهم، ومنازلهم، فمنهم من يرضى بالقليل، فتكفيه الزيارة السنوية، والمكالمة الهاتفية، ومنهم من يرضى بطلاقة الوجه، والصلة بالقول، ومنهم من يعفو عن حقه كاملاً، ويلتمس المعاذير لأرحامه، ومنهم من لا يرضى إلا بالزيارة المستمرة، وبالاهتمام الدائم، فمعاملتهم بهذا المقتضى تعين على حسن الصلة بهم، واستيفاء مودتهم.

وبشكل مختصر تبدأ صلة الرحم بنوع من الاتصال الهاتفي أو البريدي، ثم الزيارة، ثم تفقد الأحوال المعيشية والاجتماعية، ثم المساعدة بألطف أسلوب، ثم الأخذ بيد القريب، وأهله إلى الله، وحملهم على طاعته، والتقرب إليه، وهذا تاجٌ تتوّج به هذه الصلة، وعندئذ تكون هذه الصلة حققت هدفها الأكبر.

أيها الأخ الكريم:

حتى لو كان الأقارب من النوع المتعب الذي يقابل الإحسان بالإساءة، فلا يجوز أن تقاطعهم، لأنك تتعامل مع الله تعالى طاعة لأمره، والتزاما بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وعلى ذلك يجب على المسلم أن يسلك كل السبل ليصل أرحامه، ويحسن إلى أقاربه وجيرانه.

إنّ ذوي الرّحِم غيرُ معصومين، يتعرّضون للزّلَل، ويقَعون في الخَلل، وتصدُر منهم الهَفوات، ويقَعون في خطيئات كبيرات، فإن بَدَر منهم شيءٌ من ذلك فالزَم جانبَ العفوِ معهم، فإنَّ العفوَ من شِيَم المحسنين، وما زادَ الله عبدًا بعفو إلاّ عِزًّا، وقابِل إساءَتهم بالإحسان، واقبل عُذرَهم إذا اعتذروا، ولك في النبي الكريم يوسف القدوة والأسوة، فقد فعل إخوةُ يوسفَ مع يوسفَ ما فعلوا، وعندما اعتذروا قبِل عذرهم وصفَح عنهم الصفحَ الجميل، ولم يوبّخهم، بل دعا لهم وسأل الله المغفرةَ لهم،

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

[يوسف]

فغُضَّ عن الهفواتِ، واعفُ عن الزّلاّت، وأقِلِ العثرات، تجْنِ الودَّ والإخاء، واللينَ والصفاء، وتتحقَّقُ فيك الشهامةُ والوفاء، وداوِم على صِلة الرّحم، ولو قطعوا، وبادِر بالمغفرة، وإن أخطؤوا، وأحسِن إليهم وإن أساؤوا، ودَع عنك محاسبةَ الأقربين، ولا تجعَل عِتابَك لهم سبباً لبعدهم عنك، وكُن جوادَ النّفس كريمَ العطاء، وجانبِ الشحَّ، فإنّه من أسباب القطيعة، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

((إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ، أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا))

[أبو داود، أحمد]

قيل لأحدهم: ما حقّ الرّحم ؟ قال: " **تُستقبَل إذا أقبَلت، وتُتْبَع إذا أدبَرت** ".

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ:

((يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ))

[رواه مسلم]

أما إذا كانت الرحم فاجرة أو فاسقة، فتكون بالعظة والتذكير، وبألطف تعبير، وبذل الجهد الكبير، فإذا أعيتك الحيلة في هدايتهم كأن ترى منهم عناداً، أو استكباراً، أو أن تخاف على نفسك أن تتردى معهم، وتهوي في حضيضهم فابتعد عنهم، واهجرهم الهجر الجميل الذي لا أذى فيه ولا تحقير، وردد هاتين القاعدتين ؛ " **دع خيراً عليه الشر يربو** "، و " **درء المفاسد مقدم على جلب المنافع** "، وأكثر من الدعاء لهم بالهداية، وأعد الكَرة بعد الكَرة، والمرة تلو المرة.

وإكرامُ ذوي القراباتِ مأمور به، على ألاّ يكونَ في التّقديمِ بخسٌ لأحدٍ أو هضمٌ لآخرين، قال سبحانه:

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾

[الأنعام: 152]

ثمار صلة الرحم:

صلةُ الرّحم تدفَع بإذن الله نوائبَ الدّهر، وترفع بأمرِ الله عن المرء البَلايا، قَالَ جبريل للنبي (ص):

((﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ))

[رواه البخاري ومسلم عن عائشة]

لقد خلق الله الرحمَ، وشقَقَ لها اسمًا من اسمِه، ووعَد ربُّنا جلّ وعلا بوصلِ مَن وصلَها، ومَن وصَله الرحيمُ، وصلَه كلُّ خير، ولم يقطَعه أحد، ومن بتَره الجبّار لم يُعلِه بشرٌ، وعاشَ في كَمَد،

﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾

[الحج: 18]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾))

[متفق عليه]

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ))

[مسلم]

صلةِ الرّحم ؛ محبّةٌ للأهل، وبَسطُ الرّزق، وبركةُ العُمر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي أَثَرِهِ))

[رواه أحمد]

وفي صحيح البخاريّ ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[متفق عليه]

صلةُ الرّحم أمارةٌ على كَرَم النّفس، وسَعَةِ الأفُق، وطيبِ المنبَتِ، وحُسن الوَفاء، ولهذا قيل: مَن لم يَصْلُحْ لأهلِه لم يَصْلُحْ لك، ومَن لم يذُبَّ عنهم لم يذبَّ عنك، يُقْدِم عليها أولو التّذكرةِ وأصحابِ البصيرة.

وصلة الرحم مدعاة لرفعه الواصل، وسبب للذكر الجميل، وموجبة لشيوع المحبة، وعزة المتواصلين. صلة الرحم تقوّي المودَّة، وتزيدُ المحبّة، وتتوثَّق عُرى القرابةِ، وتزول العداوةُ والشّحناء، فيها التعارفُ والتواصلُ والشعور بالسّعادة .

واقع معظم المقصرين:

كثير من الناس مضيعون لهذا الحق، مفرطون فيه، فمن الناس من لا يعرف قرابته لا بصلة ولا بمال، ولا بجاه ولا بحال، ولا بخلق ولا بود، تمضي الشهور وربما الأعوام ولا يقوم بزيارتهم، ولا يتودد إليهم لا بصلة ولا بهدية، ولا يدفع عنهم مضرة ولا أذية، بل ربما أساء إليهم، وأغلظ القول لهم.

ومن الناس من لا يشارك أقاربه في أفراحهم، ولا يواسيهم في أتراحهم، ولا يتصدق على فقرائهم، بل تجده يقدم عليهم الأباعد في الصلات والهبات.

ومن الناس من يصل أقاربه إن وصلوه، ويقطعهم إن قطعوه , وهذا في الحقيقة ليس بواصل، وإنما هو مكافئ للمعروف بمثله، وهو حاصل للقريب وغيره، والواصل حقيقة هو الذي يتقي الله في أقاربه، فيصلهم لله سواء وصلوه أو قطعوه، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنْ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا))

[البخاري]

ومن مظاهر القطيعة: أن تجد بعض الناس يحرص على دعوة الأباعد، ويغفل أو يتغافل عن دعوة الأقارب، وهذا مالا ينبغي ؛ فالأقربون أولى بالمعروف قال الله عز وجل:

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾

[الشعراء:214]

نتائج قطيعة الرحم:

إنّ معاداة الأقاربِ شرّ وبلاء، الرّابح فيها خاسِر، والمنتصِر مهزوم، وقطيعةُ الرّحم مِن كبائر الذّنوب، وقبائح العيوب متوَعَّدٌ صاحبُها باللّعنةِ والثبور، قال تعالى:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾

[محمد: 22 . 23]

فالتدابرُ بين ذوِي القربَى مؤذِنٌ بزوالِ النِّعمة وسوءِ العاقبةِ وتعجيلِ العقوبة، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ))

[رواه البخاري ومسلم]

فعقوبتُها معجَّلة في الدّنيا قبلَ الآخرة، فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْبَغْيِ ـ أي الظلم ـ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ))

[رواه الترمذي]

قطيعة الرحم سببٌ للذِلّة والصّغار، والضّعفِ والتفرّق، مجلَبةٌ للهمّ والغمّ، فقاطعُ الرّحم لا يثبُت على مؤاخاة، ولا يُرجَى منه وفاء، ولا صِدقٌ في الإخاء، يشعر بقطيعةِ الله له، ملاحَقٌ بنظراتِ الاحتِقار، مهما تلقَّى من مظاهِر التبجيل، لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يستوحِشون مِن الجلوس مع قاطِع الرّحم.

الخطوة العملية:

ومن كان بينه وبين رحمٍ له عداوة فليبادِر بالصّلة، وليعفُ وليصفح،

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾

[الشورى: 40]

وإنّ لحُسنِ الخُلُق تأثيرًا في الصّلة، والزَم جانبَ الأدَب مع ذوي القربَى، فإنّ مَن حَفِظَ لسانَه أراح نفسَه، وللهديّةِ أثرٌ في اجتلابِ المحبّة، وإثباتِ المودّة وإذهابِ الضغائن، وتأليفِ القلوب.

والرسول صلى الله عليه وسلم يحذرنا من الخصام والخلاف والقطيعة فعَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ))

[البخاري]

ويقول ربنا سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

[فصلت]

يحذرنا صلى الله عليه وسلم من مصير قاطع الرحم، فعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ))

قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ.

[متفق عليه]

واحذروا أيها المؤمنون من قطيعة الرحم، فإنها سبب للعنة الله وعقابه، يقول الله عز وجل:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾

[محمد]

ويقول تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾

[الرعد]

من هدي النبي ص في صلة الرحم:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرق الناس، وأعفهم، وأوصلهم، وأحلمهم ؛ ولذلك ذكر الله خُلُقَه ومناقبه في القرآن، فقال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[القلم:4]

وقال له:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

[آل عمران:159]

فقد بلغ في صلة الرحم مبلغاً عظيماً، ضرب به المثل على مرِّ التاريخ، فما سمعت الدنيا بأوصل منه صلى الله عليه وسلم، قام قرابته . أبناء عمه وأقاربه . فأخرجوه من مكة، وطاردوه وشتموه وآذوه، حاربوه في المعارك، ونازلوه في الميدان، وقاموا بحرب عسكرية وإعلامية واقتصادية ضده، فلما انتصر ماذا فعل ؟

دخل مكة منتصراً ، ووقفت له الأعلام مكبرة، وطنت بذكر نصره الجبال والوهاد، فلما انتصر، وقف عند حلق باب الكعبة صلى الله عليه وسلم منحنياً، وهو يقول للقرابة وللعمومة:

((ما ترون أني فاعل بكم ؟ فيتصورون الجزاء المر، والقتل الحار، والموت الأحمر، فيقولون وهم يتباكون: أخ كريم، وابن أخ كريم، فتدمع عيناه، ويقول: اذهبوا فأنتم الطلقاء))

[السيرة النبوية]

كأنه يقول: عفا الله عنكم وسامحكم.

ويأتي ابن عمه أبو سفيان بن الحارث، فيسمع بالانتصار، وقد آذى الرسول عليه الصلاة والسلام، وشتمه وقاتله، فيأخذ هذا الرجل أطفاله، ويخرج من مكة، فيلقاه علي بن أبي طالب، ويقول: يا أبا سفيان ! إلى أين تذهب ؟ قال: أذهب بأطفالي إلى الصحراء فأموت جوعاً وعرياً! والله إن ظفر بي محمد ليقطعني بالسيف إرباً إرباً ! فيقول علي . وهو يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخطأت يا أبا سفيان ! إن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصل الناس، وأبر الناس، وأكرم الناس، فعد إليه، وسلم عليه بالنبوة، وقل له كما قال إخوة يوسف ليوسف:

﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾

[يوسف:91]

فيأتي بأطفاله، ويقف على رأس المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويقول: يا رسول الله! السلام عليك ورحمة الله وبركاته:

﴿ تَا للَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾

فيبكي عليه الصلاة والسلام، وينسى تلك الأيام، وتلك الأعمال، وتلك الصحف السوداء، ويقول:

﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

ويقول أبو سفيان بن حرب: يا بن أخي، ما أوصلك ؟ ما أرحمك ؟ ما أحكمك ؟ ما أعقلك؟

فهل من متسم بأخلاقه ؟ وهل من مقتد بأفعاله؟ فإنه الأسوةُ الحقة، وإن اتباعه نجاة من العار والدمار والنار.

تأتيه أخته من الرضاعة صلى الله عليه وسلم، وقد ابتعدت عنه عقوداً عديدة، فتأتيه وهو لا يعرفها، وهي لا تعرفه، وتسمع وهي في بادية بني سعد في الطائف بانتصاره، فتأتي لتسلم على أخيها من الرضاع، وهو تحت سدرة عليه الصلاة والسلام، والناس بسيوفهم بين يديه، وهو يوزع الغنائم بين العرب، فتستأذن، فيقول لها الصحابة: من أنت ؟ فتقول: أنا أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، أنا الشيماء بنت الحارث أرضعتني أنا وإياه حليمة السعدية، فيخبرون الرسول عليه الصلاة والسلام فيتذكر القربى وصلة الرحم، ويقوم لها ليلقاها في الطريق، ويرحب بها ترحيب الأخ لأخته بعد طول غياب، وبعد الوحشة والغربة، ويأتي بها ويجلسها مكانه، ويظللها من الشمس.

تصوروا رسول البشرية، ومعلم الإنسانية، ومزعزع كيان الوثنية، يظلل هذه العجوز أخته من الرضاع من الشمس، ويترك الناس وشئون الناس، ويقبل عليها ويسألها، ويقول لها: يا أختاه كيف حالكم ؟: يا أختاه اختاري الحياة عندي، أو تريدين أهلك ؟ فتقول: أريد أهلي، فيمتعها بالمال ويعطيها مئة ناقة، ليعلمِ الناس صلة الأرحام .

يا سيدي، يا رسول الله، يا من كانت الرحمة مهجتك، والعدل شريعتك، والحب فطرتك، والسمو حرفتك، ومشكلات الناس عبادتك !!!

يا سيدي يا رسول الله، نقل عنك في أحاديثك الصحيحة، أنك تقلق أشد القلق، يوم القيامة على أمتك، فتقول أمتي، أمتي، فيقال لك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك ؟

يا سيدي يا رسول الله، الذي أحدثوه بعدك أنهم قطعوا عماتهم وخالاتهم، وبناتهم وأخواتهم ؟ وحرموهن من الميراث الذي فرضه الله لهن، وقطعوهن من الصلة والزيارة ؛ حتى سمعنا ورأينا من الأمهات الفقيرات من تضطر الواحدة منهن أن تقيم دعوى على ابنها المترف من أجل أن ينفق عليها، هان أمر الله علينا من بعدك فهنا على الله .

أسباب قطيعة الرحم:

وإذا أنعمنا النظر في أسباب قطيعة الأرحام ؛ وجدنا أن من تلك الأسباب:

1. الجهل بعواقب القطيعة، والجهل بفضائل الصلة، والتفكر في الآثار المترتبة على الصلة ؛ فإن معرفة ثمرات الأشياء، واستحضار حسن عواقبها من أكبر الدواعي إلى فعلها، وتمثلها، والسعي إليها، وكذلك النظر في عواقب القطيعة، وتأمل ما تجلبه من هم، وغم، وحسرة، وندامة، ونحو ذلك، فهذا مما يعين على اجتنابها، والبعد عنها.

2. ضعف التقوى، والكبر، فبعض الناس إذا نال منصباً رفيعاً، أو حاز مكانة عالية، أو كان تاجراً، أو مشهوراً ؛ تكبر على أقاربه، وأنف من زيارتهم والتودد إليهم.

ومما يحبب الإنسان لقرابته، ويدنيه منهم تواضعه ولين جانبه:

من كان يحلم أن يسود عشيرة فعليه بالتقوى و لين الجانب

و يغض طرفاً عن مساوي من أسا منهم ويحلم عند جهل الصاحب

3. الانقطاع الطويل الذي يقود إلى الوحشة، واعتياد القطيعة.

4. العتاب الشديد، فبعض الناس إذا زاره أحد من أقاربه ؛ أمطر عليه وابلاً من التقريع والعتاب على تقصيره في حقه , وإبطائه في المجيء إليه ؛ ومن هنا تحصل النفرة من ذلك الشخص، والهيبة من المجيء إليه. وعلاج ذلك تحمل عتابهم، وحمله على أحسن المحامل، فهذا أدب الفضلاء، ودأب النبلاء ممن تمت مروءتهم، وكملت أخلاقهم، وتناهى سؤددهم، ممن وسعوا الناس بحلمهم، وحسن تربيتهم، وسعة أفقهم ؛ فإذا عاتبهم أحد من الأقارب، وأغلظ عليهم، لتقصيرهم في حقه ؛ لم يثرّبوا عليهم، ولم يجاروه في عتابه بل

يتلطفون به، ويحملون عتابه على المحمل الحسن، فيرون أن هذا المعاتب محب لهم، حريص على مجيئهم ويشعرونه بذلك، ويشكرونه، ويعتذرون إليه، حتى تخف حِدَّتُه، وتهدأ ثورته، فبعض الناس يقدر ويحب ؛ ولكنه لا يستطيع التعبير عن ذلك إلا بكثرة اللوم والعتاب، والكرام يحسنون التعامل مع هؤلاء، ولسان حالهم يقول: لو أخطأت في حسن أسلوبك ما أخطأت في حسن نيتك.

5. التكلف الزائد، فهناك من الناس من إذا زاره أقاربه تكلَّف لهم أكثر من اللازم، وخسر الأموال الطائلة، وقد يكون – مع ذلك – قليل ذات اليد، ومن هنا تجد أقاربه يقصرون عن المجيء إليه، خوفاً من إيقاعه في الحرج.

6. وتجد من إذا زاره أقاربه لم يهتم بهم، ولم يصغ لحديثهم، ولا يفرح بمقدمهم، ولا يستقبلهم إلا بكل تثاقل وبرودة، مما يقلل رغبتهم في زيارته.

7. الشح والبخل، فمن الناس من إذا رزقه الله مالاً أو جاهاً تهرب من أقاربه، حتى لا يرهقونه بطلباتهم المتنوعة.

وعلاج ذلك بذل المستطاع لهم من الخدمة بالنفس، أو الجاه، أو المال، وأن يدع المنة عليهم، والتعاون على حل مشكلاتهم المادية والاجتماعية والدينية، فإذا ما احتاج أحد من أفراد الأسرة مالاً لزواج، أو نازلة أو غير ذلك ؛ قاموا بدراسة حاله، ورفدوه بما يستحق، فهذا مما يولد المحبة بين الأقارب.

8 . تأخير قسمة الميراث، فقد يكون بين الأقارب ميراث لم يقسم، إما تكاسلاً منهم، أو قلة وفاق فيما بينهم، وكلما تأخر قسم الميراث شاعت العداوة، وكثرت المشكلات، وزاد سوء الظن، وحلت القطيعة.

9. الشراكة بين الأقارب، فكثيراً ما يشترك الإخوة أو غيرهم من الأقارب في مشروع أو شركة ما، دون أن يتفقوا على أسس ثابتة، ودون أن تقوم الشراكة على الوضوح والصراحة، بل تقوم على المجاملة، والحياء، وحسن الظن. فإذا زاد الإنتاج، واتسعت دائرة العمل ؛ دب الخلاف، وساد البغي، ونزغ الشيطان، وحدث سوء الظن خصوصاً إذا كانوا من قليلي التقوى والإيثار، أو كان بعضهم مستبداً برأيه، أو كان أحد الأطراف أكثر جدية من صاحبه، ومن هنا تسوء العلاقة، وتحل الفرقة، وربما وصلت بهم الحال، إلى الخصومات في المحاكم ؛ فيصبحون سبّة لغيرهم.

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾

[ص: 24]

10. الاشتغال بالدنيا، والانشغال بها عن أداء واجباته تجاه أرحامه، لذلك وجب أن تكون لهم اجتماعات دورية شهرية أو نصف شهرية، أو نحو ذلك.

11. والطلاق بين الأقارب إذا لم يكن بإحسان.

12. وبُعد المسافة، والتكاسل عن الزيارة.

13. وقد يكون التقارب في المساكن بين الأقارب مسبباً للقطيعة بسبب ما يكون من التزاحم على الحقوق، وبسبب ما يحدث بين الأولاد من مشكلات قد تنتقل إلى الوالدين .

14. قلة التحمل، والصبر على الأقارب.

15. ونسيانهم في الولائم والمناسبات، فقد يفسر هذا النسيان بأنه تجاهل واحتقار، فيقود ذلك الظن إلى الصرم والهجر.

ومن الطرق المجدية أن يسجل أسماء أقاربه، وأرقام هواتفهم، ثم يحفظها عنده، حتى يستحضرهم جميعاً، ويتصل بهم إما مباشرة أو عبر الهاتف، أو غير ذلك.

الإخلاص في صلة الرحم:

يراعي في صلة الأرحام أن تكون الصلة قربة لله، خالصة لوجهه الكريم، وأن تكون تعاوناً على البر والتقوى، ولا يقصد بها حمية الجاهلية.

أيها الإخوة الأكارم، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

إنّ الجاليات الإسلامية والعربية منتشرة في شتى بقاع الأرض، وبعض الجاليات في بعض البلاد الغربية القريبة والبعيدة تفوقت تفوقاً يلفت النظر، فبينما لا يزيد عدد الحاملين للدكتوراه، من السكان الأصليين على الثمانية بالألف نجد أن الذين يحملون الدكتوراه في الجاليات الإسلامية يزيد على ثلاثة وثلاثين في الألف، هؤلاء المتفقون علمياً تسلّموا مناصب رفيعة في بلاد المهجر في الطب والفلك والاقتصاد والذرة.

والآن، ما علاقة أفراد الجاليات الإسلامية بموضوع الخطبة اليوم (صلة الأرحام) ؟

الحقيقة أن أفراد الجاليات الإسلامية والعربية هؤلاء ينبغي أن يكونوا رسلاً لإسلامهم ولأوطانهم، وهم إذ ينقلون للغرب القريب والبعيد حقائق الإسلام ومبادئه وقيمه، دعوة، ويطبقونها منهجاً في حياتهم، يأخذ الغرب من الإسلام موقفاً غير هذا الموقف الذي يؤلمنا أشد الألم، وهم إذ ينقلون لأمتهم التي ترعرعوا في كنفها، ونبت لحمهم من خيراتها، وتلقوا العلم في جامعاتها، أفضل ما في الغرب من علم ونظام وعمل دؤوب، ولا ضير في ذلك، لأن ثقافة أية أمة هي ملك البشرية جمعاء، لأنها بمثابة عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مر الأجيال، وهل يعقل إذا لدغتنا جماعة من النحل أن نقاطع العسل الذي حصلته من أزهارنا ؟ فإن فعلت الجاليات الإسلامية والعربية ذلك تكون قد وصلت رحمها بطريقة معاصرة، ولا أدل على ذلك من أن كبار مفكري الغرب يعترفون بفضل الحضارة الإسلامية على العالم.

يقول غوته: إن دين الإسلام دين إخلاص، ودين اجتماع وأخلاق، ورعاية لبني الإنسان.

ويقول برناردشو: الإسلام هو الدين الذي نجد فيه حسنات الأديان كلها، ولا نجد في الأديان حسناته.

ويقول غوستاف لوبون: إن الأمم لم تعرف بحق فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم.

ويقول ولي عهد بريطانية: إن كثيراً من المزايا التي تفخر بها أوربة العصرية جاءت أصلاً من إسبانيا في أثناء الحكم الإسلامي.

ويقول ديورانت: إن محمداً . ص . كان من أعظم عظماء التاريخ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي للناس، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانِه فيه أيّ مصلح آخر.

لذلك استضاف معرض فرانكفورت الدولي للكتاب الحضارة العربية والإسلامية لت

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-5) : صلة الرحم و أهميتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أسباب زيادة الرِّزق :

1 . الاستقامة :

نصوص في القرآن تؤكد أسباب زيادة الرِّزق:

﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾

[سورة الجن الآية:16]

فالاستقامة أحد أسباب زيادة الرزق.

آية ثانية:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة الأعراف الآية:96]

حديث يؤدي المعنى نفسه: قد يُحرم المرء بعض الرزق بالمعصية؛ فبالاستقامة يزداد الرزق, وبالمعصية يقل الرزق:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾

[سورة طه الآية:132]

بيت تقام فيه الصلاة يزداد رزقه؛ محل تجاري, معمل تؤدَّى فيه الصلاة, أي يسمح رب العمل للموظفين أن يذهبوا للصلاة؛ أنا زرت معملاً الأوقات الخمس يؤذن المؤذن، وفي المعمل مسجد, يتجه كل العمال إلى المسجد ليصلوا:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً﴾

[سورة طه الآية:132]

2 . الاستغفار :

هناك عامل ثان:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً

[سورة نوح الآية:10]

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً﴾

[سورة نوح الآية:11]

الاستغفار؛ إنسان أخطأ فاستغفر, الاستغفار أحد أسباب زيادة الرزق.

3 . صلة الرحم :

السبب الآخر في زيادة الرزق الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري, ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((مَن أحب أن يَبسُطَ اللهُ عليه في رِزْقِهِ، أو يَنْسَأ في أثرِه . أي في أجله . فَلْيَصِلْ رحمه))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك]

طبعاً صلة الرحم لا تعني أنك أنت زرت أختك, بل أبلغ من ذلك؛ زرتها أولاً, وتفقدت أوضاعها ثانياً, ودللتها على الله ثالثاً؛ زيارة, تفقد ومساعدة, دلالة على الله عز وجل, وهذا أكمل شيء بالصلة.

إنسان الله عز وجل نوَّر له قلبه؛ له مجلس علم, له أخوات, ولأخواته بنات, فإذا زارهم يحتاجون إلى مساعدة في الشتاء على موسم المدارس, يحتاجون إلى مساعدة اجتماعية, مساعدة في حل مشكلة مثلاً بدوائر الدولة, فقدم خدمة لأخواته البنات, أو لبنات أخواته, أو لعمته, أو خالته, أو لأية جهة لها قرابة منهم؛ أولاً: اتصل؛ هاتف, زيارة, هذا أهون شيء, لا يوجد تكلف, ثم تفقد الأوضاع؛ هناك مشكلة, هناك مرض, تريد معالجة, هناك تصوير لمرض، لا يملكون ثمن هذه الصورة الغالية؛ اسأل, افهم القصة, ابذل, ادفع, ثم دلّ على الله.

هذا أكمل صلة للرحم, هذا العمل مثلاً يقتضي أن يزداد رزقك, وأن يطول عمرك؛ بمعنى أنه يزداد عملك؛ فهذا سبب من أسباب زيادة الرزق, وهذا الشيء ملاحظ.

الإنسان يُكرم بقدر عمله الصالح ويُضيَّق عليه بقدر بخله:

الملاحظ أن أكثر الأشخاص, الذي له اهتمام بأقربائه, يقول لك: عميد أسرته, هناك كبراء في كل أسرة؛ له هيمنة إحسانية, هيمنة اجتماعية, يتفقد أحوال أسرته؛ أخَوَاته, أخوته, أولاد أخواته؛ يقدم يد المساعدة, ثم يأخذ بيد هؤلاء إلى الله؛ هذا عمل عظيم, هذا يقتضي أن يزداد رزقك, وأن يمد في أجلك.

فكل إنسان له شرف, أو له عمل, يُعطى القوة والمال الكافيين لتحقيق مراده, والحقيقة:

((أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ))

[متفق عليه عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

((أنفق بلال، ولا تخشَ من ذي العرش إقلالا))

[رواه الطبراني عن ابن مسعود]

أنا أعرف أخَوَين؛ أخ يده طُولى في الخير, له من الأخوة سبع بنات, لا تخلو من مشكلة؛ هناك مشكلة مع زوجها, قضية مالية, معالجة طيبة, مساعدة مالية, فهذا الأخ كأنه أب لهؤلاء الأخوة, له أخ ثان ليس له علاقة؛ لا يقدم أية مساعدة, ولا اهتمام, ولا يزور, الفرق بالرزق واضح جداً؛ الأول رزقه وفير، والثاني الأمور عنده شحيحة جداً.

فالإنسان يُكرم بقدر عمله الصالح, ويُضيَّق عليه بقدر بخله؛ فكلما كنت كريماً كان عطاء الله لك كثيراً.

هذه نقطة دقيقة جداً، هذه كلها قوانين, تحب أن يزداد رزقك؟ اهتم بأهلك؛ اهتم بهم صلة, اهتم بهم مساعدة, اهتم بهم دلالة على الله عز وجل.

هناك قصة نموذجية حدثت مع أحد أخواننا؛ قال لي: زرت أختي, فوجدت أن هناك مشكلة بالبيت بينها وبين زوجها, أساسها . القصة قديمة جداً . ثلاثمئة ليرة في الشهر , تطالب الزوجة زوجها بمبلغ ثابت من أجل الكسوة, والحاجات, والزوج موظف, ودخله محدود؛ فرفض, وهناك مشاحنة بين الزوجين, فقال لي: تبرعت بهذا المبلغ مني, دخلي ليس كثيراً, و لكني قلت: أحل المشكلة, قال لها: المبلغ عندي, فبقي ستة أشهر ؛ كل شهر يطرق الباب, ويدفع هذا المبلغ, ثم بادرت أختي وقالت لي: أعطنا درساً يا أخي؛ وأنا لست طالب علم, لكن سررت بهذه المبادرة, و أصبحت أحضر نفسي؛ آية, حديث, قصة؛ أخته وبناتها, ثم أخته الثانية وبناتها, عنده ثلاث أخوات بنات, أصبح يعمل لقاء أسبوعياً؛ يعطي دروساً مبسطة، شرح آية, شرح حديث, سيرة, قصة, قال لي: أعانني الله وبعد فترة أكثر بنات أخواتي تحجبن, وأعانني الله عز وجل فزوجت ثلاثاً منهن لشباب مؤمنين, قال لي: لم أكن أتصور أن كل الخير جاء من هذه المساعدة الشهرية لإحدى أخواتي!

قل لي ما لا ترجو أرجى منك لما ترجو

***

بدأت بمساعدة, انتهت بهداية؛ إنسان يجد بنات أخواته كلهن محجبات, وينصعن له, والله عز وجل أكرمه, فزوجهن من شباب مؤمنين.

كل إنسان له شرف أو عمل يُعطى القوة والمال الكافيين لتحقيق مراده :

يجب على كل إنسان أن يهتم بأهله, المشكلة أن هؤلاء الأهل, هؤلاء الناس العاديون؛ أنت لهم, وغيرك لهم, أما أهلك فمن لهم غيرك؟

إذا كل إنسان اهتم بأسرته؛ ليست الضيقة, ليس أولاده فقط, الموسعة, أي أخواته البنات, أولاد أخواته، الذكور والإناث, أخواته الذكور , أولاد أخواته الذكور والإناث, اهتم بأخواله, بعماته، بأعمامه, هذه الأسرة, الذي يهتم بأقربائه في الدرجة الأوسع اهتماماً اجتماعياً, اقتصادياً, دينياً, الله عز وجل أولاً: يغنيه؛ لأن الله سوف يمده بمقومات عمله الصالح, والأمر بيد الله عز وجل.

مرة أخ من أخواننا توفي ابن عمه وهو أستاذ جامعة, توفي بمرض في الكبد, فقال لي: أول زيارة أثناء تغسيله, سأل ابنه: عليكم ديون؟ قال: والله علينا ديون, قال لي: استحيت أن أقول: كم المبلغ؟ قال لهم: دينكم عليّ, وانطلق ذهنه إلى ثلاثين, أو أربعين ألفاً، وهو يستطيع أن يدفعهم, في اليوم الثاني تفاجأ أن قيمة الديون تقدر بمئة وثلاثين ألفاً, قال لي: دفعتهم, ولهذا الشخص معمل، قال لي: على غير المألوف؛ بعنا في اليوم الثاني بيعاً غير معقول, أقسم لي بالله: أن نصيبه من الربح في يوم السبت وحده كان مئة وثلاثين ألفاً, بقدر ما دفع لأولاد ابن عمه اليتامى:

((أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ))

[متفق عليه عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

إذا كان لك اهتمام بأقاربك؛ تحب أن يكون لك فضل علمي, وديني, واقتصادي, الله عز وجل يمدك بالمال الكافي لتحقيق هدفك, فالإنسان لا يبخل, ولا يغير عوائد عوَّد الناس عليها.

وهناك حديث دقيق:

((مَن أحب أن يَبسُطَ اللهُ عليه في رِزْقِهِ، أو يَنْسَأ في أثرِه؛ فَلْيَصِلْ رحمه))

[رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك]

وله رواية ثانية:

((من سرَّه أن يَبسُطَ اللهُ عليه في رِزْقِهِ، أو يَنْسَأ في أثرِه؛ فَلْيَصِلْ رحمه))

[رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك]

لا يدخل الجنة قاطع رحم :

وعن أبي هريرة . رضي الله عنه . أن رجلاً قال :

((يا رسولَ الله! إن لي قرابة أصلِهُم ويقطعونني، وأُحْسِن إليهم ويُسيئُون إليَّ، وأحلُم عنهم، ويجهلون عليَّ؟))

توجد حالات يقال: الأقارب عقارب؛ هو يعمل واجباته؛ في الأعياد, في المناسبات, هم يترفعون، يزورهم يقطعوه، يمدحهم يذموه, يحسن إليهم يسيئون إليه, هناك حسد أحياناً إذا كان إنسان في بحبوحة, أو في مكانة عالية, الطرف الثاني أحياناً يحسد، بدلاً من أن يعتز بك و يعتبر التفوق له, لا؛ يحسدك, يحاول أن ينتقص منك, يطعن, يشوه سمعتك, فالحسد واضح:

((يا رسولَ الله! إن لي قرابة أصلِهُم ويقطعونني، وأُحْسِن إليهم ويُسيئُون إليَّ، وأحلُم عنهم، ويجهلون عليَّ؟ قال: لئن كنتَ كما قلتَ فكأنما تُسِفُّهُم الملَّ . الملّ: صفوة حارة, أي انطفأ الجمر, بقيت الصفوة الحارة, شيء صعب جداً, إنسان يأكل صفوة حارة!. قال: فكأنما تُسِفُّهُم الملَّ، ولن يزال معك من الله ظهير عليهم ما دُمتَ على ذلك))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((لا يدخل الجنة قاطع رحم))

[أخرجه البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم]

قاطع الرحم لا يدخل الجنة, ولا تعرف أنت كم هي السعادة التي تغمر المرأة حينما يزورها أخوها؟ هناك أخوات كثر في قطيعة؛ أخوها دعاها, أخوها زارها, تعتز أمام أولادها, وزوجها, أما عندما الأهل يقاطعون ابنتهم؛ تصبح مقطوعة, يضعف مركزها أمام زوجها, فأنت تدعمها عندما تزورها, وتدعوها, أنت تجلبها إليك, وتشعر أولادها وزوجها أنها غالية عليك, هذا الشيء يثبت أنه يوجد من يهتم بها.

أما عندما تجد الفتاة مقطوعة, لا أحد يهتم بها, أحياناً الزوج يسيء إليها, يقول لك: ليس لها أحد, لا أحد يهتم بها إطلاقاً, أما في المناسبات أخوتها عندها دائماً؛ هناك زيارات, واهتمام, وهذا يقوي مركزها.

الإنسان الذي يقطع رحمه محروم من الجنة إلا في حالات نادرة هي :

لذلك الإنسان الذي يقطع رحمه محروم من الجنة, إلا في حالات نادرة:

إذا الإنسان زار أقرباءه المتفلتين, والمتفلتات؛ وتشوَّه دينه, واضطربت علاقته مع الله؛ لأنه يوجد تفلت, وبنات خالته, وبنات عمته, يقتحمن عليه، يردن محاكاته, ويضحكن على دينه, إذا كان هذا المستوى, قال: دع خيراً عليه الشر يربو, ودرء المفاسد مقدم على جلب المنافع.

والصلة أحياناً تتم بالهاتف, إذا كان الدخول لهذا البيت؛ فيه مشكلة, و تفلت, و استهزاء بالدين, و تطاول, يوجد أقرباء هكذا إذا كان عندهم قريب صاحب دين, أصبح شيخاً؛ جاء الشيخ, وصار الشيخ, وهم يسخرون، إذا كان الوضع هكذا فلست مكلفاً بهذه الصلة؛ ويمكن أن تتم صلة الرحم باتصال بالهاتف لخالتك, أو لعمتك.

على كلّ: الأصل ألا تجرك هذه الصلة إلى معصية, ألا تبنى على هذه الصلة معصية.

من قُطعت رحمه فوصلها دخل الجنة :

هناك نقطة مهمة يقول عليه الصلاة والسلام:

((ليس الواصلُ بالمكافئ, ولكن الواصلُ مَنْ إذا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

هذا نظام اجتماعي؛ أختي زارتني أزورها, لم تزرني لا أزورها، هناك دقة بالغة, انتبهت إلي، أنتبه إليها, هذا عند الله ليس له قيمة إطلاقاً, هذا المكافئ، أي دعتني أدعوها, لم تدعني لا أدعوها؛ هذا إنسان غير إسلامي، قال:

((ليس الواصلُ بالمكافئ, ولكن الواصلُ مَنْ إذا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

لو قاطعت, لو أهملت, إذا قطعت رحمه وصلها, أي أنا دعوة بدعوة, وزيارة بزيارة, هؤلاء النسوة، عندي زيارة لها, لا أزورها ليس لها عندي زيارة؛ ليست قضية إحسان, قضية معاملة بالمثل, ليس لك فضل إطلاقاً.

قال:

((ليس الواصلُ بالمكافئ, ولكن الواصلُ مَنْ إذا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

أقرباء الإنسان طريقه إلى الجنة :

وعن عائشة . رضي الله عنها . عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((الرَّحِمُ مُعلَّقة بالعرشِ، تقولُ: من وَصَلَني وَصَلَهُ اللهُ ومن قطعني قَطَعَهُ الله))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة]

وكل شخص يستطيع أن يصل إلى الجنة بأقربائه, إذا كنت لا تريد أن توسع أمورك, ضمن أقربائك أولاً: أولادك وبناتك, ثم أمك وأبوك, ثم أعمامك, وخالاتك, وأخوالك, وعماتك.

أقرباؤك طريقك إلى الجنة؛ بزيارتهم, بتفقد أحوالهم, بمساعدتهم, بهدايتهم إلى الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-5) : المفهوم الواسع لصلة الرحم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً ، و أرنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه ، و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الإنسان كائن اجتماعي مفطور على حبّ الجماعة :

أيها الأخوة الكرام : الإنسان كما تعلمون كائن اجتماعي ، ومعنى أنه اجتماعي أي مفطور على حبّ الجماعة ، مفطور على حب اللقاء مع أخيه الإنسان ، والعوام لهم كلمات كثيرة تؤكد هذا المعنى ، المكان مهما كان جميلاً من دون إنسان يؤنسك وتؤنسه لا قيمة لهذا المكان الجميل .

وما حبّ الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

***

فهذه الطبيعة الاجتماعية في الإنسان ، النبي عليه الصلاة والسلام رسخها ترسيخاً دقيقاً في أحاديثه الشريفة فيقول عليه الصلاة والسلام :

((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

يمكن أن يكون هذا الحديث الشريف نوعاً من التكافل الاجتماعي ، المجتمع كما تعلمون له خلايا ، وخلية المجتمع هي الأسرة ، والأسرة لها معنيان ؛ لها معنى واسع ومعنى ضيق ، من هم في بيت واحد هذا المعنى الضيق ، أما هذه الأسرة فلها جد كبير ، ولهذا الجد أولاد كثر ولكل ولد زوجة وأولاد ، فهذه الأسرة بمعناها الواسع أسرة الأب ، أو أسرة الأم ، هي التي عناها النبي عليه الصلاة والسلام بالرحم ، لو سألت العلماء عن معنى كلمة رحم يقولون: الأقرباء إما من جهة الأب وإما من جهة الأم ، الأعمام وأولاد

الأعمام وأولاد أولاد الأعمام هؤلاء رحم من جهة الأب ، والأخوال وأولاد الأخوال والخالات رحم من جهة الأم، أي كل أقربائك من جهة أمك ومن جهة أبيك هم رحمك ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

من معاني صلة الرحم تفقد الأحوال :

الحقيقة من بعض أحكام الزكاة أن الزكاة لا تقبل من الإنسان وفي أقربائه محاويج، لأن الأقربين أولى بالمعروف ، تصور كل مسلم تفقد أقرباءه ، أعمامه ، أولاد أعمامه ، عماته، أولاد عماته ، بنات عمه ، عماته ، بنات عماته ، تفقد هؤلاء الأقرباء ووصلهم ، ما معنى وصلهم ؟

من السذاجة أن نتصور معنى وصلهم أي زارهم فقط ، وصلهم لها معاني كثيرة من هذه المعاني أنه زارهم ، وأحياناً والله تأتي الزيارة مثلاً فتاة متزوجة يأتيها أخوها ليزورها فينعشها بهذه الزيارة ، يجبر خاطرها بهذه الزيارة ، تعتز بهذه الزيارة ، تفخر به أمام زوجها بهذه الزيارة، لا تقللوا من قيمة الزيارة ، والله الزيارة تفعل فعلاً سحرياً بين الأقارب ، من معاني صلة الرحم هذه الزيارة ، من معاني صلة الرحم تفقد الأحوال ، القرآن الكريم حينما وصف المحتاجين المؤمنين الصادقين بأنهم ، قال تعالى :

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

[سورة البقرة : 273]

الإنسان الذي يمكن أن تساعده تحسبه غنياً من شدة التعفف ، ولن يسألك ، لا يسأل وتحسبه غنياً ، فأنت إذا زرت أقرباءك ، سألت عن أحوالهم ، تفقدت شؤونهم ، سألت عن أوضاعهم وكنت أنت من أهل اليسار ، كنت أغنى منهم ومددتهم بطريقةٍ أو بأخرى ، بأسلوب أو بآخر ، إما على شكل هدية ، أو على شكل معاونة، أو على شكل قرض ، إذا تفقدت أحوالهم عشنا فيما يسمى بالعصر الحديث بالضمان الاجتماعي ، أي الإنسان في بلدة فيها خمسة ملايين من يعرف ؟ لا يعرف أحداً ، من الصادق ؟ لا يعرف ، من الكاذب؟

لا يعرف، لكن أقرباءه يعرفهم معرفةً دقيقة ، يعرف البئر وما تحت البئر وما فوق البئر لا يغتر بالمظاهر، يوجد أشخاص لهم مظاهر مقبولة ، فلذلك النبي عليه الصلاة والسلام بهذا الحديث الشريف رسخ المعنى الاجتماعي في الإنسان .

((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

عوامل زيادة الرزق :

نحن مرة قلنا : إنه لا يوجد إنسان لا يتمنى رزقاً وفيراً على الإطلاق من دون استثناء ، يا ترى الرزق مقسوم أم غير مقسوم ؟ الحقيقة مقسوم في حده الأدنى ، لكن الرزق يتبدل ، يزيد وينقص وذكرنا في حينه أن من عوامل الزيادة الاستقامة ، قال تعالى :

﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾

[سورة الجن الآية : 16-17]

من عوامل الزيادة الأمانة :

((الأمانة غنىً))

[القضاعي عن أنس]

من عوامل الزيادة إتقان العمل :

((إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه))

[الجامع الصغير عن عائشة]

من عوامل الزيادة أن تتصدق :

((صدقة السر تطفئ غضب الرب))

[المعجم الأوسط عن عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده]

((استمطروا الرزق بالصدقة))

[الجامع الصغير عن جبير بن مطعم]

إذاً الرزق يزداد بالصدقة ، ويزداد بالإتقان ، ويزداد بالاستقامة ، ويزداد بصلة الرحم، أحياناً لا من قبيل الجزم بل من قبيل التكهن ، تجد في أسرة ما رجل من أهل الغنى يتفقد كل أفراد أسرته الأباعد ، هذا الشاب يدعمه، وهذا يؤمن له عملاً ، وهذا يقرضه ، وهذا يبحث له عن بيت ، هذه الأخت يقدم لها ما تحتاج في فصل الشتاء ، فهذا الشخص الذي يرعى أفراد أسرته بالمعنى الواسع قد تجده غنياً ، والغنى بسبب هذه الأعمال

الطيبة ، فهذا كلام النبي عليه الصلاة والسلام ، والنبي لا ينطق عن الهوى ، وإذا كان كلامه لا ينطق عن الهوى إذاً من عند الله .

أحد أسباب زيادة الرزق أن يصل المؤمن رحمه:

إذاً :

((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

بعض شارحي الحديث فهموا هذا الكلام فهماً تفصيلاً ، إنسان له أخ لزوجته فهذا الأخ للزوجة قريب من أقرب الناس له ، وضعه مكانه في المحل التجاري ، هذا الإنسان لما وجد صهره أمن له عملاً وأكرمه أخلص له ، وأنت إذا كان عندك شخص غريب لا تعرف عن أمانته شيئاً ربما سرقك هذا الشخص الغريب ، أما هذا القريب فيوجد علاقات رحم ، علاقات قرابة ، فلو أمنت له عملاً عندك اطمأن قلبك لأمانته ولإخلاصه ، فهو يزيد لك إخلاصاً ونشاطاً ، وأنت تزيده مكافأةً وتشجيعاً ، فأحد أسباب توفيق الإنسان في أعماله أن يكون عنده مساعدون مخلصون أمناء ، وأقرب شيء القريب ، أنسب إنسان للعمل معك أقرباؤك ، فأنت إذا أمنت لهم أعمالاً وأغدقت عليهم من فضلك ومما أفاء الله عليك هذا العمل أغلب الظن ينجح .

إذاً إما أن نفهم الحديث بالمعنى أن الله سبحانه وتعالى بعنايةٍ إلهيةٍ مباشرةٍ يزيد في رزق هذا الواصل ، وإما أن طبيعة الصلة نفسها من لوازمها أنها تحيطك بأعوان مخلصين أمناء، لأنه يوجد موضوع دقيق تحدثت عنه من قبل كثيراً أن الزكاة سميت زكاةً لأنها تزكي نفس الغني ، وتزكي نفس الفقير ، وتزكي المال ، ومعنى تزكي أي تنمي ، أما نماء نفس الفقير فحينما يتفقده قريبه الغني بمساعدة ، بعمل طيب ، يشعر شعوراً غريباً إنه ليس هيناً على مجتمعه ، مجتمعه لن ينساه ، مجتمعه حريص عليه ، حريص على حاجاته، بهذه الطريقة تنمو نفس الفقير ، والغني إذا شعر أنه سبب لإدخال السرور على قلوب مئات الأسر ، وإنه في قلوب المئات ، وأن أسراً كثيرةً سعدت بعطائه تنمو نفسه ، نفس الغني تنمو ونفس الفقير تنمو والمال ينمو .

ومن معاني الزكاة أنها تطهر ، تطهر مال الغني من تعلق حق الغير به ، هناك قول معروف ثابت أن الحجر المغصوبةَ في دارٍ رهن بخرابها ، دار فيها مئة ألف حجر وحجر من هذه الحجارة مغتصبة ربما كان هذا الحجر سبباً في خراب هذه الدار كلها ، أي أنه إذا كان في هذا المال حق لفقير ، تعلق حق الغير به ربما كان سبباً لإتلاف المال ، فالزكاة من معانيها أنها تطهر المال من تعلق حق الغير به ، تطهر الفقير من الحقد ، وتطهر الغني من الشح ، ما الذي حدث ؟ صارت الزكاة تطهر وتنمي ، تطهر المال وتنميه ، وتطهر نفس الغني وتنمو بها، تطهر نفس الفقير وتسمو به ، هذه كلمة :

((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

هنا المعنى إما أن الله بطريقةٍ مباشرةٍ لا نعلمها يزيد رزقك ، وإما أن صلة الرحم نفسها ، أولاً الذي يصل رحمه ينفي عنه الأحقاد ، والذين وصلهم وأمدهم مما أمده الله به هؤلاء يحبونه ويحرصون على ماله هذا هو المعنى ، فالمعنى الأول أحد أسباب زيادة

الرزق أن يصل المؤمن رحمه .

صلة الرحم لا تعني الزيارة فقط بل تفقد الأحوال أيضاً :

وتحدثنا قبل قليل أن الصلة لا تعني الزيارة فقط تعني تفقد الأحوال ، لو فرضنا هذا القريب غني وأنت زرته يوجد صلة من نوع آخر تعني أن تدله على الله ، إذا الله عز وجل علمك أكرمك بالهدى ، علمك شيئاً من كتابه ، علمك شيئاً من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أعطاك منطقاً وقدرة على التوضيح والبيان ، فأنت في صلة الرحم تارةً عليك أن تزوره ، وتارةً عليك أن تمده مما أفاء الله عليك ، وتارةً عليك أن تقدم له نصيحةً ثمينةً مخلصةً . فإما أن تصله زيارةً ، وإما أن تتفقد أحواله المعشية ، وإما أن تدعوه إلى الله عز وجل ، هذه هي صلة الرحم ، وأنا أقترح على أخواننا الكرام أن يعملوا قوائم ، أولاد عمه ، أولاد عمه الأول ، الثاني ، هؤلاء أقرب الناس إليه ، أولاد خاله ، أولاد خالته ، أقرباؤك سجلهم في قائمة وحاول أن تتفقدهم مرة بالهاتف، مرة بالزيارة ، مرة بالسؤال عن صحتهم لعلهم مرضى لا سمح الله ، مرة بالإنفاق عليهم بشكل هدية ، أو بشكل معونة ، أو قرض ، ومرة بدعوتهم إلى الله عز وجل ، تصوروا لو كل مؤمن تعهد أقرباءه ، هذه شبكة متداخلة ، أي كل هذا المجتمع ينهض ، أما هذا الانتماء الفردي ، وتلك الروح الفردية ، هذه لا تليق بالمؤمن، يقول : دعهم وشأنهم لا يوجد فيهم خير ، نقول له : أنت حاولت ؟ هل زرتهم ؟ تلطفت معهم ؟ دعوتهم إلى درس ؟ أعطيتهم شريطاً مثلاً؟ ذكرتهم بآية ؟ ذكرتهم بحديث ؟ خدمتهم خدمة ؟ أي كل إنسان يتصور أنه من الممكن أن يكون داعية من دون أن يبذل جهداً ولاسيما في خدمة الخلق فهذا توهم خاطئ .

إطالة العمر لا تعني إطالته زمنياً بل غناه بالعمل الصالح :

((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

الأثر برأي شراح الحديث هو الأجل ، معنى ينسأ له في أجله ، هذا الكلام يتناقض مع قوله تعالى :

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلَا نَفْعاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾

[سورة يونس : 49]

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

[سورة المنافقون : 11]

أكثر العلماء قالوا : إن إطالة العمر لا تعني إطالته زمنياً ، بل تعني إطالته بأنه يغتني بالعمل الصالح .

يا أيها الأخوان : يوجد عمر تافه ويوجد عمر غني ، يوجد إنسان كل يوم عنده عشرات الأعمال الصالحة ، مئات الأعمال الصالحة ، كل يوم يرقى آلاف الدرجات عند الله عز وجل ، ويوجد إنسان يعيش ستين أو أربعين سنة لو جمعت كل أعماله لا تعادل جناح بعوضة ، عاش لذاته ، لمصالحه ، لشهواته ، لمتعه ، فالعمر الحقيقة لا يقاس بمدته يقاس بما يغني به من عمل صالح ، وكلكم تعرفون وهذا الشيء أنا أقوله كثيراً أنه يوجد علماء أسماؤهم على كل لسان ، كل يوم وفي كل مكان في العالم الإسلامي ، وعاشوا أقل من خمسين سنة ، عاشوا عمراً قصيراً ، ويوجد أشخاص عاشوا مئة وثلاثين سنة ، ولا أحد يعلم عنهم شيئاً ، لذلك اتفق أكثر العلماء في هذا الحديث على أن طول العمر لمن يصل رحمه متعلقة باغتناء هذا العمل في العمل الصالح .

التفاعل مع القرآن الكريم عند قراءته :

نحن دائماً كنا نتمنى على أخوتنا أن يعيشوا الإسلام لا أن يدرسوه ، أن تعيشه شيئاً آخر ، الإنسان أحياناً يمسك جريدة ويقرأ ، هذه يقرؤها وهذه لا يقرؤها ، لو فرضنا ينوي أن يشتري مركبة والأسعار غالية جداً ،

نظر فإذا في زاوية الجريدة قرار صغير بالسماح بالاستيراد من دون قيد أو شرط ، يقول لك : هبطت كل سيارة خمسمئة ألف بهذا القرار يفرح ، تفاعل مع هذه العبارة ، تفاعل تفاعلاً كبيراً ، والذي اشترى سيارة بسعر كبير جداً وينوي أن يتاجر بها وقرأ هذا القرار يتألم ألماً شديداً ، أنا سؤالي هل من الممكن أن تقرأ النص وتتفاعل معه وتعيشه ؟ المؤمن إذا قرأ القرآن الكريم ، إذا قرأ حديث رسول الله يتفاعل معه تفاعلاً شديداً ، فنحن شتان بين أن نقرأ النصوص وبين أن نعيش النصوص ، مثلاً لو سمعت عن المشردين ، عن هؤلاء الذين يهيمون على وجوههم حينما تقع مشكلات في بلاد ، حينما تقع حروب أهلية ، في هذه الأيام الباردة لا مأوى ولا تدفئة ، ولا طعام ولا دواء ، ولا شراب ، في العراء مئات الألوف مشردون ، إذا اطلعت على هذه الأخبار أو رأيتها بعينك وقرأت دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الحمد لله الذي آواني وكم من لا مأوى له ".

إذا الإنسان سافر إلى بلدة ولا يوجد غرف فارغة في الفنادق ، أول فندق وثاني فندق ورابع فندق ، طلب شقة لم يجد ، طلب غرفة ، وحتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل وهو في الطرقات لا يتذوق معنى المأوى إلا إذا عانى هذه المعاناة المؤلمة ، فنحن نريد أن نعيش هذه النصوص لا أن نقرأها ونبحث عن معانيها ، إذا عشنا النصوص كنا أشخاصاً آخرين، فإذا قرأناها قراءة سريعة ووقفنا عند معانيها الدقيقة أي أحياناً الإنسان يدعو الله سبحانه وتعالى ، يزور إنساناً معه مرض عضال ، لا يوجد أمل في الشفاء ، فإذا دعا بهذا الدعاء : " اللهم إنا نعوذ بك من عضال الداء " يقشعر جسمه ، تصيبه رعدة بسبب أنه قبل قليل رأى إنساناً مرض مرضاً شديداً ، وهذا المرض ميئوس من شفائه ، فنحن نريد إذا قرأنا القرآن أو قرأنا الحديث الشريف أن نتفاعل معه ، النبي عليه الصلاة والسلام هنا يقول لك : إذا وصلت رحمك زاد الله في رزقك ، ومن منا لا يتمنى أن يزيد رزقه وأن يعيش في بحبوحة ؟؟

صلة الرحم تبدأ بالزيارة و تنتهي بالدعوة إلى الله :

يا أخوان مرة ثانية : الصدقة تزيد الرزق ، وإتقان العمل يزيد الرزق ، أصحاب المصالح والحرف المتقنون هؤلاء لا يشكون البطالة أبداً ، الصدقة تزيد الرزق ، والإتقان والاستقامة والأمانة تزيد ، وصلة الرحم تزيد ، والاستغفار يزيد ، قال تعالى :

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ﴾

[سورة نوح : 10-12]

سبعة أشياء كلها تزيد الرزق ، وأحد هذه جميعاً صلة الرحم ، واتفقنا الرحم كل أقربائك من طرف الأب ، وكل أقربائك من طرف الأم ، ومعنى الصلة الزيارة أولاً ، وتفقد الأحوال المعشية ثانياً ، والدعوة إلى الله ثالثاً، وكل واحد منا له أقرباء ، يحصيهم وكل جمعة عند قريب ، اثنان وخمسون أسبوعاً – جمعة – كل جمعة يعمل زيارة ، له أخوات متزوجات ، له بنات أخ متزوجات ، له عمات ، له خالات ، له أعمام ، له أولاد أعمام ، ولو كان بعيداً لك أجر ، الثواب على قدر المشقة ، فأنت طرقت بابه ، المؤمن مؤنس ، المؤمن كالكوكب الدري ، المؤمن إذا رئي ذكر الله به ، ألا تريد عملاً صالحاً ؟ يا بشر لا صدقة ولا جهاد فبم تلقى الله إذاً؟ هذا عمل متاح لكم جميعاً ، كل واحد منكم يتمكن أن يعمل بالجمعة زيارة إلى أقاربه ، إلا في حالات نادرة جداً إذا كان الأقارب متفلتين ، مستهزئين بالدين ، لا يمكن أن ينضبطوا ، لو دخلت عليهم لظهرت النساء الأجنبيات أمامك كاسيات عاريات ، لا ، في هذه الحالات نقول له: دع خيراً عليه الشر يربو، في مثل هذه الحالات نقول له : درء المفاسد مقدم على جلب المنافع، وهذه حالات نادرة ، ومع ذلك في مثل هذه الحالة قد يقوم الهاتف مقام الصلة ، اتصال هاتفي ، لك عمة وبنات عمتك لا يوجد بهم دين أبداً ومائعات ، فبهذه الحالة ممكن أن تتصل هاتفياً اطرق الباب عن بعد ، يلزم أي خدمة ؟

المؤمن هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنحن الآن الذي أرجوه من الله عز وجل هذا الحديث الصحيح ، وهذا الحديث في البخاري ومسلم ورواه الترمذي ، وأعلى أنواع الأحاديث ما ورد عند البخاري ومسلم معاً ، قال تعالى :

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾

[سورة النجم : 3]

وهذا منهج كل إنسان يأخذ أخوته الذكور ، وأخواته الإناث ، يوجد أولاد أخواته وبنات أخواته ، يوجد أولاد أخواته الإناث ، بنات أخواته الإناث ، ويوجد أعمامه وأولاد أعمامه ذكوراً وإناثاً ، ويوجد عماته وبنات عماته، طبعاً بنات العمات أجنبيات تزور أزواجهم ، ويوجد أخواله وخالاته ، ولأخواله أولاد ولخالاته بنات ، فإذا قصدت أن تصل الرحم كل أسبوع ساعتين يوم الجمعة صلة الرحم ، وكما اتفقنا الزيارة قد تفعل فعل السحر ، أو التفقد المعاشي ، أنت دخلك محدود اسع لهم في مساعدة بمعونة ، بحل مشكلة ، أحياناً تدلهم على طبيب، وأنت عندك معلومات عن أطباء متفوقين وهم لا يعرفون ، أحياناً تعطيهم شيئاً من خبرتك وهذه

مساعدة أيضاً ، الزيارة والتفقد المعاشي ، ثم الدعوة إلى الله ، أحياناً شريط يغير أسرة بأكملها ، اسمع هذا الشريط واحتسبه عند الله عز وجل ، في الجمعة الثانية خذ شريطاً ثانياً ، أنت دعوت إلى الله و أنت لا تدري لأنه بعد شهرين أو ثلاثة قد يأتي هؤلاء الشباب معك إلى المسجد ، هذه دعوة كبيرة جداً ، ممكن كل واحد أن يعمل شبكة علاقات مع أصدقائه ، وهذا أمر نبوي ، وهذه دعوة إلى الله عز وجل ، واتفقنا أن الزيارة أولاً، والخدمة ثانياً ، والدعوة إلى الله ثالثاً .

الله عز وجل يحبنا متعاطفين و متماسكين :

الحقيقة الزيارة تعطيك مجالاً أن تخدم ، والخدمة تعطيك مجالاً أن تدعو إلى الله ، كل شيء له سبب ، لما زرته تفقدت أحواله وخدمته وعرفت ما ينقصه ، مشكلاته ، له ابن يحتاج إلى جلسة توجيهية في الرياضيات وأنت أستاذ رياضيات شيء جميل ، له ابن يحتاج إلى أن يكون له عمل وأنت لك أصحاب أعمال حرة ، هذه الخدمة الصادقة التي تسديها إلى أقربائك هذه تقيم المودة بينك وبينهم ، ومن ثم ادعهم إلى الله إما مباشرةً إذا كنت متمكناً من علمك وإما عن طريق واسطة ، هذا أول حديث :

((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

والرحم كلمة واسعة جداً ، وتقول هذه الرحم : صل من وصلني واقطع من قطعني :

((عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ : اشْتَكَى أَبُو الرَّدَّادِ اللَّيْثِيُّ فَعَادَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ فَقَالَ خَيْرُهُمْ وَأَوْصَلُهُمْ مَا عَلِمْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا

[الترمزي عن أبي سلمة]

أنا يوجد شيء أعتز به ، أحياناً أزور أشخاصاً أشعر شعوراً غريباً أن هذه الأسرة متماسكة ، والله لا أغبط أسرةً على تماسكها كما أغبط أسرة مؤمنة على تماسك أولادها .

العلاقات بين الأخوة في أعلى درجات التضحية والوفاء ، فكل إنسان بحكمته يمكن أن يجعل أفراد أسرته إما بالمعنى الضيق ضمن البيت الواحد ، أو بالمعنى الواسع أخوانه المتزوجون

إذا زارهم ، وخدمهم ، وأعانهم ، أي أنت عرفت مكاناً تحضر منه زيتاً فرضاً ، تقول لهم : هل تحتاجون إلى زيت مثلاً ؟ هذه خدمة وتتنامى العلاقات بهذه الطريقة ، ابن أخيك بحاجة إلى خدمة وأنت قادر على أن تخدمه فيها ، فإذا شعر الأخ أن أخاه كأنه أب لأولاده والأخ الثاني أب لأولاد الأب الأول بهذا التعاطف ننجح .

والله يوجد أخ من أخواننا وأنا سمعت قصتين ، أول قصة أحد أخواننا له أخ توفي أقسم لي بالأيمان المغلظة أنه ما أدخل إلى بيته شيئاً من الفاكهة قبل بيت أخيه ، في نفس المستوى ، هذا أخ ، وأعرف قصة ثانية ، توفي الأب وترك ثلاث بنات ، فالعم جهد في تزويج بنات أخيه وكأنهن بناته ، ما فرق بين عنايته ببنات أخيه وعنايته ببناته ، الله عز وجل يرضى عن هذه الأسر ، يرضى عن هذه العلاقات الطيبة ، الإسلام تماسك ، طبعاً الأصل المؤمنون كلهم ، واليوم درسنا عن صلة الرحم بالذات ، عن الأقرباء ، وأنت يمكن أن يعم خيرك إلى أقربائك ، أن تعينهم ، أن تدلهم على الله ، أن تعينهم على أمر دنياهم ، أن تعينهم على أمر دينهم ، أن تتفقد أولاد أخوتك ، وهذا الذي يرضي الله عز وجل وقد قال عليه الصلاة والسلام :

((إِنَّ اللَّهَ لا يَجْمَعُ أُمَّتِي أَوْ قَالَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ضَلالَةٍ وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ))

[الترمزي عن ابن عمر]

ويوجد قول آخر :

((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ))

[البخاري عن ابن عمر]

والله عز وجل لا يحبنا إلا إذا كنا متعاطفين ، متكاتفين ، متماسكين .

المؤمن حريص على أهله وعلى أخواته :

نحن اخترنا حديثاً واحداً ولكن حول هذا الموضوع يوجد ثلاثون حديثاً في كتاب الترغيب والترهيب للمنذري ، هناك ثلاثون حديثاً صحيحاً كلها تؤكد صلة الرحم ، يقول لك : لا يوجد عمل صالح ، يوجد أعمال صالحة مفتحة أبوابها على مصراعيها ، أليس لك أقرباء ؟ تفضل وزرهم ، تفقدهم ، بالمناسبة قد يقول أحدكم : لا يوجد معي ما أعطيه ، نقول له : اسمع ما قال النبي عليه الصلاة والسلام :

((إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم))

[أخرجه أبو يعلى عن أبي هريرة]

أحياناً الإنسان يزور أقرباءه صباحاً يأخذ لهم كيلو فول ، والله لها معنى كبير ، دخل عليهم بشيء مهما بدا صغيراً ، الأخت يجبر بخاطرها إذا زارها أخوها ، قال لي شخص: هناك زوج شكا زوجته لأخيها فقال له : طلقها لا تحتاج إليها ، يوجد أخ تراه حريصاً إذا وجد خلافاً بين أخته وصهره يتدخل يزورهم ، يطيب قلب الصهر ، ينصح أخته ، ينبهها ، ويوجد أخ لا يسأل يقول : أختي حيوانة ، هكذا يقول . المؤمن حريص على أهله ، وعلى أخواته كلهم ، الذكور والإناث ، على أولاد أخواته ، فكلما الإنسان أعطاه الله شيئاً من الإيمان تجد خيره عميماً، والله أحياناً أيها الأخوة وجودك في بيت يساوي رحمانية إذا كان موصولاً بالله عز وجل ، يدخل إلى البيت فيصبح البيت نورانية ، كلهم في هدوء ، قبلوا منه النصيحة ، هناك مؤمنون دخلوا في صلحّ وتم على يديهم الصلح ، ترى أن هذه الأسرة تسعد بهذه الوساطة الطيبة .

أفضل شفاعة أن تشفع بين اثنين في نكاح ، أنا أقول : لا يوجد عمل أعظم من أسرة على وشك الشقاق ، على وشك فصم عرى الزوجية ، يأتي إنسان يتدخل إما بطلاقة لسانه، أو بنورانيته ، أو بذكائه ، أو بماله ، يتدخل ويصلح بين الزوجين ، هذه الأعمال الطيبة .

من عظمة القرآن الكريم أن معانيه واسعة جداً :

بالمناسبة أيها الأخوة الله عز وجل يقول :

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة الأنفال : 1]

ومن عظمة هذا الكتاب الكريم أن معانيه واسعة جداً ، أول معنى أي اصلحوا نفوسكم ، عرفها بالله عز وجل، احملها على طاعة الله ، اسم بها عن طريق الاتصال بالله.

المعنى الثاني لا تجعل العلاقة مع أخ سيئة – ذات بينكم – لك علاقة مع فلان فيها تشويش اعتذر منه ، قدم له هدية ، اجعل علاقة طيبة، إنسان وعدته ونسيت الوعد ، اذهب إليه بهدية واستسمح منه مثلاً ، لا تجعل علاقة مع أخ سيئة ، لأنها تتفجر ، أنت أخطأت معه

وقطعته ، وهو بدأ يتوهم ، عاش بأوهام بدأ وهو لا يدري يختلق لك الأخطاء ، وبدأ ينشر هذه الأخطاء ، ترى نفسك محاطاً بجو ليس في صالحك من أناس كثيرين ، أي مشكلة مع أخ سارع إلى حلها إما بالاعتذار ، وإما بالتوضيح ، وإما بالبيان ، وإما بالهدية ، وإما بالمعاونة ، وإما بالاعتذار ، سارع إلى حلها ، هذا معنى قوله تعالى :

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة الأنفال : 1]

يوجد مشكلة مع أخيك حلها ، مع ابن أخيك حلها ، يوجد مشكلة مع صديقك حلها، مع جارك ، الآن يوجد عندنا معنى ثالثاً لهذه الآية الكريمة ، أي أصلحوا كل علاقة بين اثنين ، أنت ليس لك علاقة وأنت طرف ثالث ، اسمع هذه الآية ما أجملها ، إما أن تصلح نفسك وإما أن تصلح كل علاقة بينك وبين غيرك ، وإما أن تصلح كل علاقة بين اثنين ، هذا عمل المؤمن، أحباب النبي عليه الصلاة والسلام يصلحون الناس إذا فسدوا ، فأنت الآن انوضعت في هذا الدرس أمام أبواب مفتحة من الأعمال الصالحة ، عمل صلة الرحم ، أن تتفقد أقرباءك بزيارات دورية ، وهذه الزيارات أولاً تمهد لخدمتهم ، وخدمتك لهم تمهد لدعوتهم إلى الله ، فإذا دعوتهم إلى الله فهم أقرب الناس إليك .

أنا أحياناً يأخذني العجب أخ بدأ لوحده ، ثم ابن عمه ، وصهره ، خلال خمس ست سنوات لا يوجد أحد ما أحضره إلى المسجد ، وعندما جاؤوا جميعاً إلى المسجد صار هناك تعاون بينهم ، صاروا جبهة واحدة ، لا يوجد مجال للخصومات والإرباكات في الأسرة الواحدة .

((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

حجم الإنسان عند ربه بحجم عمله الصالح :

أما تأخير العمر فالنبي صلى الله عليه و سلم عاش ثلاثاً وستين سنة ، قال أحد الفلاسفة الكبار الذي جمع علوم الدنيا وكان موسوعة عصره ، قال له أحد تلامذته المقربين : أنت والله مثل نبي ، لو دعوت لنفسك بالنبوة ؟ لم يجبه إطلاقاً ، قال : في إحدى الليالي الباردة جداً طلب منه أن يأتيه بماء من مكان بعيد ، فهذا الطالب تململ وقال له : الآن وقت غير مناسب والحرارة باردة جداً فقال له : لا بأس ، إلى أن حان وقت آذان الفجر فأيقظه وقال له : هذا النبي الكريم الذي جاء بهذه الأمة ؟؟ هذا المؤذن رغم البرد الشديد القارس

خرج من بيته في هذا الوقت ليؤذن للناس وهذا هو مقام الأنبياء ، وأنت رفضت أن تحضر لي كأس ماء من مكان بعيد ، فالنبوة مكان عظيم جداً .

ذكرت هذا الشاهد لأن الإنسان لا يستطيع أن يقدم شيئاً إلا إذا قدم خدمة ، قدم عملاً ، فالعمر يكون تافهاً بافتقاره للعمل الصالح ، ويكون ثميناً جداً وغنياً جداً حينما يغنيه صاحبه بالعمل الصالح .

دائماً أقول لكم هذا الكلام : أنت حجمك عند الله بحجم عملك الصالح ، أتمنى على كل واحد أن يسأل نفسه كل يوم ماذا فعلت اليوم ؟ إذا مضى يوم لم تزدد من الله علماً ولم تزدد منه قرباً ، إذا بعت بخمسمئة ألف كل يوم لست رابحاً ، لا بورك لي في طلوع شمس يوم لم أزدد فيه من الله علماً ، ولا بورك لي في طلوع شمس يوم لم أزدد فيه من الله قرباً ، والدليل قوله تعالى :

﴿ وَالْعَصْرِ*إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ*إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

[سورة العصر : 1-3]

أنا أذكر أخاً كريماً – وهذه القصة قلتها سابقاً – زار أخته بوقت غير مناسب ويوجد مشكلة بينها وبين زوجها، والمشكلة على مبلغ من المال تطالبه به كل شهر ولا يوجد معه ، وهو موظف ، والأمر تفجر في البيت ، وهذا الأخ دخله محدود لكنه مؤمن قال لها : يا أختي هذا المبلغ خذيه مني كل شهر ، قال لي : أول شهر طرقت الباب ودفعت هذا المبلغ ، وثاني شهر ، قال لي : ستة أشهر وأنا أدفع هذا المبلغ ، الشهر السادس طلبت مني أختي درساً لبناتها وهن بنات أختي ، جمعتهم كل خميس وأعطيتهم درساً عبارة عن آيتين وحديث وحكم فقهي وحفظ قرآن ، سبحان الله هؤلاء البنات بدأن يتحجبن ، وبدأ يزوجهن واحدة واحدة .

أنا بعد أن سمعت هذه القصة بالتفصيل قلت : يا رب زيارة عابرة لأخته جعلته داعيةً لله عز وجل ، ومكانته عند الله كبيرة إن شاء الله ، هذه هي صلة الرحم ، تأكل طعاماً طيباً بمفردك ولك أخ وابن أخ ، عم وخال ، أذقه ، فإذا الإنسان هداه الله ونوّر قلبه وأعانه على نفسه وصار إنساناً وفق المنهج الصحيح ليس له الحق أن ينسى أقرباءه ، وأقرب الناس إليه ، وأنا من يومين سئلت عن حقوق الزوجة على زوجها ، فكان الجواب فيه غرابة ؛ أول حق للزوجة على زوجها أن يدلها على الله ، هل من المعقول أنك تلبي لها كل حاجاتها المادية والمعنوية ولم تهتم بدينها ؟ ليس فيها دين دعها وشأنها الله يحاسبها ، هذه خيانة للزوج ، أهم شيء أن تعتني بدينها وتعرفها بالله عز وجل ، تعتني بصلاتها ، بدينها ، بتلاوتها للقرآن ، بمظهرها ، بحجابها ، فإذا أنت دللتها على الله فقد أعطيتها الحق الأول ، والباقي كله سهل .

المودة هي المظهر المادي للحب :

مرة رجل قال لي : انصحني قبل الزواج ؟ قلت له : يوجد وهم يقع فيه الأزواج يبقى الزوج أو الشاب في مقتبل زواجه معلقاً آمالاً لا تعد ولا تحصى أن هذه الزوجة سوف تسعده ، وسوف يغمس في سعادة لا توصف ، وهي معلقة آمالاً لا تعد ولا تحصى أن هذا الزوج سوف يعتني بها ، وسوف يخدمها ، هي بنت آمالاً باليمين ، وهو بنى آمالاً باليسار ، من أين يأتي الصدام ؟ هو يخيب آمالها وهي تخيب آماله ، قال لي : ما هو الحل ؟ قلت له : الحل يجب أن تتعرف إلى الله أنت أولاً حتى تسعد بقربه ، ثانياً : يجب أن تعرفها بالله حتى تسعد بقربه ، الآن المرحلة الثالثة تسعدك ، لا تسعدك إلا إذا سعدت أنت بالله وأسعدتها أنت بالله عندئذٍ عرفت حقوق الزوج ، كانت الصحابية تسأل زوجها قبل كل شيء ألك بي حاجة ؟ إذا قال لها : لا ، تذهب وتصلي ، تعرف حق زوجها ، أما كثير من الأخوان فيشكون لي إهمال زوجاتهم إهمالاً شديداً لماذا ؟

لأنها لا تعرف حق زوجها ، لو عرفها أبوها ، أو عرفتها أمها ، أو عرفتها أنت حق الزوج ، أو لو أنها اتصلت بالله عز وجل ، أو أنها قرأت القرآن وقرأت السنة قال : " اعلمي أيتها المرأة وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل الزوجة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله " كثير من القصص من السلف الصالح تبين أن النساء كانوا على مستوى عال جداً من معرفة حقوق الزوج ، البيوت كانت جنة ، أما الآن فترى البيوت جحيماً والسبب الجهل ، أساس الزوجة المؤمنة تتقرب إلى الله بخدمة زوجها ، والزوج المؤمن يتقرب إلى الله بخدمة زوجته ، المنفعة المباشرة غير ملحوظة في الموضوع ، ردود الفعل غير ملحوظة أما الآن فطالما أنه يوجد نفع سمعت عن إنسان زوجته أصابها مرض خطير بالعدوى فوراً طلقها ، وهي ليس لها ذنب ، عملت عملية في ألمانيا نُقل لها دم ملوث ، وعندها أولاد وهي امرأة طاهرة وشريفة لما علم أنها مصابة بهذا المرض فوراً طلقها ، هذا هو الوفاء ؟ أيضاً إنسان متزوج امرأة صار معها ورم في ثديها استؤصل ثديها فطلقها فوراً ، يوجد جهل ، قال تعالى :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة الروم : 21]

المودة المظهر المادي للحب ، إذا لم يكن هناك مودة ، لا يوجد مصلحة في هذا الزواج ، ألا يوجد رحمة ؟ نعم يوجد رحمة ، الحياة ليست كلها مصالح ومباهج ، في جانب منها أخلاقي ، إذاً لا تصدق أن في بيوت المسلمين مشكلة إلا وسببها معصية ، وكل معصية وراءها الجهل ، لذلك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم .

التفوق لا لمن سبق بل لمن صدق مع الله عز وجل :

أرجو الله سبحانه وتعالى جميعاً أن نعمل خطة نزور أقاربنا ، أول شيء زيارة ثم تفقد ، ثم دعوة إلى الله عز وجل ، ورتب أمورك كل جمعة عند أسرة ، هذا التواصل شيء جميل جداً .

الآن ترى أخين لا يتزاوران ولا بالعام مرة ، وخصومات والمجتمع مفتت ، إنما ذلكم الشيطان ، هذا من عمل الشيطان ، كل إنسان عنده إمكان أن يتكلم لك عشر ساعات عن خصوماته مع أقربائه ، هذا فعل الشيطان ، أما الإنسان المؤمن فيحاول أن ينمي كل علاقة بينه وبين أقربائه ، فلعل الله سبحانه وتعالى يرحمنا جميعاً ، أنت لا تذهب بعيداً أب إذا رأى أولاده متعاونين ، متكاتفين ، متباذلين ، مضحين ، والله يدخل على قلبه من السعادة لا يعلمها إلا الله، ولله المثل الأعلى ، أما إذا رآهم متباغضين ، متحاسدين ، يطعن بعضهم ببعض ، يبغضهم جميعاً جملةً وتفصيلاً ، فأنا لي كلمة دائماً : نحن نتمنى على الله عز وجل أن نعيش الإسلام لا أن نتكلم عنه ، أن نعيش الإسلام شيء في مقدورنا جميعاً ، والإنسان إذا قال لك : أنا لي مكانتي الخاصة ، هذا قريبي وليس من مستواي ، يكون مخطئاً ، الله عنده مقاييس لا تعرفها أنت ، رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره ، ربما يكون لك قريب بالسلم الاجتماعي أقل منك بكثير ، ويكون ظفره يساوي مئة من أمثالك ، عند الله مقاييس أخرى لا تعرفها أنت ، قد يكون أشد إخلاصاً منك ، قد يكون أشد استقامة منك ، قد يكون أشد حباً لله منك ، التفوق لا لمن سبق بل لمن صدق مع الله عز وجل ، و الإنسان عندما يتواضع لعل الله سبحانه وتعالى يجعل أعمال أقربائه الصالحة في صحيفته .

الدعوة إلى الله تحتاج إلى قلب واسع و نفس طويل :

الآن أنا مما يسعدني أن أرى الأخ وأخاه إلى جانبه ، وابن عمه إلى جانبه ، وصهره إلى جانبه ، ووالده معه، وأحياناً والده وعمه معه ، هذا شيء مسعد جداً ، والكلمة الطيبة صدقة ، أول شيء زيارة ثم تفقد وليس كل شيء بالمال ، إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، أنت تعمل في الكهرباء يمكنك أن تقدم عملاً لله ، أحياناً الإنسان عنده خبرات جداً يقدمها لإخوانه ، وملخص الدرس أن نجري إحصاء لأقاربنا من جهة الأب ومن جهة الأم ، طبعاً سوف تجد استغراباً ، أحياناً ترى تعليقات فيها استخفاف ، تعليقات لاذعة ، المؤمن من أجل إرضاء الله يفعل كل شيء ، وأن تتحول الأسرة من ملهى إلى مسجد ، الفتيات تتحجبن ، والشباب يصلون ، تمثيليات وأغان وتفلت وتشليط وسهرات مختلطة ومزاح منحط ، إذا أنت بعد سنة أو سنتين أصبح هذا البيت ملتزماً فهذا شيء جميل جداً ، وتحتاج الأمور إلى عمل ونفس طويل وقلب واسع ، وتحتاج إلى بعد أفق حتى تستطيع أن تأخذ بيد الناس إلى الله عز وجل ، ومع ذلك يوجد أناس لا يستجيبون ، قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

[سورة فصلت : 17]

ممكن رغم كل هذه الامكانات ألا يستجيبوا ، أنت الذي عليك عملته ، اللهم هل بلغت ؟ اللهم اشهد ، يوجد أخ من أخواننا لا يوجد عنده إمكانية أن يتكلم ، ولكن يغلي غلياناً على عمل صالح ، اشترى عدداً من الأشرطة وعمل قوائم لأقربائه وأعطاهم أشرطة لمدة يومين، و في اليوم الثاني يحضرون له الشريط ويبدله بين العائلة ، وما مضى ستة أشهر حتى ثمانية من أقاربه جاؤوا إلى المسجد ، الإنسان يسمع أول مرة وثاني مرة ثم يشتهي ويأتي إلى المسجد .

ممكن أن يكون لك دعوة إلى الله ، ودعوة كبيرة جداً ، لكن بإخلاص ، وبظل خفيف ، وأدب ، إذاً هذا الحديث الشريف منهج من مناهج رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

بلفظ آخر :

((تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ))

[المستدرك على الصحيحين عن أبي هريرة]

أحياناً الإنسان يزور فقراءه ، وقد يكونوا فقراء ولكن ترحيبهم جميل ، يقدم لك قهوة وشاي ويسعى ويجهد في إكرامك وهو لا يوجد عنده سوى القهوة والشاي ، لا تضن عن الناس بمعلوماتك ، بابتساماتك ، بعطفك وحنانك ، لا تضن عليهم بخبرتك ، بشخصك ، أخي ليس لدي وقت فراغ ، لا يوجد إنسان مات إلا وعنده قوائم غير منتهية ، اقتطع من وقتك الثمين لصلة الرحم .

وأقول لكم مرة ثانية : قطع الرحم من الكبائر ، كنت أقول كلمة لبعض أخواننا : الغريب أنت له والآخر له ، أما ابنك فمن له غيرك ؟ أختك المتزوجة من لها غيرك ؟ إذا كان أبوها توفي وأمها مريضة ، فإذا الأخ لم يزر أخته من لها غير أخيها ؟ وأحياناً الزوج عندما يرى زوجته يزورها أقاربها يهاب من بيت حميه ، فإذا رآها مقطوعة يقول : هذه ليس لها أحد يضغط عليها زيادة ، زيارة الأخت لها معنى كبير ، أي لها أهل و هي غالية على أهلها ، يتفقدون أحوالها ، ترى الإنسان يتحجم .

درسنا اليوم هذا الحديث ؛ " قال له : عظني ولا تطل ؟ قال له آية واحدة ، فقال: كفيت ، فقال : فقه الرجل " لا نريد أن نتحدث عن ثلاثين حديثاً في الترغيب والترهيب ، أو ثلاثين حديثاً صحيحاً عن صلة الرحم ، اكتفيت بحديث واحد : صلة الرحم تزيد في الرزق وتغني في العمر ، يصبح عمر الإنسان غنياً بالأعمال الصالحة .

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث : تعريف الأرحام

الدرس (1-3) : من هم الأرحام

الدرس (2-3) : الوصول إلى صلة الرحم

الدرس (3-3) : معنى الرحم وبيان حكمها

الدرس (1-3) : من هم الأرحام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

إليكم هذا الفرق بين الطبع والتكليف :

أيها الأخوة الكرام، الإمام النووي رحمه الله تعالى, عقد في كتابه رياض الصالحين باباً سماه: باب بر الوالدين وصلة الأرحام .

أيها الأخوة الكرام، في الإسلام أحكام شرعية تخص الفرد وحده، وفي الإسلام أحكام شرعية تخص الجماعة، والإنسان فيه نوازع فردية، وعليه تكاليف اجتماعية، فنوازعه الفردية متعلقة بطبعه، وطبع الإنسان فردي، أما الناحية الاجتماعية فتكليفية، كيف؟ .

طبع الإنسان يميل إلى إطلاق البصر، لكن التكليف يأمره بغض البصر، طبع الإنسان يقتضي أخذ المال، والتكليف يقتضي إنفاق المال، طبع الإنسان يقتضي أن ينام، أما التكليف فيأمره أن يصلي صلاة الفجر، فالتكليف متناقض مع الطبع، متوافق مع الفطرة، طبع الإنسان فردي، والتكليف يأمره أن يتعاون، أن يتواصل، أن يتزاور، فالناحية الاجتماعية في الإسلام تكليف، أما الناحية الفردية طبع .

مثلاً: لن تجد في القرآن الكريم كله آية واحدة تحض الآباء على بر أولادهم، مستحيل ، لأن هذا مركب في الطبع، مؤمن، غير مؤمن، مسلم، غير مسلم، ملتزم، غير ملتزم، جاهل ، متعلم، أي أب حرصه على أولاده لا يوصف، يعيش لأولاده، أي أم، أما الأبناء كلفوا ببرّ الآباء، لأن هذا ليس في طبعه، بر الآباء تكليف، أما رحمة الأبناء طبع، من أجل أن تسير الحياة، من أجل أن يعيش الناس، من أجل أن يربى الأولاد، أودع في قلوب الآباء محبة الأولاد، هل تصدق؟ هل يعقل أن يصدر مرسوماً تشريعياً يأمر الناس بتناول الطعام؟ مستحيل ، السبب أن تناول الطعام

شيء مركب في طبع الإنسان، فلا داعي للأمر به، كلام لا معنى له ، تحصيل حاصل، لكن الناس مأمورون ألاّ يسرفوا، قال تعالى:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

[سورة الأعراف الآية: 31]

الإنسان يميل أن يأكل أكثر مما يحتاج، هناك نهي عن أن يأكل كثيراً، لكن ليس هناك أمر أن يأكل، أما قوله تعالى:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾

[سورة الأعراف الآية: 31]

فهذا أمر إباحة متعلق بأيام الصيام، فلذلك: الإنسان طبعه فردي، يميل إلى الفردية، يميل إلى التقوقع حول ذاته، يميل إلى تحقيق مصالحه، يميل إلى تأمين أكبر دخل له ولأولاده ، هذا من طبعه، ولا يثاب عليه، الذي يقبض المال، ويشتري الطعام ليأكل، ويشتري بيتاً واسعاً، ينام، يتزوج، ينجب الأولاد، يربي الأولاد، هذا كله من مقتضى الطبع، أما حينما تتعاون مع الآخرين، حينما تصل رحمك، حينما تبر أباك، حينما تبر أمك، فهذا تكليف، هنا تؤجر، فلذلك ورد في الأحاديث الصحيحة، وفي الآيات الكريمة نصوص كثيرة, تحض المؤمنين على التواصل، يكاد يكون النظام الإسلامي قائمًا على التكافل الاجتماعي على مستوى الأسرة .

ماذا نسمي الحركة نحو فعل الخير؟ وماذا نسمي الحركة خلافها؟ :

أعرف أخاً كريماً عنده معمل، دخله جيد جداً، أقسم لي بالله أنه ما من شاب من آل صاحب هذا المعمل إلا وزوجه، واشترى له بيتاً، هذا الذي يريده الله عز وجل، حيث يقول:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾

[سورة المائدة الآية: 2]

وأنا أقول لكم: إن لم نتعاون على حل مشكلة الشباب, ربما تفشت الدعارة في كل أحياء دمشق، التعاون تكليف، أما الناحية الفردية طبع، كل واحد من دون توجيه، من دون انصياع، من دون درس علم، من دون حضور خطبة، من دون قراءة كتاب، من دون تلقي العلم في جامعة، هو حريص على دخل

مرتفع، وعلى بيت مريح، وعلى زوجة جميلة، وعلى أولاد نجباء، هذا شيء طبيعي، أما حينما يزور أخته في طرف المدينة، ويتجشم المشاق ليصل إليها ، حينما يكرمها، فهذا تكليف، بذل جهداً، بذل من وقته، و بذل من ماله، وبذل من جهده كي يصل رحمه .

فالإنسان أحيانا يقصر, فتجده ينساق مع هوى نفسه، يميل إلى الراحة، إلى المكوث في البيت، إلى قطيعة الناس، كم من أخت فقيرة لها أخ قريب لا يزورها في العام مرة، شأنها ضعيف، زوجها فقير، أسكنها خارج دمشق، نسيها الأخ الكبير، يمشي مع طبعه، وطبعه فردي، عنده كل يوم حفلة, ولقاء, وسهرة, ونزهة, واجتماع, وموائد تقام، أخته فقيرة، قد يستحي بها، يستحي بزوجها، فكل إنسان يتحرك مع طبعه لا قيمة له مع الله، أما الذي يتحرك مع التكليف فهذا هو الحق .

أحياناً: يدعى الإنسان إلى عقد قران فاخر جداً، في أرقى صالة، أو في أرقى فندق، طبعاً يلبي الدعوة تلبية بحذافيرها، يأتي في الوقت المناسب، يرتدي أجمل ثياب، تلبية دعوات الأغنياء من الدنيا، أما لو دعاك صديق أقام عرساً بمنطقة نائية، والعرس في الطريق، وكرسي وكأس شاي تذهب، وتتكلف بنزينًا بمئتي ليرة، وتلبي دعوة إنسان فقير؟ هنا المشكلة ، تلبية دعوة الفقراء من الآخرة، وتلبية دعوة الكبراء من الدنيا، إذا لبيت دعوة الأغنياء بالشيراتون أو الميريديان أو الشرق، وفيه ضيافة فخمة جداً، وفرقة منشدين من الطراز الأول ، وهناك كلمات، وهناك زهور وورود، أما إذا كان العرس في قرية, ولو كان لقريبك، لو كانت أختك، لو كان صديقك، لو دعاك طالب علم.

ويشهد الله أني مرة لبيت دعوة طالب علم أول جادة من فوق، في مكان توقفت السيارة، وتابعت المشي على الأقدام، ما أكلت طعاماً أخشن ولا أبسط من هذا الطعام في رمضان، على بساط بلاستيكي، شربت الماء في كأس الشاي، شهد الله ما لبيت دعوة وكنت بها سعيداً كهذه الدعوة، صار فيها تجلٍّ عجيب، طالب علم يقول: هل من الممكن يا أستاذ إذا دعوناك اليوم أن تلبي؟ فقلت: آتي، على عيني، من أنا حتى لا آتي؟ .

فأنت لا تعرف لمّا تلبي دعوة متواضعة، دعوة مؤمن صادق كم تشعر بسعادة؟ وكم يتجلى الله على قلبك؟ وقد تدعى إلى قصر النبلاء، مع أن هذا القصر لا يرتاده النبلاء، يرتاده غير النبلاء، لكن فيه فخامة كبيرة جداً .

أردت من هذا الكلام أن أقول لكم: الفردية طبع، والجماعية تكليف، فأنت تتعاون وتلبي دعوة أخوانك، وتصل رحمك، لك أخت فقيرة، لك ابن عم فقير في طرف المدينة، في العيد ماذا تفعل؟ تلبي وتزور الكبراء في حي المالكي، يجب أن تزور الأقرباء بصرف النظر عن مستواهم الاقتصادي، أنت لا تعرف لما تزور إنسانا هو في السلم الاجتماعي في الدرجة السفلى, كم تدخل على قلبه من السعادة؟ .

أنا قال لي سائق: مرضت, وأسكن في قرية, في حوران، وزير بعث ابنه ليزور سائقه، قال لي: أموت ولا أنسى هذه الزيارة التي سعدت بها، لم ينس، بعث لي ابنه ومعه هدية أمام أهل قريتي، فأنا مهم جداً، فلا تعرف قيمة الزيارة، وعيادة المريض، وصلة الرحم، هذا تمهيد .

هل يقصد بصلة الرحم الزيارة فقط؟ لكن ماذا تعني؟ :

أيها الأخوة, والذي أريد أن أقوله لكم: حينما يصل الإنسان رحمه فهو ينفذ أمر الله عز و جل، ماذا قال الله عز وجل؟ قال تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾

[سورة النساء الآية: 36]

المؤمن الصادق يزور أقاربه، يزورهم واحداً وَاحداً، أكثر الناس يتوهمون القريب أن يزوره فقط، هذا فهم ساذج، الزيارة من منطلق أن تزوره، ثم تتفقد أحواله، ثم تساعده في الدنيا، ثم تأخذ بيده إلى الله، هذا بالضبط معنى صلة الرحم .

نزور بنت الأخت، نزور ابن الأخ، نزور ابن خالة، وبنت الخالة، أزوره لأرفع معنوياته، ثم أتفقد أحواله المعيشية، ثم أساعده، ثم أدله على الله، أحد أبواب الجنة صلة الرحم ، تبدأ بالزيارة وتنتهي بالهداية، هذا هو المعنى العميق لصلة الرحم، لا أن تفهم صلة الرحم زيارة فقط، إذا زرت إنساناً، والعين بصيرة, وما قدمت شيئاً، ماذا فعلت؟.

هذه هي صلة الرحم :

أيها الأخوة, بالمناسبة: الله عز وجل أحياناً يفتح على أشخاص باب الغنى، بعض الأغنياء هناك سبب لغناهم، لأنهم يتفقدون أرحامهم، يصلونها، يدفعون المال، موسم المدارس ، موسم الشتاء، موسم الأعياد، الأسرة كبيرة، والدخل محدود، وأنت تاجر، إذا زرت أختك، أو بنت أختك، بنت خالتك، بنت عمك، الأقرباء

الذين أوصلك الله بهم، فإذا زرتهم, وتفقدت أحوالهم، ثم ساعدتهم، ثم دللتهم على الله, فهذه هي صلة الرحم الحقيقية .

أنا لا أنسى صديقاً من أصدقائي، أخاً كريم من أخواننا, وهو مهندس، زار أخته مرة، فرأى بينها وبين زوجها خصومة على مبلغ من المال تتمناه أن يعطيها إياه كي تقوم بحاجات بناتها، والزوج دخله محدود، ويقول: هذا الراتب لا يكفي طعامنا، فدبّري شأنك دون أن تأخذي شيئاً، واشتدت الخصومة، فتبرع بمبلغ من المال, يقدمه لهذه الأسرة شهرياً، مع أن دخله محدود، قال: أدفع ثلاثمئة ليرة في الشهر، قال: أول شهر أطرق باب أختي, وأقدم لها المبلغ، على ستة أشهر، قال: والله طلبت هي مني أن ألقي على بناتها درساً، حدثت بآية أو حديث، قصة عن الصحابة، صار عندهم درس، وطلاقة لسان، وفائدة، قال: ما مضت سنة أو سنة ونصف, إلا أن كل بنات أختي تحجبن .

هذه صلة الرحم، صلة هداية، صلة مساعدة، بدأ بالزيارة، وتمر بتفقد الأحوال، كيف أنتم؟ كيف وضعكم؟ كيف الأولاد؟ وكيف دراستهم؟ هل عليكم ديون أو مشكلة؟ هذا المؤمن، طبعا عليهم دين، وتستطيع أن تساهم في سداد هذا الدين بجزء من مالك، معك ألف أو ألفان قدمتها لأختك .

أحد أخواننا بالبزورية قال: معي خمسة آلاف في آخر الشهر، وضع صعب جداً، اتصلت به أخته، وقالت: أريد خمسة آلاف، قال: وقعت في صراع، هذه الخمسة لآخر الشهر ، وأختي طلبت مني، ماذا أفعل؟ وقعت في صراع، فغلب حبي للخير على حاجتي للمال، قدمت لها هذا المبلغ، يقسم بالله العظيم دخل إلى محله تجاري، جاءه إنسان من السعودية، عندك هذه البضاعة؟ فقال: لا، قال: أين أجدها؟ قال: في المعمل الفلاني، قال: خذن إليه، فوصل إلى المعمل، هذا الأخ يريد البضاعة الفلانية، في اليوم الثاني بعث له عشرة آلاف، يبدو أنه اشترى صفقة كبيرة، قدم له عشرة آلاف، قال: أنا ترددت في دفع المبلغ .

وأخ ثان له ابن عم توفي، وهو أخواننا الكرام، قال لي: زرت البيت، والميت على المغسل، ابن عمته دكتور في الجامعة، فسأل أولاده: هل على أبيكم دين؟ قالوا: نعم، قال: استحييت أن أقول لهم كم؟ قلت لهم: الدين علي، قال: في ذهني عشرة آلاف, أو عشرون, أو خمسة وعشرون، أو ثلاثون .

في اليوم الثاني, علم أن الدين مئة وثلاثون ألفاً، قال: والله دفعتها حبا وكرامة، والله ذكر هذه القصة في صحن جامع النابلسي وبكى، في يوم السبت، وكانت الجنازة يوم الخميس ، يوم السبت بعنا في هذا الموسم السيء مع كساد الأسواق, نصيبي من الربح الصافي، في اليوم الواحد مئة وثلاثين ألفا، وهم ثلاثة شركاء، قال تعالى:

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾

[سورة سبأ الآية: 39]

درسنا اليوم صلة الرحم، لك أخوات بنات، لك بنات أخوات، لك أولاد عم فقراء مكسورين، يجب أن تزورهم، ويجب أن تتفقد أحوالهم، ويجب أن تعينهم، ويجب أن تأخذ بيدهم إلى الله، هذا هو موضوع درسنا اليوم .

اسمع هذا الحكم الشرعي :

أيها الأخوة, قال تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾

[سورة النساء الآية: 36]

بالمناسبة: لا تُقبل زكاة مال أحدكم وفي أقربائه محاويج، فمن أولى الناس بالزكاة؟ أقرب الناس إليك نسباً، هم أولى الناس بالزكاة، طبعاً ما عدا الأب والابن والزوجة، وما سوى ذلك, يجوز أن تدفع الزكاة لهم، دفع الزكاة لهم لها أجران؛ صدقة وصلة في وقت واحد، قال تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾

[سورة النساء الآية: 36]

ماذا تستنتج من هذا الكلام؟ :

أيها الأخوة, قال تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾

[سورة النساء الآية: 1]

كنت مرة في الخليج عند مدير شركة ضخمة، جاءه هاتف، فقال: حاضر، حاضر، بعدما وضع السماعة, قال لي: أتعرف من خبرني؟ عنده ابن له خمس سنوات، قال له: تعال وأوصلني إلى رفيقي، قال: حاضر، عنده حوالي خمسين مهندساً تحت يده، فقلت: سبحان الله! ما هذه الرحمة التي أودعها الله في قلوب الآباء؟ كيف يتدلل الابن على أبيه، ويطالبه بعنف؟، قال له: تعال وأوصلني إلى رفيقي، وعمره خمس سنوات، وأبوه مدير شركة ضخمة، قال له: حاضر، انظر إلى الآية:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾

[سورة النساء الآية: 1]

لولا أن الله أودع في قلوب الآباء هذه الرحمة, لما تجرأ الابن أن يسال أباه بجد وعنف .

هناك قصة رمزية، ولكنها مؤثرة جداً: سيدنا موسى رأى أمًّا تخبز على التنور، وعلى طرف التنور ابنها، تضع الرغيف في التنور, وتقبله، وتضمه, وتشمه، قال:

((يا رب ما هذه الرحمة؟ قال: هذه رحمتي أودعتها في قلب أمه، وسأنزعها –القصة تعليمية– نزع الله الرحمة من قلبها، فلما بكى ألقته في التنور))

هذه القصة كلها، إذًا: هذه الرحمة من الله عز وجل، قال تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾

[سورة النساء الآية: 1]

لولا أن الله أودع في قلب الآباء هذه الرحمة, لما تجرأ ابن أن يسأل أباه، يسأله, ويلح عليه، ويطالبه، وأحياناً: يكون في سؤاله قسوة .

من هم الأرحام؟ :

ويقول الله عز وجل:

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾

[سورة الرعد الآية: 21]

الرحم بالمعنى الفقهي الدقيق: الأقرباء من طرف الأب, أو من طرف الأم، أقرباؤك، أعمامك، أولاد أعمامك، أخواك، أولاد أخوالك، عماتك، أولاد عماتك, من طرف الآباء والأمهات، هؤلاء الرحم، وصلة الرحم تزيد في الرزق .

إليكم هذه الأحاديث التي وردت في صلة الأرحام :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ اللَّهَ تعالى خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنهم, قامت الرحم, فقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ, قَالَ: نَعَمْ, أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ, وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى, قَالَ: فذلك))

ثم قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ. أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾))

[أخرجهما البخاري ومسلم عن أبي هريرة في الصحيح]

أحيانا يغتني الإنسان، ويكبر حجمه، وينسى أقرباءه، صدقوني: كم من الأعمام معهم مئات الملايين، وأولاد أخوته, يموتون من الجوع؟ هذه مشكلة كبيرة جداً .

إنسان في بحبوحة، وأولاد أخوته, يموتون من الجوع، أحياناً: ينفق مئات الألوف ليقول الناس: محسن كبير، فإذا سأله أولاده سؤالاً, ضاق بهم ذرعاً.

((أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ, وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى, قَالَ: فذلك))

ثم قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ. أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾))

[أخرجهما البخاري ومسلم عن أبي هريرة في الصحيح]

وفي رواية للبخاري, عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ, أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنْ الرَّحْمَنِ, فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ, وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ))

[أخرجه البخاري في الصحيح عن أبي هريرة]

العلاقة النسبية ثمينة جداً، أحياناً أخوين، أحدهما في قمة المجتمع، والثاني في الحضيض، أحياناً ابن عم لك بحاجة لك، ابن خالة لك بحاجة إليك .

عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه:

((أن رجلاً قال: يا رسولَ الله، إن لي قرابة، أصلِهُم ويقطعونني، وأُحْسِن إليهم ويُسيئُون إليَّ، وأحلُم عنهم، ويجهلون عليَّ؟ قال: لئن كنتَ كما قلتَ فكأنما تُسِفُّهُم الملَّ، ولن يزال معك من الله ظهير عليهم ما دُمتَ على ذلك))

[أخرجه مسلم في الصحيح عن أبي هريرة]

كأن النبي أعجب بهذا الإنسان، الذي يحسن ويساء إليه، ويكرم ويمنَع عنه، ويصل ويقطعونه، لذلك أخلاق الأنبياء كما قال عليه الصلاة والسلام:

((أمرني ربي بتسع؛ خشية الله في السر والعلانية، وكلمة العدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وأن أصل من قطعني، وأعفو عمن ظلمني، وأعطي من حرمني، وأن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونظري عبرة))

خلاصة القول :

أيها الأخوة، ملخص الدرس: صلة الرحم أمر تكليفي، جزاؤها في الدنيا أنها تزيد في الرزق، من أراد أن يكون في بحبوحة في رزقه فليصل رحمه، والصلة زيارة، ثم تفقد، ثم معاونة، ثم هداية إلى الله عز وجل .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-3) : الوصول إلى صلة الرحم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

صلة الرحم تدفع نوائب الدهر وترفع بأمر الله عن المرء البلايا :

أيها الأخوة الكرام، لا زلنا في موضوعٍ متصلٍ أشد الاتصال بـ: "سبل الوصول وعلامات القبول" ألا وهو موضوع "صلة الرحم".

الحقيقة أن لهذه الصلة، أو لهذه العبادة التعاملية الأولى التي وردت بعد العبادات الشعائرية في القرآن والسنة ثماراً يانعةً وكبيرة، فصلة الرحم تدفع نوائب الدهر، وترفع بأمر الله عن المرء البلايا، فقد قال جبريل للنبي عليه الصلاة والسلام في الغار:

((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } فرجع بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَرْجُف فؤاده))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة أم المؤمنين]

لأول مرة:

((فدخل على خديجة بنت خُويلد، فقال: زمّلوني، زمّلوني، فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوْع. فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيتُ على نفسي))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة أم المؤمنين]

الآن دققوا:

((فقالت له خديجة: كلا، أبشر، فو الله لا يُخزيك الله أبداً، إنك لتَصِلُ الرحم))

[أخرجه البخاري ومسلم، عن عائشة أم المؤمنين]

من أبرز العبادات التعاملية بعد العبادات الشعائرية صلة الرحم.

((فو الله لا يُخزيك الله أبداً، إنك لتَصِلُ الرحم، وتَصْدُق الحديث، وتحمل الكَلّ – الضعيف – وتَكسِب المعدوم . وتَقْرِي الضيف ، وتُعين على نوائب الحق))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة أم المؤمنين]

((لا يُخزيك الله أبداً، إنك لتَصِلُ الرحم))

صلة الرحم محبة الأهل و بسط الرزق و بركة العمر :

أيها الأخوة، لقد خلق الله الرحم، وشق لها اسماً من اسمه، ووعد ربنا جلّ وعلا بوصل من وصلها، ومن وصله الرحيم وصله كل خير، ولم يقطعه أحد، ومن بتره الجبار لم يعله بشر، وعاش في كبد، فالله عز وجل يصل من وصل رحمه، ويقطع من قطع رحمه.

أيها الأخوة، في الحديث الصحيح.

((إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك: قالت: بلى قال فذاك لك قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرؤوا إن شئتم { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ }))

[أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة]

أيها الأخوة، وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الرَّحِمُ مُعلَّقة بالعرشِ، تقولُ: من وَصَلَني وَصَلَهُ اللهُ، ومن قطعني قَطَعَهُ الله))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة أم المؤمنين]

صلة الرحم محبة الأهل، بسط الرزق، بركة العمر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال:

((تعلَّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صِلَة الرحم: مَحَبَّة في الأهل مَثْرَاة في المال، مَنْسَأة في الأثر))

[أخرجه البخاري والترمذي عن أبي هريرة]

و هناك حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((مَن سَرَّهُ أن يَبسُطَ اللهُ عليه في رِزْقِهِ، أو يَنْسَأ في أثرِه، فَلْيَصِلْ رحمه))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود عن أنس بن مالك]

أيها الأخوة، صلة الرحم أمارةٌ على كرم النفس، وسعة الأفق، وطيب المنبت، وحسن الوفاء، ولهذا قيل: من لم يصلح لأهله لن يصلح لك، ومن لم يذبَّ عنهم لن يذبَّ عنك، يقدم على صلة الرحم أولو التذكرة وأصحاب البصيرة.

أيها الأخوة، صلة الرحم مدعاةٌ لرفعة الواصل، وسببٌ للذكر الجميل، وموجبةٌ لشيوع المحبة، وعزة المتواصلين، صلة الرحم تقوي المودة، وتزيد المحبة، وتتوثق بها عرى القرابة، وتزيل العداوة والشحناء، فيها التعارف، وفيها التواصل، وفيها الشعور بالسعادة.

تلبية دعوة الفقراء والأقارب من عمل الآخرة :

لكن الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح، المسلمون ليسوا كذلك، كثيرٌ من الناس مضيعٌ لهذا الحق، مفرطٌ فيه، فمن الناس من لا يعرف قرابته لا بصلةٍ، ولا بمال، ولا بجاهٍ، ولا بحال، ولا بخلقٍ، ولا بود، تمضي الشهور، و ربما الأعوام، ولا يقوم بزيارتهم، ولا يتودد إليهم لا بصلةٍ، ولا بهدية، ولا يدفع عنهم مضرةً، ولا أذية، بل ربما أساء إليهم، وأغلظ القول فيهم، هذا الواقع المر.

ومن الناس من لا يشارك أقاربه في أفراحهم، ولا يواسيهم في أتراحهم، ولا يتصدق على فقرائهم، بل تجده يقدم عليهم الأباعد في الصِلات والهبات، أحياناً تأتيك دعوة من جهة قوية أو غنية تلبيها فوراً، وتلبية هذه الدعوة من الدنيا، وأحياناً تأتيك دعوة من قريب فقير في أطراف المدينة لا تلبيها لضعف شأنه، لذلك تلبية دعوة الفقراء والأقارب من عمل الآخرة.

((لو دعيت إلى كراع لأجبت))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس]

((من لم يجب الدعوة فقد عصى أبا القاسم))

[مسند أبي يعلى عن أبي هريرة]

لكن الناس ألفوا أن يلبوا دعوة الأغنياء والأقوياء، وتلبية هذه الدعوة ليست من الدين بل من الدنيا، لكن تلبية دعوة الفقراء والأقرباء من عمل الآخرة.

بطولة المؤمن أن يصل من قطعه :

هناك حالة أخرى من الناس من يصل أقاربه إن وصلوه، ويقطعهم إن قطعوه، يدعوهم إن دعوه، هذه ليست بصلة رحم، إنما هو مكافئٌ للمعروف بمثله، وهو حاصلٌ للقريب والبعيد، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكن الواصلُ مَنْ إذا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

البطولة أن تصل من قطعك، أما أن تصل من وصلك، أن تلبي من لباك، فهذا ليس في باب صلة الرحم هذا في باب المكافأة.

الآن هناك أناسٌ يحرصون على دعوة الأباعد، ويغفلون دعوة الأقارب، الأباعد قد يكونون من أصحاب الشأن، من أصحاب القوة والمال، لذلك الأقربون أولى بالمعروف.

نتائج قطيعة الرحم :

النتائج أيها الأخوة نتائج صلة الرحم تحدثنا عنها كثيراً، لكن نتائج قطيعة الرحم معاداة الأقارب، هذه المعاداة شرٌ وبلاء، الرابح فيها خاسر، والمنتصر مهزوم، وقطيعة الرحم من كبائر الذنوب، وقبائح العيوب، متوعدٌ صاحبها باللعنة والثبور، فالتدابر بين ذوي القربى مؤذنٌ بزوال النعمة، وسوء العاقبة، وتعجيل العقوبة. فعن جبير بن مطعم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

((لا يَدْخُلُ الجنةَ قاطِع –أي قاطعَ رحم –))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود عن جبير بن مطعم]

عقوبتها معجلةٌ في الدنيا قبل الآخرة، فعن أبي بكرة قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((ما من ذنب أجدر أن يعجل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من قطيعة الرحم والبغي))

[رواه الترمذي عن أبي بكرة]

ذنبان يعجل الله لصاحبهما العقوبة في الدنيا قبل الآخرة.

أيها الأخوة، قطيعة الرحم سببٌ للذلة والصغار، والضعف والتفرق، مجلبةٌ للهم والغم، قاطع الرحم لا يثبت على مؤاخاة، ولا يرجى منه وفاء، ولا صدقٌ في الإخاء، يشعر بقطيعة الله له، ملاحقٌ بنظرات الاحتقار مهما تلقى من مظاهر التبجيل، لقد كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يستوحشون من الجلوس مع قاطع رحم.

معنى قوله تعالى

﴿ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

أخواننا الكرام، ما دام القلب ينبض كل شيء له حل، المشكلة أن يقف القلب وأنت قاطع رحم، ما دام القلب ينبض، ما دام في الحياة بقية، كل مشكلة مهما عظمت لها حل، فالعداوات التي تتوهم أنها لن تنقضي تنقضي، بزيارة مفاجئة، بهدية، باعتذار على الهاتف، بعمل صالح، فالإنسان إذا أراد أن يحسن العلاقة بينه وبين الخلق الله يعينه على ذلك، قال تعالى:

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

[سورة الأنفال الآية: 1]

قال بعض العلماء:

﴿ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

تعني ما بينك وبين الله عز و جل، هذه أهم علاقة، وقال بعضهم:

﴿ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

ما بينك وبين من حولك، مع زوجتك، مع أولادك، مع أهلك، مع والديك، مع أخوتك، مع أخواتك، مع أصهارك،

﴿ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

بزيارة، بمصالحة، بمودة، بهدية، باتصال هاتفي، باعتذار

﴿ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

والمعنى الثالث:

﴿ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

أي أصلح أية علاقةٍ بين اثنين، أول معنى: بينك وبين الله، المعنى الثاني: بينك وبين من حولك، المعنى الثالث: أصلح أي علاقةٍ بين اثنين، لذلك النمام لا يدخل الجنة، النمام ينقل ما قاله فلان عن فلان.

أثر الهدية في اجتلاب المحبة وإثبات المودة :

أيها الأخوة، حسن الخلق له تأثير في هذه الصلة، حسن الخلق من جهة والهدية قال:

((تَهَادُوا، فإن الهدية تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

((تهادوا تحابوا))

[البيهقي عن أبي هريرة]

هناك مشكلة مع أخيك قدم له هدية، لتكن هذه الهدية شفيعاً لك في إعادة المودة إلى ما كانت عليه، فالهدية لها أثرٌ في اجتلاب المحبة، وإثبات المودة، وإذهاب الضغائن، وتأليف القلوب، وكان عليه الصلاة والسلام يحذرنا ويقول:

((لا يَحِلُّ لمسلم أن يهجرَ أخاه فوقَ ثلاث ليال، يلتقيان، فيُعرِضُ هذا، ويُعرضُ هذا، وخيرُهما الذي يبدأُ بالسلام))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ومالك عن أبي أيوب]

الله عز و جل يقول:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

[سورة فصلت]

أخلاق الحرب شيء وأخلاق السلم شيءٌ آخر :

أيها الأخوة الأكارم، قد يلتبس على بعض الناس أخلاق الجهاد مع أخلاق السلم في السلم:

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

هذا في الحياة الدنيا، أما في الحرب.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾

[سورة التحريم الآية:9]

أخلاق الحرب شيء وأخلاق السلم شيءٌ آخر، بالسلم اجعل هذه الآية شعاراً لك:

﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾

[سورة فصلت]

قطيعة الرحم من أقبح العيوب و أفظع الذنوب :

مرة ثانية:

((لا يَدْخُلُ الجنةَ قاطِع- أي قاطعَ رحم -))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود عن جبير بن مطعم]

وكأنها من أكبر الكبائر، من أقبح العيوب، من أفظع الذنوب، الله عز و جل يقول:

﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾

[سورة الرعد]

هدي النبي صلى الله عليه و سلم من خلال سيرته :

لنقف وقفةً متأنيةً عند هدي النبي صلى الله عليه و سلم من خلال سيرته، كان عليه الصلاة والسلام أرق الناس، وأعفهم، وأوصلهم للرحم، وأحلمهم، لذلك ذكره القرآن الكريم بأنه ذو:

﴿ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[سورة القلم الآية: 4]

وقال أيضاً:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

[سورة آل عمران الآية: 159]

أي أنت أنت يا محمد على علو قدرك، وعلى أنك سيد الأنبياء والمرسلين، وقد أوتيت وحي السماء، أوتيت القرآن، أوتيت الفصاحة والبيان، أوتيت جمال الصورة، أوتيت الحكمة، أوتيت المنطق، مع كل هذه الخصائص أنت أنت يا محمد مع كل هذه الخصائص.

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾

[سورة آل عمران الآية: 159]

أمثلة من التاريخ عن صلة النبي الكريم لرحمه :

النبي الكريم بلغ من صلة رحمه مبلغاً عظيماً ضرب به المثل على مرّ التاريخ، فما سمعت الدنيا بأوصل منه.

قرابته، أبناء عمه، أبناء عمومته، أخرجوه من مكة، طاردوه، أرادوا قتله، شتموه، آذوه، حاربوه في المعارك، نازلوه في الميدان، قاموا بثلاثة حروبٍ في بدرٍ وأحدٍ والخندق، ودخل مكة منتصراً، عشرة آلاف سيف متوهجة تنتظر كلمة من فمه، وقفت له الأعلام مكبرة، طنت بذكر نصره الجبال والوهاد، فلما انتصر وقف عند حلق باب الكعبة صلى الله عليه و سلم منحنياً وهو يقول للقرابة والعمومة: ماذا ترون أني فاعلٌ بكم؟ فيتصورون الجزاء المر، والقتل الحار، والموت الأحمر، فيقولون وهم يتباكون: أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، فتدمع عيناه، فيقول: اذهبوا فأنتم الطلقاء، هذا من أعلى درجات العفو، أخرجوه، طاردوه، قاتلوه، شتموه، نكلوا بأصحابه لعشرين عاماً، فلما تمكن منهم، وحياتهم موقوفة على كلمة من فمه، وعشرة آلاف سيف متوهجة تأتمر بأمره، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، النبي الكريم أسوة حسنة لنا، في الطائف حينما قهر قال:

((إن لم تكن غضبان علي فلا أبالي))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن جعفر]

وفي فتح مكة حينما انتصر قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، كأنه يقول عفا الله عنكم وسامحكم، يأتي ابن عمه – أبو سفيان بن الحارث– يسمع بالانتصار، وقد أذى الرسول الكريم، وشتمه، وقاتله، فيأخذ هذا الرجل أطفاله، ويخرج بهم من مكة، فيلقاه علي بن أبي طالب يقول له: يا أبا سفيان إلى أين تذهب؟ قال: أذهب بأطفالي إلى الصحراء فأموت جوعاً وعرياً، والله إن ظفر بي محمد ليقطعني إرباً إرباً، يقول له عليٌ وهو يعرف رسول الله: أخطأت يا أبا سفيان، إن رسول الله صلى الله عليه و سلم أوصل الناس، وأبر الناس، وأكرم الناس، فعد إليه وسلم عليه بالنبوة، وقل له كما قال أخوة يوسف:

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾

[سورة يوسف]

فيأتي بأطفاله ويقف على رأس المصطفى صلى الله عليه و سلم ويقول: يا رسول الله: السلام عليك ورحمة الله وبركاته

﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾

فيبكي عليه الصلاة و السلام وينسى تلك الأيام، وتلك الأعمال، وتلك الصحف السوداء، ويقول:

﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

[سورة يوسف]

هذه هي النبوة، يقول أبو سفيان: يا بن أخي ما أوصلك! وما أرحمك! وما أحكمك! يا بن أخي ما أوصلك! أي ما أشد وصلك لنا، وما أرحمك! وما أعظم رحمتك بنا، وما أحكمك! وما أعقلك!

الآن تأتيه أخته من الرضاعة، وقد ابتعدت عنه عقوداً كثيرة، فتأتيه وهو لا يعرفها وهي لا تعرفه أصلاً، رضعت معه وتسمع وهي في بادية بني سعد في الطائف بانتصاره، فتأتي لتسلم على أخيها من الرضاعة، وهو تحت سدرةٍ عليه الصلاة و السلام، والناس بسيوفهم بين يديه، وهو يوزع الغنائم بين العرب، فتستأذن فيقول لها الصحابة: من أنت؟ تقول: أنا أخت رسول الله من الرضاعة، أنا الشيماء بنت الحارث، أرضعتني أنا وإياه حليمة السعدية، فيخبرون النبي الكريم، يتذكر القربى وصلة الرحم، ويقوم لها ليلقاها في الطريق، ويرحب بها ترحيب الأخ بأخته بعد طول غياب، وبعد الوحشة والغربة، ويأتي بها ويجلسها مكانه، ويظللها من الشمس، تصوروا هذا النبي الكريم، ومعلم الإنسانية، ومزعزع كيان الوثنية، يظلل هذه العجوز أخته من الرضاعة من الشمس، ويترك الناس وشؤون الناس ويقبل عليها ويسألها: يا أختاه كيف حالكم؟ يا أختاه اختاري الحياة عندي أو تريدين أهلك؟ تقول: أريد أهلي، فيمتعها بالمال، ويعطيها مئة ناقة، ليُعلّم الناس صلة الرحم، يا سيدي يا رسول الله، يا من كانت الرحمة مهجتك، والعدل شريعتك، والحب فطرتك، والسمو حرفتك، ومشكلات الناس عبادتك، هذه نبوة النبي، هذه أخلاق النبي، هذه صلة الرحم، العبادة التي تأتي بعد الفرائض.

أسباب قطيعة الرحم :

أخواننا الكرام، قطيعة الرحم لها أسباب كثيرة، أولها: الجهل بعواقب القطيعة وفضائل الصلة، ضعف التقوى والكبر، الانقطاع الطويل عن الأقارب، العتاب الشديد، هذا يضعف العلاقة، التكلف الزائد أحياناً بإكرامهم بحيث أن الآخر يخاف على هذا القريب من أن يدفع مبالغ فوق طاقته، الشح والبخل، تأخير قسمة الميراث،

أحد أسباب قطيعة الرحم، الشراكة بين الأقارب أحد الأسباب، الاشتغال بالدنيا، الطلاق بين الأقارب، بعد المسافة والتكاسل، هذه كلها أسباب، أو الاحتكاك الشديد يأتي إلى قطيعة الرحم من حيث الأولاد أحياناً، قلة التحمل، أن تنسى أقاربك في الولائم والمناسبات و تدعو الأباعد، هذه كلها أسباب تدعو إلى ضعف صلة الرحم.

أيها الأخوة الكرام، أرجو الله سبحانه وتعالى أن تترجم هذه الحقائق، وهذه المواقف الرائعة للنبي الكريم إلى سلوك يومي.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-3) : معنى الرحم وبيان حكمها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

معنى الرحم وبيان حكمها:

وبعد: فالخُلق اليومَ صلةُ الرحم، صلة الرحم في التعريف الجامع المانع: هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارةً تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارةً بالزيارة والسلام، وغير ذلك، ولكن أرى أن صلة الرحم تبدأ بالسلام، وتتابع بالزيارة، ثم بتفقد الأحوال المعيشية والتربوية، ثم بالإحسان، ثم بأخذ يد هذا القريب إلى الله، تبدأ بالسلام وتنتهي بالهداية، وذو أفق ضيق جداً: مَن تصور أن صلة الرحم لا تزيد على أن تزوره في العيد، وأنت في عليائك، وهو في أسوأ حالاته، تبدأ بالسلام، وتتابع بالزيارة، ثم بالتفقد، ثم بالمعاونة، ثم بالهداية، ولا تؤتي صلة الرحم ثمارها إلا إذا انتهت بأن يكون هذا القريب في أحسن حال مع الله، ومع خَلقه، صلة الرحم بالنصوص الكثيرة من الكتاب والسنة واجبة، وقطيعتها معصية كبيرة.

أهمية صلة الرحم في القرآن الكريم:

أيها الأخوة, الآيات التي تتحدث عن صلة الرحم تزيد على خمس عشرة آية:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

[سورة الإسراء الآية: 23]

﴿وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾

[سورة البقرة الآية: 177]

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾

[سورة النحل الآية: 90]

﴿وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾

[سورة البقرة الآية: 177]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾

[سورة النساء الآية: 1]

يعني اتقوا الله أن تقطعوا أرحامكم، اتقوا غضب الله بقطيعة أرحامكم.

وبشكل عام:

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾

[سورة الرعد الآية: 21]

كتاب صلة الأرحام:

أيها الأخوة, الأحاديث الصحيحة التي تتحدث عن صلة الرحم كثيرة جداً:

((احفظوا أنسابكم تصلوا أرحامكم))

علاقة رائعة كيف تصل رحمك, ينبغي أن تعرف من هم أقرباؤك؟.

((احفظوا أنسابكم تصلوا أرحامكم))

عن عمرو بن عبسة –رضي الله عنه– قال:

((أتيت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في أول ما بعث وهو في مكة فقلت: ما أنت؟ قال: أنا نبي، قلت: وما النبي؟ قال: رسول الله، قلت: بم أرسلك الله؟ قال: بأن يعبد الله، وتكسر الأوثان، وتوصل الأرحام بالبر والصلة))

يعبد الله، وتكسر الأوثان، وتوصل الأرحام.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ, أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ, فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ, وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ, وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ, فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ:

((فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ, إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ, فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ, وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ – يعني أشد أنواع البر مكانةً عند الله عز وجل–: صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ))

يعني صلة رحمه.

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–, أَنَّ رَجُلًا قَالَ:

((يَا رَسُولَ اللَّهِ, أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ, فَقَالَ الْقَوْمُ: مَا لَهُ مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: أَرَبٌ مَا لَهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا, وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ, وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ, وَتَصِلُ الرَّحِمَ))

مكانة صلة الرحم كبيرة جداً.

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ يَقُولُ:

((سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: إِنَّ الرَّحِمَ شُجْنَةٌ مِنْ الرَّحْمَنِ, تَقُولُ: يَا رَبِّ إِنِّي قُطِعْتُ, يَا رَبِّ إِنِّي أُسِيءَ إِلَيَّ, يَا رَبِّ إِنِّي ظُلِمْتُ, يَا رَبِّ يَا رَبِّ, قَالَ: فَيُجِيبُهَا, أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ, وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟))

أخوتنا الكرام, صلة الرحم باب كبير من أبواب الضمان الاجتماعي، الضمان الاجتماعي في الإسلام له ركنان؛ ركن نسبي، وركن جغرافي، فالقريب والجار، الأحاديث التي تحض المسلم على أن يكون محسناً لجاره لا تعد ولا تحصى، فالضمان الاجتماعي أساسه النسب، وأساسه الجوار.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–, عَنْ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ:

((خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ, فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتْ الرَّحِمُ, فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ, فَقَالَ لَهُ: مَهْ, قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ, قَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ, وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ, قَالَ: فَذَاكِ, قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤوا إِنْ شِئْتُمْ:﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾))

أوصاني خليلي ألا تأخذني في الله لومة لائم, وأوصاني بصلة الرحم وإن أدبرت.

يعني صلهم وإن قطعوك, هذا توجيه أعلى.

عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ قَالَ:

((بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-, إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ, فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ, هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: نَعَمْ, الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا, وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا, وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا, وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا, وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا))

أقرباؤك أولى الناس بمالك:

هناك ملامح رائعة في الحديث الشريف، فقرة من حديث طويل:

عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ, أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ:

((... قَالَ: إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ؛ عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا, فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ...))

يعني أحد أكبر أسباب كسب المال: أن تصل به رحمك.

حدثني أخ, -وهو عندي صادق, أنعم الله عليه بمال كثير-, أقسم بالله ما من شاب في أسرته إلا زوجه، وهيأ له عملاً بهذا المال، يكاد يكون المال بنص هذا الحديث من أجل أن تصل رحمك.

أخ من أخواننا الكرام حدثني عن قصة، ورجاني أن أنقلها إليكم: له قريب، يسمع أن هذا قريبه بعد حين من الوقت زاره في العيد، وهو يقسم بالله ما أراد من زيارته إلا أن ينفذ توجيه النبي -عليه الصلاة والسلام-, لم يجده في البيت، وضع له بطاقة، قال له: أنا قريبك، هذا القريب على مستوى أخلاقي رفيع، هو ميسور جداً، زاره في البيت، رد له الزيارة، فإذا ببيته سيء جداً تحت الأرض، لا يرى الشمس، فيه رطوبة عالية، فهذا القريب الأول لما زاره ما خطر في باله ولا واحد بالمليون أن هذه الزيارة ستنتهي ببيت في الطابق الثالث، تأتيه الشمس من كل الجهات، واسع، فهذا القريب لما وجد قريبه في هذا البيت، وعنده أولاد، والشمس أساسية في البيت، فقال له: اشتر بيتًا بحدود مليون، ثم وجد بيتاً بمليونين ونصف, قال له: خذه ولا شيء عليك.

حسب هذا الحديث: حينما جعلك الله غنياً من أجل أن تتفقد أقرباءك، لأن الناس أنت لهم، وغيرك لهم، لكن أقرباءك من لهم غيرك؟ لهذا قال الفقهاء: لا تقبل زكاة مال المسلم وفي أقربائه محاويج.

هم أولى بك من الغريب، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((إن الصدقة على المسكين صدقة, وعلى ذي الرحم اثنتان))

صدقة وصلة أجر مضاعفة، إن وصلت رحمك بمال فالأجر مضاعف، إلا أنني أتحفظ حينما أذكر: أن بعض الناس بدافع من التعصب الأسري لا يعطون أحداً غريباً إطلاقاً، بل إنهم يعطون أرحامهم عطاءً هم ليسوا بحاجة إليه من باب التعصب، هذا مذموم، لكن إن كان لك قريب فقير, فهو أولى الناس بصدقتك وزكاة مالك.

أطل عمرك بصلة رحمك:

عَنْ عَائِشَةَ, أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ لَهَا:

((إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ, فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ, وَصِلَةُ الرَّحِمِ, وَحُسْنُ الْخُلُقِ, وَحُسْنُ الْجِوَارِ, يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ, وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ))

طبعاً: يزيدان في الأعمار لها معنى جاء به الفقهاء، العمر لا يزيد، ولكن قيمة العمر بعمله الصالح، لو أن دوام المحلات التجارية بحسب القوانين من الساعة التاسعة صباحاً حتى التاسعة مساءً، وأي إنسان يفتح قبل أو بعد عليه مبالغ كبيرة جداً، فالوقت ثابت، فكيف يتفاوت الناس والوقت ثابت؟ في الغلة، واحد يبيع في اثنتي عشرة ساعة بمليون، وواحد يبيع بمئة ليرة، قيمة العمر بعمله الصالح، فإذا قال عليه الصلاة والسلام: تزيد في الأعمار, يعني تزداد الأعمال الصالحة في هذا العمر المحدود، وكأنه عاش مئة عام، بهذا المعنى.

العمل الطيب له قيمة في أي عصر:

عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ:

((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ, أَرَأَيْتَ أَشْيَاءَ كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؛ مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ عَتَاقَةٍ وَصِلَةِ رَحِمٍ, فَهَلْ فِيهَا مِنْ أَجْرٍ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَيْرٍ))

يعني سبب إسلامك: أنك تحب الخير في الجاهلية.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قِيلَ:

((يَا رَسُولَ اللَّهِ, مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: أَتْقَاهُمْ, فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ, قَالَ: فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ, ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ, ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ, ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ, قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ, قَالَ: فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِ: خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا))

العمل الطيب له قيمة في أي عصر، حتى في العصر الجاهلي، لذلك هناك قيم جاهلية يفتقر المسلمون الآن إليها، يقول عنترة العبسي:

أغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها.

الشجاعة، والنجدة، والمروءة، والوفاء بالعهد، هذه من أخلاق العرب في جاهليتهم, لذلك دقة حديث رسول الله عجيبة.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ))

[أخرجه أحمد في مسنده]

أيها الأخوة, والألم يعتصر القلب, هؤلاء المسلمون أو هؤلاء العرب فقدوا هويتهم، لا يتخلقون بأخلاق أجدادهم، ولا بروح العصر، العربي شجاع، العربي كريم، العربي ذو مروءة، العربي عنده وفاء بالعهد، طيب الآن أخلاق العصر: ترى هذه الأمة في أيام تخلفها, لا هي في أخلاق أجدادها، ولا هي في روح العصر، إذاً فقدت هويتها.

ما جاء في البر والصلة:

في حديث آخر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:

((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ, إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ, طَابَتْ نَفْسِي, وَقَرَّتْ عَيْنِي, فَأَنْبِئْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ, فَقَالَ: كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ, قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ, أَنْبِئْنِي عَنْ أَمْرٍ إِذَا أَخَذْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ, قَالَ: أَفْشِ السَّلَامَ, وَأَطْعِمْ الطَّعَامَ, وَصِلْ الْأَرْحَامَ, وَقُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ, ثُمَّ ادْخُلْ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ))

الآن هناك أعمال صالحة كثيرة، لكن ما من عمل صالح أعجل ثوابًا من صلة الرحم، وما من عمل سيء أعجل عقاباً من قطيعة الرحم.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((ليس شيء أطيع الله فيه أعجل ثوابًا من صلة الرحم، وليس شيء أعجل عقاباً من البغي وقطيعة الرحم، واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع))

الآن هناك معنى جديد: طبعاً زارك فزرته، أكرمك فأكرمته، وصلك فوصلته، ليست هذه صلة الرحم.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو, عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ:

((لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ, وَلَكِنْ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

قطعت فوصلها.

لذلك في بعض الأحاديث:

((أمرني ربي بتسع؛ خشية الله في السر والعلانية، كلمة العدل في الغضب والرضا، القصد في الفقر والغنى، وأن أصل من قطعني، وأن أعفو عمن ظلمني، وأن أعطي من حرمني، وأن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونظري عبرةً))

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–, عَنْ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ:

((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ, وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ, وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ))

ربط النبي –عليه الصلاة والسلام– الإيمان كله بصلة الرحم.

رجل من خثعم قال للنبي –عليه الصلاة والسلام–:

((أي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: الإيمان بالله, قال: ثم ماذا؟ قال: صلة الأرحام))

بعد الإيمان بالله.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ:

((سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

عمر مديد, ورزق واسع, هل من خير في الدنيا يفوق هذا الخير؟ عمر مديد، ورزق واسع، ابدأ بنفسك، فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابة، فإن فضل عن ذي قرابة شيء فهكذا وهكذا، ابدأ بنفسك، تثني بأهلك، ثم بأقاربك، ثم بعامة الناس، فالتسلسل بحسب الأولويات.

رجل قال للنبي الكريم:

((يا رسول الله, إني أصبت ذنباً عظيماً فهل من توبة؟ قال له: هل لك من أم؟ قال له: هل لك من خالة؟ قال: نعم، قال: فبرها))

بر الخالة تكفير للذنب.

رجل آخر قال:

((أبايعك –يا رسول الله– على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله عز وجل, قال: فهل من والديك أحد حي؟ قال: نعم, قال: بل كلاهما, قال: فتبتغي الأجر من الله؟ قال: نعم, قال: فارجع على والديك فأحسن صحبتهما))

الجهاد ذروة سنام الإسلام, في مستواه أن تبر والديك.

في مستواه أن تبر والديك.

إن الله عز وجل يوصيكم بأمهاتكم، ثم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب.

((فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني))

يجب أن يشعر الابن والبنت أنك حصن لهما، وأنك تدافع عنهما بالعدل طبعاً وبالحق، لكن قوة الدفاع عن الأقارب هذه فضيلة عند رسول الله.

تقول السيدة عائشة:

((ما غرت على نساء النبي –صلى الله عليه وسلم– إلا على خديجة، وإني لم أدركها، قالت: وكان عليه الصلاة والسلام إذا ذبح الشاة فيقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة، قالت مرةً: فأغضبته يوماً، فقلت: خديجة, فقال عليه الصلاة والسلام: إني رزقت حبها))

أذواقه أخلاقية، عدّ حبها رزقاً من الله عز وجل.

أيها الأخوة, الباب واسع جداً، الأحاديث والآثار عن الصحابة الكرام في صلة الرحم كثيرة جداً، معنى ذلك: جزء كبير من منهج الله عز وجل أن تصل رحمك، بل في بعض الروايات: أن امرأة سألت النبي –عليه الصلاة والسلام– أن أمها قد زارتها، وهي مشركة, أفأصلها؟ قال: صليها، ولو كان الأب والأم مشركين.

انتهز فرصة العمر وصل رحمك:

أيها الأخوة الكرام, لو تراحم الناس لما كنا في هذه الحال، والله أعلم أن هناك أقارب يملكون ملايين مملينة، وأن لهم أقرباء لا يملكون ثمن طعامهم، ولا يتفقدونهم، وإذا كان في مكان عام، وفي تبرع يقول: مليون، وله أخ شقيق يحتاج إلى قوت يومه ولا يعطيه، أما هذه أمام مئة شخص، أمام خمسمئة شخص فيها وجاهة، فقبل أن تدفع المليون تحت الأضواء ادفع مئة ليرة من دون أضواء.

حدثني إنسان قال لي: أنا فلست، فقدت مالي كله، ولي أخ حجمه المالي قريب من مئتي مليون، فسافر إلى بلد مجاور، والتقى بتاجر يتعامل بالبضاعة نفسها، قال لي: دون أن أشعر سألني عن أحوالي فأعلمته أني أفلست، وبكيت دون أن أشعر، أعطاني وقتها مبلغًا يساوي ثمن أربعة بيوت من أجل أن أقف مرةً ثانية على قدمي، وأعطاني بضاعة بالمبلغ نفسه، والإنسان غير مسلم، هذا الأخ يقسم بالله أنه يحب هذا غير المسلم أكثر من أخيه، أخوه يملك مئتي مليون، ما أمده ولا بليرة، وهذا غير المسلم أمده بمبلغ فلكي لكي يقف على قدميه؛ لذلك:

((يا داود, ذكر عبادي بإحساني إليهم، فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها))

أنت أمامك فرصة، أقرباؤك طبعاً، إذا كان الإنسان ميسورًا ساكنًا بحي راق جداً، له قريب ساكن بالدويلعة، والثاني بالمخيم، والرابع بزملكا، والخامس بمديارة، ما أخذه إلى هناك؟ هذه البطولة، هذا أخوك، وقد تكون لك أخت زوجها فقير، مهملة من قبل الأسرة كلها لأن زوجها فقير، أما الزوج الغني فله معاملة خاصة، البطولة أن تصل رحمك ولو كانوا أبعد، يعني إذا زرت أختك التي زوجها فقير يكون عندها عيد، تضن بالزيارة، أما الذي هو منعم عليه تزوره، ما ينتبه لك، يقول: ليس عندي وقت عدم المواخذة، فأنت هذا الذي زرته كان عنده عيد، زر هذا الفقير، اجبر كسره، اجبر خاطره، فصلة الرحم باب كبير، ولكن أقول لكم في نهاية هذا الدرس: يجب أن تنتهي هذه الصلة بالهداية، أنت سلمت عليه، زرته، تفقدت شؤونه.

لا تنجز الصلة غايتها إلا بالهداية:

بالمناسبة: من هو الذي يستحق زكاة مالك؟

قال تعالى:

﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً﴾

[سورة البقرة الآية: 273]

لأن الله عز وجل قال:

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾

[سورة الذاريات الآية: 19]

العفيف لا يسأل فيحرم، وهناك إنسان يسأل، ويقتحم عليك، ويلح، ويضايقك حتى تخرج من جلدك، تعطيه حتى تخلص منه، فهذا الذي لا يسأل وهو محروم أولى بزكاة مالك من هذا اللحوح، هذا يقتضي ماذا؟ أن تتفقده أنت، استحلفه بالله أعليك دين؟ كيف وضعه في مواسم المدارس، مواسم المؤونة أحياناً، مواسم الوقود, اسأل في المواسم المهمة جداً، يأتي البرد فجأة، يحتاج إلى إملاء مستودعات الوقود، تفتتح المدارس, يحتاج إلى مصاريف استثنائية، عنده حالة مرضية، يحتاج إلى عملية جراحية، ينبغي أن تسلم عليه، وأن تزوره، وأن تتفقد أحواله، ثم أن تأخذ بيده إلى الله، فإذا انتهت هذه الصلة بالهداية, تكون قد حققت من صلة الرحم غايتها الكبرى.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الرابع : العبادات و صلة الرحم

الدرس (4-1) : صلة الرحم من أبرز العبادات التعاملية

الدرس (4-2) : صلة الرحم من أهم الطاعات

الدرس (4-3) : صلة الرحم و الإساءة

الدرس (4-4) : صلة الرحم سبب لزيادة الرزق

الدرس (1-4) : صلة الرحم من أبرز العبادات التعاملية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

صلة الرحم :

أيها الأخوة الكرام، مع موضوعٍ جديد من موضوعات: "سبل الوصول وعلامات القبول"، ولعله من أبرز العبادات التعاملية إنه "صلة الرحم"، فقد قال الله عز وجل:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى ﴾

[سورة النساء الآية: 36]

وقد قرنت هذه العبادة التعاملية بالصلاة والزكاة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أبي أيوب الأنصاري أن رجلاً أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال:

((أخبرني بعمل يُدْخِلُني الجنَّةَ، ويباعدني من النار، فقال القوم: ما لَهُ؟ ما لَهُ؟ فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: أرَبٌ ما لَهُ؟ تعبدُ الله لا تُشْرك به شيئاً، وتقيمُ الصلاةَ وتُؤتي الزكاةَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ))

[أخرجه البخاري ومسلم والنسائي عن أبي أيوب]

هذا قانون، وقد أُمرت الأمم قبلنا بصلة الرحم، فقال سبحانه:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى ﴾

[سورة البقرة الآية: 83]

ودعا النبي صلى الله عليه وسلم في مطلع نبوته إلى صلة الرحم، فعن أبي أمامة قال:

((كُنْتُ وأنا في الجاهلية أظُنُّ أنَّ الناس على ضلالة، وأنهم لَيْسُوا على شيء وهم يَعْبُدُون الأوثان، فسمعتُ برَجُل بمكةَ يُخْبِرُ أخْبارا، فَقَعَدْتُ على رَاحِلتي، فَقَدِمْتُ عليه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مُسْتَخْفِيا، جِرَاء، عليه قومه، فَتَلَطَّفْتُ، حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنتَ؟ فقال: أنا نبي، فقلت: وما نبي؟ قال: أرسلني الله فقلت: فَبِأيّ شيء [أرسلك]؟ قال: [أرسلني] بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يُوَحَّدَ الله ولا يشرك به شيء))

[أخرجه مسلم عن عمرو بن عبسة]

صلة الرحم عبادة تحتل المركز الأول بعد العبادات الشعائرية :

تلاحظون أن هذه العبادة التعاملية تحتل أول مركز بعد العبادات الشعائرية، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام لم يربط هذه العبادة بأن يكون الأرحام لهم مكانة، قال النبي الكريم:

((أوصاني خليلي بصلة الرحم وإن أدبرت))

[أخرجه الطبراني والطبراني عن أبي ذر الغفاري]

و:

((أَمَرَنِي رَبِّي بِتِسْع : خَشْيَةِ الله في السِّرِّ والعلانية ، وكلمة العدل في الغضب والرضى ، والقصد في الفقر والغنى، وأن أَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي، وأعطي مَنْ حَرَمَنِي، وأعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي، وأن يكون صَمْتي فِكْرا ، ونُطْقِي ذِكْرا، ونظري عبرة))

[أخرجه زيادات رزين عن أبي هريرة]

أيها الأخوة، بل إن هذه العبادة التعاملية الأولى ربطت بالإيمان، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((وَمَن كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر فليَصِل رَحِمَه))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة]

صلة الرحم عبادةٌ عظيمة من أخصّ العبادات :

أيها الأخوة، صلة الرحم عبادةٌ عظيمة من أخص العبادات، يقول عمر بن دينار: ما من خطوةٍ بعد الفريضة أعظم أجراً من خطوةٍ إلى ذي رحم، ثوابها معجلٌ في الدنيا، ونعيمٌ مدخرٌ في الآخرة، فقد قال صلى الله عليه وسلم:

((إن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم))

[أخرجه الطبراني في المعجم عن أبي هريرة]

أعجل ثواباً في الدنيا قبل الآخرة، والقائم بحقوق ذوي القربى موعودٌ في الجنة، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((أصحاب الجنة ثلاثة ذو سلطان مصدق ومقسط موفق))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم عن عياض بن حماد]

إنسان قوي، عادل، مستقيم، موفق، محسن.

((ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قُرْبَى ومسلم ، وعفيف مُتَعَفِّف ذو عيال))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم عن عياض بن حماد]

السخاء على الرحم له ثوابٌ مضاعفٌ من رب العالمين :

أيها الأخوة الكرام، أمر الله بالرأفة بالأرحام كما نرأف بالمساكين، قال عز وجل:

﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾

[سورة الإسراء الآية: 26]

وحق الرحم في البذل والعطاء مقدمٌ على اليتامى والمساكين، قال تعالى:

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾

[سورة البقرة الآية: 215]

أيها الأخوة، السخاء على الرحم له ثوابٌ مضاعفٌ من رب العالمين، فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم دققوا في هذا الحديث:

((الصَّدَقَةُ على المسكينِ صَدَقة، وهي على ذي الرَّحمِ اثنتان: صدقة وصِلة))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن سلمان بن عامر]

إن تفقدت ذوي رحمك لك أجران؛ أجر الصدقة مع أجر الصلة، وأول من يعطى من الصدقة هم الأقربون من ذوي المسكنة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول:

((كان أبو طلحةَ أكثَرَ الأنصار مالا بالمدينة من نخل، وكان أحبَّ أمواله إليه بَيْرُحاءَ – بستان جميل جداً وكانت مستقبلةَ المسجدِ – فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدخُلُها، ويشربُ من ماء فيها طيّب ، قال أنس: فلما نزلتْ هذه الآية: { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ }

[آل عمران : 92]

قام أبو طلحةَ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسولَ الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ } وإن أحبَّ مالي إليَّ: بَيْرُحاءَ، وإنَّها صدقة لله، أرجو بِرَّها وذُخْرَها عند الله فَضعْها يا رسولَ الله حيث أراكَ الله، قال: فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: بَخ، ذلك مال رابح ذلك مال رابح))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ومالك عن أنس بن مالك]

بعضهم يقول: لما سمي المال مالاً؟ لأنه ليس لك ما لك، أما إذا أنفقته في سبيل الله فيصبح لك.

((ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعتُ ما قلتَ، وإني أرى أن تجعلَها في الأقربين، فقال أبو طلحةَ: أفعلُ يا رسولَ الله، فقسمها أبو طلحةَ في أقاربه وبني عمه))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ومالك عن أنس بن مالك]

الباذل لأقربائه سخيُ النفس كريم الشيم :

أيها الأخوة، الباذل لأقربائه سخيُ النفس، كريم الشيم، يقول الشعبي –رحمه الله–: والله ما مات ذو قرابةٍ لي وعليه دين إلا وقضيت عنه دينه.

أحد أخواننا الكرام، له ابن عم أستاذ جامعي، توفي بمرض وبيل، فسأل أولاده أمامي أَعلى والدكم دين؟ قالوا: نعم، قال: هو عليّ، قال لي: تصورت عشرة آلاف، عشرين ألفاً، بعد عدة يوم سألهم، فقالوا: ثلاثمئة وخمسة

وثمانين ألفاً، قال لي: والله دفعتها عداً ونقداً، أقسم لي بالله وقال: كان عندي بضاعةٌ كاسدة من سنوات طويلة بعتها بعد عدة أيام ونصيب أرباحي منها المبلغ نفسه.

فهذا الشعبي يقول: ما مات ذو قرابةٍ لي وعليه دين إلا وقضيت عنه دينه.

من هم الأرحام؟

من هم الأرحام؟ بشكل موضوعي الرحم الأولى رحم الدين، هي رحمٌ عامة تشمل جميع المسلمين، تتفاوت صلتهم بحسب قربهم وبعدهم من الدين، أو بحسب قربهم المكاني أو الزماني فيدل على ذلك قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

[سورة الحجرات الآية: 10]

أي مؤمن هو أخوك في الدين بحسب مكانه، طبعاً الإنسان بالصين غير الإنسان بالشام، الذي في الشام أقرب إليك، بحسب المكان، والزمان، والقوة في الدين، لذلك قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

[سورة الحجرات الآية: 10]

الأخوة الإيمانية لجميع المسلمين، وقال تعالى:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾

[سورة محمد]

هنا الرحم العامة رحم الإيمان، أي كل أخ مؤمن له عليك حق.

النوع الثاني: رحم القرابة القريبة أو البعيدة من جهتي الأبوين، إذاً كل أقربائك القريبة والبعيدة من جهة الأبوين، أي من جهة والدك ومن جهة أمك.

صلة الرحم تدفع ميتة السوء :

أيها الأخوة، العلاقات بين الناس تزداد وثوقاً بالرحم، وقريبك لا يمَلّك على القرب، ولا ينساك في البعد، عزه عزٌ لك، وذله ذلٌ لك، قال القرطبي رحمه الله تعالى: اتفقت الملة على أن صلة الرحم واجبةٌ، وأن قطيعتها محرمة. وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحسن الجوار وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار))

[أخرجه الإمام أحمد عن عائشة أم المؤمنين]

معنى يزيدان في الأعمار؛ هناك معنى شرحه العلماء قالوا: العمر لا يتبدل، لكن العمر يغتني بالعمل الصالح، أو يطول بالعمل الصالح، ويقصر بضعف العمل الصالح، أوضح مثل إنسان فتح محله التجاري ساعة باع بمليون، وإنسان فتحه اثنتي عشرة ساعة باع بمئة ليرة، فالزمن ليس له قيمة، القيمة لهذا المبلغ الذي باع فيه في هذا اليوم.

و عن أنسٍ رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((إن الصدقَةَ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وتَدْفَعُ مِيتَة السُّوءِ))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

والله مرة في طريقي إلى مكتبي وجدت إنساناً ملقى على الأرض مغطى بغطاء، مات لعله بسكتة دماغية في الطريق، هذا الساعة التاسعة صباحاً، الساعة الرابعة بعد الظهر هو هو، الطبيب لم يأتِ، إنسان يموت في الطريق، إنسان يموت في بيته بين أهله، فلذلك صلة الرحم تدفع ميتة السوء.

كيفية صلة الرحم العامة و الخاصة :

أيها الأخوة، أولاً: رحم الدين كيف نصلها؟ قال: بملازمة الإيمان، والمحبة للمؤمنين، ونصرتهم، والنصيحة لهم، وترك أذيتهم، والعدل بينهم، والإنصاف في معاملتهم، والقيام بحقوقهم الواجبة، كتمريض المرضى، ومواساة الفقراء من دون أن يمن عليهم، ونصرة المظلومين، وحقوق الموتى من غسلهم، والصلاة عليهم، ودفنهم، وغير ذلك من الحقوق المترتبة على أهل الإيمان، هذه الرحم العامة، الرحم الخاصة رحم القرابة، وتكون صلتها بزيارتهم، وتفقد أحوالهم، والسؤال عنهم، والإهداء إليهم، والتصدق على فقيرهم، والتلطف مع وجيههم وغنيهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتكون الصلة باستضافتهم، وحسن استقبالهم، وإعزازهم، ومشاركتهم في أفراحهم، ومواساتهم في أتراحهم، وتكون الصلة بالدعاء للأرحام، وسلامة الصدر لهم، والحرص على نصحهم، ودعوتهم للخير، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وإصلاح ذات البين إذا فسدت.

حدثني أخ قال لي: أنا أسكن ببيت، ثاني قبو تحت الأرض، شمالي، مساحته سبعون متراً، رطوبته عالية جداً، أولادي معهم أمراض كثيرة، قال لي: والله ما خطر في بالي شيء، إلا أنك حينما تحدثت عن صلة الرحم زرت أحد أقربائي، لم أجده فوضعت له بطاقة، يبدو أن هذا القريب رأى من الواجب أن يرد الزيارة، ردها بعد العيد، رأى بيتي بهذا الوضع، قال له: هذا البيت لا يُسكن، قال لي بمروءةٍ عجيبة وبحرصٍ على أولادي: ابحث عن بيت بمليوني ليرة، القصة قديمة، قال لي: والله الله أكرمني ببيت في الطابق الرابع، جنوبي، انتقلت إليه وحياتنا انقلبت رأساً على عقب بهذه الصلة.

صلة الرحم زيارة وتفقد ومساعدة وتوجيه :

الحقيقة هذه الصلة تعني أن القوي من الأقارب يعاون الضعيف، وأن الغني يعاون الفقير، وأن العالم يعاون الجاهل، أنا أتصور صلة الرحم عملية معقدة جداً، الناس اختصروها بزيارة مع بطاقة، ويتمنى ألا يجده، يضع البطاقة وانتهى الأمر، كأن هذه الصلة مسخت، أنا أتصور صلة الرحم أن تزوره، أن تتفقد شؤونه المعاشية، التربوية، الدينية، الاجتماعية، أن تمده بما تستطيع، من مال بأسلوب ذكي جداً، لطيف، مثلاً على المدارس هناك هدية معينة، على أول العام الدراسي هناك هدية معينة، في مواسم العبادة هناك هدية معينة، في الأعياد أن تمده بالمال، أن تمده بتعليم أولاده.

والله حضرت قبل يومين جمعية رائعة جداً، أي طالب متفوق لم يتح له أن يدرس في الجامعة، هذه الجمعية مختصة بالإنفاق عليه حتى التخرج، هذا شيء يفعله أهل الدنيا بأكملهم، طالب متفوق يجب أن يدرس. فأنت حينما تتفقد من حولك المكافأة في الدنيا قبل الآخرة، أولاً: تكون هذه الصلة ببشاشةٍ عند اللقاء، ولينٍ في المعاملة، وطيبٍ في القول، وطلاقةٍ في الوجه، وزيارات، وصلات إحسانٍ إلى المحتاج، وبذلٍ للمعروف، تكون بنصحهم والنصح لهم، ومساندة مكروبهم، وعيادة مريضهم، والصفح عن عثراتهم، وترك مضرتهم، والمعنى الجامع لكل هذا إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر، هذه الصلة، الصلة زيارة، الصلة تفقد، الصلة مساعدة، الصلة توجيه.

والله سمعت عن أسرة في هذه البلدة الطيبة أنشؤوا شركة غير ربحية من أجل أن تهيئ فرص عمل للشباب الفقراء من هذه الأسرة، لها اجتماعات تعين الشباب، تبحث عن مستقبلهم، تبعثهم إلى الجامعات، من أروع الأُسر، أقامت جمعية خيرية من أجل مساعدة أفراد هذه الأسرة الكبيرة.

كل إنسان يتفقد أرحامه له من الله معاملة خاصة :

أيها الأخوة، إلا أن الأقارب يختلفون في أحوالهم، وطباعهم، ومنازلهم، منهم من يرضى بالقليل، تكفيه الزيارة السنوية، والمكالمة الهاتفية، منهم من لا يرضى بطلاقة الوجه، والصلة بالقول، منهم من يعفو عن حقه كاملاً ويلتمس المعاذير لأرحامه، ومنهم من لا يرضى إلا بالزيارة المستمرة والاهتمام الدائم، فمعاملتهم بهذا المقتضى، كل قريب له طبع، هذا القريب يكفيه بالسنة زيارة، هذا القريب يحتاج إلى زيارة دورية، هذا القريب دقيق جداً يحاسبك على الهمسة، هذا القريب متسامح.

على كلٍّ بشكل مختصر: تبدأ صلة الرحم بنوعٍ من الاتصال، قد يكون هاتفياً، قد يكون بريدياً، قد تكون زيارة، ثم تفقد الأحوال المعيشية والاجتماعية، ثم المساعدة بألطف أسلوب، ثم الأخذ بيد القريب وأهله إلى الله، وحملهم على طاعته والتقرب إليه، وهذا تاجٌ تتوج به الصلة، أي إذا تمكنت أن تأخذ بيد هذه الأسرة إلى الله، دعوتهم إلى مسجدك، اعتنيت بهم، تفقدت شؤونهم، أكرمتهم بهدايا:

((يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم، فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها))

[ورد في الأثر]

والله بالواقع أعرف أناساً كثيرين يتمتعون بهذه العبادة التعاملية، والله عز وجل أكرمهم إكراماً لا حدود له، أخ كريم له خمس أخوات بنات، أزواجهن ليسوا أغنياء، هذه بحاجة إلى عملية جراحية على حسابه، هذه تريد مساعدة شهرية على حسابه، شيء عجيب جداً، كل إنسان يتفقد أرحامه له من الله معاملة خاصة. الآن عندنا أقارب متعبون، حتى لو كان الأقارب من النوع المتعب الذي يقابل الإحسان بالإساءة لا يجوز أن تقاطعهم، لأنك تتعامل مع الله، طاعةً لأمره، والتزاماً بسنة نبيه، أي اصنع المعروف مع أهله ومع غير أهله، فإن أصبت أهله أصبت أهله، وإن لم تصب أهله فأنت أهله.

غض البصر عن الهفوات والعفو عن الزلات تجني الود والإخاء واللين والصفاء :

أيها الأخوة، الواقع أن ذوي الرحم غير معصومين، يتعرضون للزلل، ويقعون في الخلل، تصدر منهم الهفوات، يقعون في خطيئاتٍ كبيرات، فإن بدر منهم شيءٌ من ذلك فالزم جانب العفو معهم، فإن العفو من شيم المحسنين، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزة، وقابل إساءتهم بالإحسان إليهم، واقبل عذر معتذرهم، ولك في النبي الكريم يوسف القدوة والأُسوة، فقد فعل أخوة يوسف مع يوسف ما فعلوا، وضعوه في الجب ليموت، أي قتلة، وعندما اعتذروا قَبِل عذرهم، وصفح عنهم الصفح الجميل، ولم يوبخهم بل دعا لهم وقال:

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

[سورة يوسف]

هناك ملمح دقيق في الآية، قال:

﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾

[سورة يوسف الآية: 100]

لم يقل من الجب، إن قال: إن أخرجني من الجب ذكرهم بخطيئتهم، تجاهل خطيئتهم قال:

﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾

[سورة يوسف الآية: 100]

لم يصف أنهم أعداء، قال: نزغ الشيطان بيننا، هذا تلطف عال جداً، الأنبياء مثل عليا.

حق الرحم :

أيها الأخوة، إذاً غض البصر عن الهفوات، والعفو عن الزلات، وإقالة العثرات تجني الود، والإخاء، واللين، والصفاء، وتتحقق فيك الشهامة، والوفاء، وداوم على هذه الصلة ولو قطعوا، وبادر بالمغفرة ولو أخطؤوا، وأحسن إليهم ولو أساؤوا، ودع عنك محاسبة الأقربين، ولا تجعل عتابك لهم سبباً لبعدهم عنك، وكن جواد النفس، كريم العطاء، وجانب الشح فإنه من أسباب القطيعة.

وعن عبد الله بن عمرو قال: خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

((وإياكم والشح فإنما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالقطيعة فقطعوا أرحامهم، وأمرهم بالفجور ففجروا وأمرهم بالبخل فبخلوا))

[أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

قيل لأحدهم ما حق الرحم؟ قال: تستقبل إذا أقبلت، وتتبع إذا أدبرت، أي ليس الواصل بالمكافئ، زارني أزوره، دعاني إلى وليمة أدعوه إلى وليمة، هذا نمط الغرب، أما عند المسلمين فأصله ولو قطعني، أصله ولو جافاني.

((أَمَرَنِي رَبِّي بِتِسْعٍ: خَشْيَةِ الله في السِّرِّ والعلانية، وكلمة العدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، وأن أَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي، وأعطي مَنْ حَرَمَنِي، وأَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي، وأن يكون صَمْتي فِكْرا، ونُطْقِي ذِكْرا، ونظري عبرة، وآمرُ بالعُرْف))

[أخرجه زيادات رزين عن أبي هريرة]

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي الكريم:

((يا رسولَ الله، إن لي قرابة، أصلِهُم ويقطعونني، وأُحْسِن إليهم ويُسيئُون إليَّ وأحلُم عنهم، ويجهلون عليَّ؟ قال: لئن كنتَ كما قلتَ فكأنما تُسِفُّهُم الملَّ – التراب – ولن يزال معك من الله ظهير عليهم ما دُمتَ على ذلك))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

أيها الأخوة، هذا بعض ما في هذه الصلة، وهذه العبادة التعاملية الأولى بعد العبادات الشعائرية، أسأل الله سبحانه وتعالى أن تترجم هذه النصوص والحقائق إلى سلوك يومي.

الدرس (2-4) : صلة الرحم من أهم الطاعات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

التضامن الاجتماعي :

أيها الأخوة الكرام، صلة الرحم من أهم الطاعات، بل لعل النظام الإسلامي من أبرز معالمه التضامن الاجتماعي، ولعل هذا التضامن الاجتماعي أساسه النسب والمكان، فالمكان جاءت أحاديث حقوق الجار، والجار له حق لا يصدق.

((ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه))

[متفق عليه عن ابن عمر]

والبند الثاني في التضامن الاجتماعي صلة الرحم، فأنت لك قرابة ولك جوار، ولابد من أن يكون كل إنسان مشمولاً بجوار أو بقرابة، وكأن نظام القرابة ونظام الجوار غطى كل المجتمع، والحقيقة أن الله سبحانه وتعالى وزع الحظوظ في الدنيا توزيع ابتلاء، ولحكم بالغة بالغة شاء الله أن يكون هناك فقر وغنى، وضعف وقوة، ومرض وصحة، فتوزيع الحظوظ في الدنيا توزيع ابتلاء، إذاً قد تجد جاراً فقيراً وجاره غني، وقد تجد جاراً ضعيفاً وجاره قوي، وقد تجد جاراً مريضاً وجاره صحيح، الحظوظ موزعة، والناس يسكنون إلى جنب بعضهم بعضاً، للجار حق وللأقرباء كذلك، قد تجد رجلاً في أسرة موسراً، وقد تجد أخاه فقيراً، فلأن الحظوظ متفاوتة فجعل الله عز وجل الضمان الاجتماعي، الذي يكشف حقيقة الإنسان، وحقيقة إيمانه، وحقيقة رحمته، وحقيقة عمله الصالح، وحقيقة امتحانه، جعل الضمان الاجتماعي على أساس الأرض، وعلى أساس النسب.

صلة الرحم :

الحديث اليوم عن صلة الرحم، لكن أيها الأخوة هذه الطاعات العظيمة، هذه الطاعات الكبرى أحياناً تفرغ من مضمونها، كيف؟ مسخت صلة الرحم عند المسلمين إلى زيارة جوفاء لا تقدم ولا تؤخر، في العيد أو في العيدين، وحينما يكون الذي يطوف على بيوت أقربائه مضغوطاً أو مشغولاً ويضع قائمة، يتمنى عند كل بيت يطرقه ألا يجده، وأن يضع بطاقة رفعاً للحرج، وحفظاً لماء الوجه، هذه العبادة وهذه الطاعة مسخت إلى زيارة جوفاء لا تقدم ولا تؤخر .

الحقيقة أن صلة الرحم تبدأ بالزيارة، ويتبع هذه الزيارة تفقد الأحوال، لك أخوة، لك أخوات، لك أخت متزوجة، لك ابن عم فقير، لك ابن خالة مريض، لك ابن أخت يعاني من أولاده، الزيارة هي البدء، ثم التفقد، تفقد الأوضاع الاجتماعية، تفقد الأوضاع المعيشية، تفقد الأوضاع الدينية، زرت أخاك رأيت ابنته متفلتة ينبغي أن تنصحها، ولعلك تبدأ بإكرامها، وتبدأ بتقديم هدية لها، ولعلك تدعوها إلى بيتك وتنصحها، فإذا تحجبت فقد وصلت رحمك، صلة الرحم لا تعني أن تزور زيارة جوفاء تتحدث عن الأخبار التي سمعتها في الجزيرة، وعن الأسعار، وما إلى ذلك، صلة الرحم تعني أن تزور أهلك.

وقد سئلت اليوم من هم الأقرباء الذين ينبغي أن نصلهم؟ قلت: أقرباء الأم والأب معاً، هذه كلمة شمولية، تزور أولاً، تتفقد الأوضاع المعيشية، تتفقد الأوضاع الدينية، تتفقد الأوضاع الاجتماعية، هذه الفتاة لم تتزوج، ينبغي أن تسعى لتزويجها، فما من شفاعة أعظم عند الله من أن تشفع بين اثنين في نكاح. ورد في الأثر أنه: "من مشى في تزويج رجل بامرأة كان له في كل كلمة قالها، وبكل خطوة خطاها، عبادة سنة قام ليلها وصام نهارها".

تفقد الأوضاع الاجتماعية، والأوضاع المعيشية، والأوضاع الدينية، فإذا أخذت بيد هؤلاء إلى الله ورسوله، إلى طاعة الله ورسوله، تكون قد وصلت رحمك، وأذكر أن أكثر من ثلاثين حديثاً صحيحاً تؤكد صلة الرحم.

صلة الرحم من أعظم الأعمال :

مادام الدرس اليوم في الأحاديث القدسية فهذا الحديث أخرجه الإمام البخاري:

((خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَلْقَ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ ...))

[البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

الرحم يعني الأقرباء، علاقات القرابة جسدت.

((فَقَالَ: مَهْ ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ: فَذَلِكَ لَكِ " ، ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ سورة محمد "آية 22"))

[البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

أي صلة الرحم من أعظم الأعمال، ذلك أن رحمك من لهم غيرك؟ أما بقية الناس فأنت لهم وغيرك لهم.

الإنسان حينما يعلو بماله أو بعلمه وينسى أقرباءه و أهله فهذا جاحد كبير :

لما فتح النبي مكة المكرمة الفتح العظيم، وعفا عن أهلها لأنهم رحمه، وعفا عن أبي سفيان الذي قاد حروباً ثلاثاً ضده، قال أبو سفيان: ما أعقلك! وما أرحمك! وما أحكمك! وما أوصلك!.

الإنسان أحياناً يعلو فينسى أقرباءه، قال لي أحدهم: أعلنت إفلاسي، تاجر أعلن إفلاسه، له أخ من أم وأب، أخ شقيق، تزيد أمواله عن مئتي مليون لم يقدم له ولا ليرة، فالإنسان حينما يعلو بماله، أو يعلو بعلمه، أو يعلو بمنصبه، وينسى أقرباءه، وينسى أهله فهذا جحود كبير، الحقيقة صياغة الحديث مؤثرة فيها تجسيد:

((خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَلْقَ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ ...))

[البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

الرحم يعني معنى اعتباري مجازي كيف قال الله عز وجل:

﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ ﴾

[سورة الكهف : 77]

هذه استعارة، أي الرحم أعطيت هنا صفة الإنسان، قامت وتمسكت بحقو الرحمن – و الحقو موضع عقد الإزار وشده –، باللغة الدارجة إذا إنسان مستجير يقول له: يدي بزنارك، بالضبط، طبعاً على معنى يليق بكمال الله، قامت الرحم، فأخذت بحقو الرحمن، فقال له: مه.

ألم نقل الرحم أخذت دور الإنسان؟

((فَقَالَ: مَهْ ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ: أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ: فَذَلِكَ لَكِ " ، ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ سورة محمد آية 22))

[البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

صلة الرحم زيارة وبذل وإرشاد ومعونة وتوجيه وإكرام :

لذلك جزء من الدين أن تصل رحمك، هل تصدق أن أختاً قد لا يزورها أخوها في السنوات مرة، تذكر ما أقول لك، أنت حينما تزور أختك تنعشها، وتفرحها، وتسعدها، وتشعر بعزة أمام زوجها، ليست مقطوعة لها أهل، أن تزور أختك، أو أخاك، أو بنت أخيك، أو بنت أختك في مناسبات متقاربة، وأن تسألها عن أحوالها، وعن صحتها، وعن أولادها، وعن أعمال أولادها، وعن زوجها، وأن تقدم لها مساعدة.

أنا أذكر الآن قصة أخ كريم زار أخته فرأى شجاراً بينها وبين زوجها حول مبلغ تفرضه عليه ككسوة ومصروف لبناتها،– القصة قديمة – طلبت منه من راتبه ثلاثمئة ليرة، والزوج يبدو أن راتبه محدود فرفض هذا الطلب، ونشب صراع بينهما، فدخل على أخته وهما في هذا الحالة، فأشفق عليها وأشفق على زوجها، زوجها دخله محدود، وهي بحاجة ماسة إلى حد أدنى من تغطية حاجات بناتها، فقال لها: يا أختي هذا المبلغ خذيه مني كل شهر، أقسم لي بالله أنه كان يرسل لها هذا المبلغ في اليوم الأول من كل شهر لمدة ستة أشهر، ثم التقى بها مرة قالت له: لو تجعل لنا درساً دينياً، رحب بهذه الفكرة، قال لي أنا لست مدرساً دينياً، أنا مهندس، قال لي: بدأت أحضر الدرس، أحضر آية، حديثاً، قصة، قضية فقهية، يحضر الدرس جيداً، طبعاً الدرس لأخواته كلهن، وبنات أخواته كلهن، قال لي: استمر هذا الدرس أكثر من سنتين، محصلة هذا الدرس أن كل بنات أخواته تحجبن، وزوج معظمهن.

هذه صلة الرحم؛ زيارة، وبذل، وعطاء، وإرشاد، ومعونة، وتوجيه، وإكرام، إذا وصلت الرحم وصلك الله، وإذا قطعت الرحم قطعك الله، وأبو سفيان تأثر أشد التأثر فقال: يا محمد ما أكرمك! وما أرحمك! وما أوصلك! وما أعقلك! أما أن تشاهد في المحاكم دعاوى بين الأخوة والأخوات، وبين الآباء والأمهات، وبين القرابات فهذا وصمة عار في حق المسلمين.

أنا والفضل لله عز وجل من أول هذه الدعوة ما وافقت أن تقام دعوى بين قريبين، أبداً، القرابة مقدسة جداً، لا ينبغي أن يدخل أخوان إلى المحكمة.

درء المفاسد مقدم على جلب المنافع :

وأخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول:

((قال الله: أنا اللهُ وأنا الرَّحمَنُ خَلَقتُ الرَّحِمِ وشَقَقتُ لها من اسمِي فمنْ وصَلَها وصلتهُ ومن قَطَعَها بتتُّهُ))

[الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه]

ينبغي أن تعد صلة الرحم جزءاً من دينك، قد تقول: أنا مشغول، هذا ليس عذراً ينبغي أن تقتطع من وقتك وقتاً لزيارة أقربائك، إلا في حالات أنا أذكرها لكم: لو أن لك أقارب متفلتين، يسخرون من الدين، لا يصلون، لا يلتزمون، دخلت إليهم أو دخلت عليهم فبرزت الفتيات بأبهى زينة، يتضاحكن أمامك، ويكشفن عن مفاتنهن، ويسخرن من تدينك، هذه ليست صلة رحم، دع خيراً عليه الشر يربو، يمكن أن تكون الصلة مع هذه الأسرة عن طريق الهاتف، درء المفاسد مقدم على جلب المنافع. إن كان هؤلاء الذين تزورهم لا يحترمون دينك، ولا قيمك، ولا منهجك في الحياة، ينبغي أن تقاطعهم إشعاراً لهم أنهم متفلتون، لكن لك أن تزورهم من موسم إلى موسم زيارة عابرة، ولو أن تطرق بابهم، وأن تسألهم عن أحوالهم، أو عن طريق الهاتف، فالأسر المتفلتة التي تسخر من المؤمن هذه ينبغي أن تؤدب.

رمضان شهر الإنفاق و صلة الرحم و الأعمال الصالحة :

أيها الأخوة، هذا الشهر شهر الأعمال الصالحة، وكأن هذا الشهر شهر الإنفاق وشهر صلة الرحم، لكن الذي يحصل – نعوذ بالله مما يحصل – رمضان موسم لقاءات، لقاءات مختلطة، وحديث لا يرضي الله، ومتابعة

مسلسلات، وهذا أفضل ألف مرة من الخيمات الرمضانية التي تبدأ بصلاة التراويح وتنتهي بالرقص، وكل هذا من أجل شهر رمضان، هذا النوع من زيارات الأقارب لا علاقة له بهذا الدرس إطلاقاً، صلة الرحم أن تنهض لتفقد أهلك، والقوي يجب أن يأخذ بيد الضعيف، والغني يجب أن يأخذ بيد الفقير، والعالم يجب لأن يأخذ بيد الجاهل، وعندي والله أمثلة أنا أعتز بها؛ أحد أخواننا من الميسورين أسس مؤسسة تجارية لآل أسرته، لا يدع شاباً من دون عمل إلا ووظفه في هذه المؤسسة، ولا يدع شاباً مقصراً في دينه إلا سخر له من يرده إلى الدين، ولا يدع شاباً من دون زواج إلا وزوجه، مؤسسة آل هذه الأسرة يقدمون من أموالهم دعماً لهذه المؤسسة، هذه المؤسسة تجارية، أولاً: توفر فرص عمل لكل شباب الأسرة، ثم هناك جلسات دينية، وهناك جلسات توجيهية، والله أنا حينما سمعت تفاصيل هذا المشروع أعجبت، قلت: ليت كل أسرة تقيم مثل هذا المشروع، كل أسرة فيها أغنياء وفقراء، لو هؤلاء الأسر اجتمعوا على توفير حاجات الفقراء، وتعليم الشباب، وتأهيل الذين ليسوا مؤهلين للعمل، والبحث عن فرص عمل، وتزويج هؤلاء الشباب، هذا من أعظم الأعمال.

أيها الأخوة الكرام، في الحديث الصحيح أن الذي يؤدي زكاة ماله لأقربائه المحاويج تكتب عند الله بأجرين، بأجر الزكاة، وأجر الصلة، صدقة وصلة.

أخ كريم رجاني أن أروي هذه القصة، وهو عندي والله من الصادقين، له ابن عم لا يعرف شكله، هكذا، نمط الأسرة فيها تباعد، حينما حضر مجالس العلم قال: ينبغي أن أزوره في العيد، فزاره ولا يعرفه، قال له: أنا ابن عمك، رجل كريم رحّب به ترحيباً عالياً، وبعد حين اتصل به و قال له: لك علينا حق أن نزورك، فكان هناك موعد، فوجئوا أن بيته تحت الأرض، وفيه رطوبة عالية جداً، ومعظم أولاده معهم التهاب مفاصل، ومعهم أمراض، فهذا القريب قال له: لا يمكن لهذا أن يستمر، ابحث عن بيت بمليوني ليرة، قال لي: والله بعد ستة أشهر أسكن الآن ببيت، طابق ثالث، جنوبي، أقسم بالله حينما زار ابن عمه لا يقصد أبداً أن يعطيه شيئاً، لكن هذا ابن العم ميسوراً وهو يساعد الغرباء وابن عمه أولى، فهيأ له هذا البيت، هكذا ينبغي أن نكون.

حينما نتعاون يحبنا الله جميعاً، ولعله ينصرنا، أما حينما يظلم بعضنا بعضاً فقد لا نستحق نصر الله عز وجل، لما قال ابن رواحه لليهود: "جئتكم من عند أحب الخلق إلي ولأنتم أبغض عندي من القردة والخنازير

ومع ذلك لن أحيف عليكم، فقالت اليهود: بهذا قامت السموات والأرض وبهذا غلبتمونا"، وهذا معنى قول بعض العلماء: إن الله ينصر الأمة العادلة الكافرة على الأمة المسلمة الظالمة.

فأرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الحديث القدسي باعثاً لنا على تجسيد الطاعة العظيمة، وهذا موسمها.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-4) : صلة الرحم و الإساءة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع:

أعزائي المشاهدين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، مرحباً بكم إلى حلقة جديدة من برنامج : " عطر السنة"، نستنشق فيه عبير النبوة الفواح من فم أستاذنا الكريم الدكتور محمد راتب النابلسي .

مرحباً بكم أستاذنا عطرت البرنامج .

الدكتور راتب :

بارك الله بكم ونفع بكم .

المذيع:

ما زال الحديث أستاذنا الكريم عن صلة الرحم ؛ النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه رجل فيقول : " يا رسول الله إن لي رحماً أصلهم ويقطعونني ، أحسن إليهم ويسيئون إليّ ، أعفو عنهم ويظلمونني ، فقال عليه الصلاة والسلام : إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ".

نريد أن نعيش قليلاً مع هذا الحديث .

البطولة مقابلة الإساءة بالإحسان :

الدكتور راتب :

الحقيقة قد يخطئ الإنسان ويقطع رحمه لكن حينما يقابل هذه الإساءة بالإحسان أنت تلقي درساً بليغاً على هذا الإنسان ، فلذلك :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

[سورة فصلت: 33 -34]

الحقيقة أن ترد على الإساءة بالإحسان هذه بطولة ، وهذا ترفع عن غرائز الإنسان البشرية، فالإنسان قيمته بأعماله الصالحة ، وعمله الصالح أمامه عثرات أحياناً ، البطولة أن تقفز على هذه العثرات وأن تتجاوزها ، ودائماً الذي يعفو هو الكريم، والذي يتجاوز هذه الأشياء المزعجة يكون أكبر عند الله .

المذيع:

أستاذنا هناك عقبات أمام الصلة أحياناً ، هناك مبررات للقطيعة ، ربما إساءات متكررة ، ولذلك هذا يدفع بعض الناس إلى تخفيف الصلة أو قطعها .

الابتعاد عن القطيعة الكاملة المستمرة :

الدكتور راتب :

والله أنا لا أرى قطعها كلياً ، لو أن أختاً أساءت لأخيها فقطعها نهائياً فقد كل إمكانات التوجيه في الأيام القادمة ، أنا أقول : يعاتبها ، قد يقطعها إلى حين ، أما أنا فلست من أنصار القطيعة الكاملة المستمرة ، لأنه فقد كل ما كان من الممكن أن يفعله معها .

المذيع:

أستاذنا هناك حديث آخر للنبي صلى الله عليه وسلم من ثمرات صلة الرحم كما جاء في الحديث : " أن يبسط له في رزقه " قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل :

((...أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ...))

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

من ثمرات صلة الرحم أن الله يصل العبد إذا وصل رحمه ، ما معنى هذا الحديث ؟

القدوة قبل الدعوة :

الدكتور راتب :

هناك لعبة اسمها شدّ الحبل ، فأنا حينما أصل الرحم وأخاف أن أشد إليه ، إلى انحرافه ينبغي أن أبتعد عنه ، أما إذا كنت واثقاً أنني بإمكاني أن أشدهم إلي ، فهذا مقياس شد الحبل .

فالذي يذهب إلى من حوله من أقربائه وتزل قدمه فينحرف كما انحرفوا نقول له : ابتعد عنهم ، سلامتك أولى، أما الذي يستطيع أن يتصل مع أقربائه ممن قصروا في أمر دينهم ، وفي انضباطهم الشرعي ، وأنا بطريقة لطيفة ذكية معي هدية أقنعهم بعظمة هذا الدين ، أحملهم على العودة إلى الله ، فهذه بطولة كبيرة جداً ، أنا أقول دائماً : الطرف الخير ليس بحاجة إليك الذي بحاجة إليك الطرف السيئ ، البطولة مع هذا السيئ.

فالجيد جيد ، حينما تتعامل مع الطلاب المتفوقين القضية سهلة جداً ، لكن إذا كان الطالب مقصراً جداً ، ومعنوياته محطمة ، أنت حينما تطرح عليه سؤالاً بسيطاً ، ويجيب عليه إجابة جيدة ، تثني عليه ، أنشأت عنده ثقة بالنفس ، هناك معالجات كثيرة ، هذا الذي قطعني أصله ، صلتي له درس بليغ له ، صلتي له تعليم ، فالقدوة أبلغ من الدعوة ، القدوة قبل الدعوة ، الناس يتعلمون بعيونهم لا بآذانهم ، فهذا الذي أسيء إليه من قبل أقربائه فإذا وصلهم وأكرمهم لقنهم درساً لا ينسى .

المذيع:

أستاذنا العجيب في صلة الرحم في هذا الدين الإسلامي العظيم أنها ليست مبنية على الإسلام بمعنى ليس شرطاً أن أصل من أقربائي من كانوا مسلمين ، بل يجب عليّ أن أصل من كان من أقاربي حتى ولو لم يكونوا مسلمين .

العمل الصالح يمتن العلاقات و يوثقها :

الدكتور راتب :

الحقيقة أن العمل الصالح يمتن العلاقات إجمالاً ، فالذي قطعني وأنا وصلته لقنته درساً بليغاً ، وهناك شيء آخر الإنسان عندما يكون له صلة مع أقربائه الدوائر الجيدة تتسع .

فإذا اتسعت قللت من قيمة الدوائر السيئة ، هذا المجتمع كيف ينمو ؟ ينمو بالتواصل ، ينمو بالتراحم ، ينمو بالتعاضد ، ينمو بالتناصح ، أنا حينما أقطع رحمي توقف النصح ، توقف العمل الصالح ، توقفت الصلة، توقف الأنس ، كل هذه الإيجابيات في الصلة انتهت ، البطولة عفواً عندنا آيات هي أخلاق الحرب :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾

[سورة التوبة:73]

هذه أخلاق الحرب ، أما أخلاق السلم :

﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

[سورة فصلت : 34]

ولي حميم :

﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾

[سورة فصلت : 35]

من كان له حظ عظيم من الله ، من كان له إقبال على الله شديد ، اتصال متين ، واشتق هذا الإنسان من الله الكمالات هذا يفعلها :

﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

[سورة فصلت : 34]

هذه أخلاق السلم .

المذيع:

أستاذنا هناك رحم قريبة ورحم كبرى كما يسميها بعض العلماء وهي التعلق بأمة الإسلام ، لأن الأمة مثل الأم ، ماذا تقول في هذا الشأن ؟

الانتماء للمجموع يرفع من قيمة الإنسان :

الدكتور راتب :

والله أنا أقول : ما لم يكن انتماؤك الدقيق والعميق لمجموع المؤمنين فلست مؤمناً ، الدليل :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

[سورة الحجرات: 10]

مجموع المؤمنين أخوة لي ، أما هذا الذي ينتمي إلى فقاعات صغيرة ، ودوائر صغيرة فهذا يسهم في تمزيق شمل الأمة ، الانتماء إلى مجموع المؤمنين ، وأقولها وواثق مما أقول ، ما لم يكن انتماؤك لمجموع المؤمنين فلست مؤمناً ، الآية هكذا تقول :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة الحجرات: 10]

ما قال : إنما جماعة فلان ، ما قال : إنما من كان في هذا المكان أو في هذا الزمان :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

[سورة الحجرات: 10]

فلذلك الانتماء للمجموع هذا يرفع من قيمة الإنسان .

المذيع:

أستاذنا هل يشترط في الصلة المحبة ؟ هناك من يفهم أن صلة الرحم لا تنفع إلا أن تكون محباً ، يقول : أنا لا أحب أن أتصنع لأختي أو لأخي ، أنا لا أطيقه ولا أريد أن أزوره، نقول له : ينبغي أن تزوره وحتى لو كنت غير محب له ، فيقول : لا أزوره إلا إذا أحببته ، ما رأيك ؟

المحبة ليست شرطاً لصلة الرحم :

الدكتور راتب :

مرفوض هذا الكلام ، ما كل علاقة تبنى على الحب .

هذا الذي طرق باب سيدنا عمر ليشكو له زوجته ، سمع خصومة في بيته فرجع ، فتح الباب ما وجده ناداه ، قال له : كذا كذا ، قال له : ما كل زواج يبنى على الحب ، هناك مصلحة ، هناك أولاد ، أنا أقول دائماً: حينما يكون الأولاد يجب أن يضع كل من الزوجين حظه من الزواج تحت قدمه من أجل أولاده .

المذيع:

أستاذنا هناك حب في العلاقات ، وهناك مصلحة ، وهناك مبدأ ، نحن نعيش في هذه الدواعم الثلاث للعلاقات ، على سبيل المثال لي مصلحة مع بعض جيراني فعلاقتي بهم وثيقة ، لكن علاقتي بإخوتي مبنية على المبدأ وليست على المصلحة ، وربما لست محباً لبعضهم ، ولكن المبدأ العام أنهم أخواني إذاً يجب أن أكون على علاقة حسنة معهم .

بطولة الإنسان أن يكون ودوداً و بشوشاً مع كل من حوله :

الدكتور راتب :

الجواب : كان النبي صلى الله عليه وسلم يحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي بشره عن أحد ، البطولة أن تكون بشوشاً ودوداً مع كل من حولك ، أما شخص من هؤلاء فلا تأمنه ، و لا تطمئن له ، فأنا أقف موقفاً كاملاً منه ، هناك مودة لكن قد أخفي في قلبي قلقلي منه ، أو تخوفي من التمادي في العلاقة معه ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على هذه العلاقة بشوشاً ، كان يحترس من الناس ويحذرهم من غير أن يطوي بشره عن أحد .

خاتمة و توديع :

المذيع:

أحسن الله إليك أستاذنا ، لم يبق من وقت هذه الحلقة إلا أن نشكرك جزيل الشكر على هذا العبير الكريم ، أسأل الله عز وجل أن ينفعنا به ، وأنتم أعزائي المشاهدين أشكركم على حسن المتابعة ، ألقاكم في حلقة قادمة ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-4) : صلة الرحم سبب لزيادة الرزق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعين به، ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِ وسلم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن والاه، ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، و اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

تأديب الله عباده بحبس الأمطار :

أيها الأخوة الكرام، ذكرت لكم في الخطبة السابقة أن السبب الذي حملني على أن أعالج موضوع زيادة الرزق في خطب عديدة هو أن هناك أزمة عالمية تجتاح العالم كله، وأن وعود الله عز وجل فوق الظروف وفوق الأزمات وفوق الحوادث الطارئة، وعد الله عز وجل لا بد واقع، بل إن زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين، أذكركم ببعض الآيات:

﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا لنفتنهم فيه ﴾

(سورة الجن)

يؤدب الله عباده بحبس الأمطار، هذا البلد الطيب أحياناً ينتج من القمح ما يساوي ستة أضعاف حاجته وأحياناً لا يوجد أمطار أبداً.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾

(سورة المائدة الآية: 66)

ويقاس عليه القرآن الكريم.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ ﴾

(سورة الأعراف الآية: 96)

وعد الله قائم لكل مؤمن آمن بالله و كفر بالطاغوت :

إياكم أن تقنطوا، أزمة الغذاء عالمية، قد لا تصدقون بعض أسبابها أنهم الآن يصنعون الوقود من الغذاء، من أجل أن يركب الغني المترف طائرة تتحرك بوقود من الغذاء من الذرة، من فول الصويا، من القمح والشعير، يصنعون الوقود للطائرات وللمركبات من غذاء الفقراء، ألم أقل لكم قبل أنه تمّ إعدام عشرين مليون رأس غنم في بلد يعد الأول في تصدير الأغنام حفاظاً على الأسعار المرتفعة، والعالم يموت من الجوع، ما لم نكفر بالكفر لن نؤمن بالله:

﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى (256) ﴾

(سورة البقرة)

لن تؤمن بالله إلا إذا كفرت بالطاغوت. أيها الأخوة، الحقائق مرة جداً لكنها تجمد وتعطل إذا طبقت منهج الله عز وجل، كلام دقيق: الحقائق مرة لا يوجد خبر سار، والعالم يمشي في اتجاه الحروب لأن الطرق أصبحت كلها مسدودة، ارتفاع الأسعار يفوق طاقة الغني فكيف بالفقير ؟ لكنني والله أؤمن إيماناً يفوق حدّ الخيال أن وعد الله قائم، وعد الله قائم لكل مؤمن والمؤمن له معاملة خاصة، أنا أتمنى أن يعود الناس جميعاً إلى ربهم وهذه بغيتي والله أما إن لم يستجيبوا، الحد الأدنى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾

(سورة المائدة الآية: 105)

لذلك كانت هذه السلسلة من الخطب المتعلقة بأسباب زيادة الرزق لنواجه بهذه الحقائق ما ينتظره العالم من أزمة طاحنة ربما انتهت إلى حروب لا يعلم إلا الله مداها.

من أسباب زيادة الرزق :

صلة الأرحام:

أيها الأخوة، الآن السبب الرابع أمضينا خطباً عديدة في أسباب عديدة، اليوم السبب الرابع لزيادة الرزق صلة الأرحام:

((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[البخاري، مسلم، أبو داود، أحمد عن أَنَس بْن مَالِكٍ]

وفي رواية فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، هذا الحديث في الصحاح.

أيها الأخوة، حديث آخر:

((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ وَيُوَسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُدْفَعَ عَنْهُ مِيتَةُ السُّوءِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[أخرجه أحمد عَنْ عَلِيٍّ]

بالدين رأي شخصي لا يوجد، هذا دين الله، كل فكرة طالب بالدليل، أين الدليل ؟ هذا كلام سيد الأنبياء ولا ينطق عن الهوى، **((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ، أي أن تزداد أعماله الصالة وكأنه عاش مئة عام، وَيُوَسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُدْفَعَ عَنْهُ مِيتَةُ السُّوءِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))**

[رواه عبد الله بن أحمد والبزار والطبراني عن علي بن أبي طالب]

وعن بثرة رضي الله عنها قال لها النبي صلى الله عليه وسلم: يا بثرة اذكري الله عند الخطيئة يذكرك عندها بالمغفرة وأطيعي زوجك يكفك خير الدنيا والآخرة وبري والديك يكثر خير بيتك.

من له أعمالاً طيبة مع أرحامه زاد الله رزقه :

أيها الأخوة، في مفارقة قد تكون محيرة، إنسان معه أعلى شهادة في إدارة الأعمال يتمتع بذكاء لماح ورزقه محدود، وإنسان آخر بلا علم وبلا ذكاء وبلا أخذ بالأسباب رزقه وفير، ما تفسير ذلك ؟

هذا شيء واقع، قال بعضهم: هؤلاء الذين ازداد رزقهم لهم أعمال طيبة مع أرحامهم، أحد أسباب وفرة أرزاقهم أعمالهم الطيبة مع أرحامهم، دقق الآن ولو كانوا عصاة، يجازون على خير عملهم مع أرحامهم رزقاً وفيراً في الدنيا .

دائماً وأبداً الله عز وجل حينما يأمر عباده بعمل طيب إن فعل هذا العمل الطيب ابتغاء مرضاة الله له الدنيا والآخرة، ومن فعله عن طيب قلب ولم يقصد به الآخرة له الدنيا قطعاً، قال عليه الصلاة والسلام: إن أعجل الطاعة ثواباً. الطاعات لها ثمار طيبة ومعظم ثمارها بالآخرة إلا أن بعض الأعمال الصالحة شاءت حكمة الله أن يعجل الله ثوابها في الدنيا منها تربية الأولاد.

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ (74) ﴾

(سورة الفرقان)

منها صلة الرحم، يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم وإن أهل البيت ليكونون فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا))

[صحيح عن أبي بكرة]

حديث غريب حقيقة لو لم تكن ملتزماً بأوامر الدين، إياكم أن تظنوا أنني أدعو إلى ذلك، لكن هذا قانون الذي يصل رحمه، يهتم بأسرته، بأقربائه، بأخوته، بأخوته البنات، بأولاد عمته، بأولاد خالته، يرعى شؤون العائلة الكبيرة رزقه وفير، بكلام سيدنا محمد عليه أتم الصلاة والتسليم.

((إن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونون فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا، وما من أهل بيت يتواصلون فيحتاجون))

[صحيح عن أبي بكرة]

من أطاع الله عز وجل بإخلاص ربح الدنيا والآخرة :

قوانين منهج الله عز وجل منهج موضوعي لو طبقه إنسان غير ملتزم بل لو طبقه ملحد لقطف ثماره .

ألا ترى فيمن حولك إنسان لا يصلي لكن عنده عطف على أقربائه يرعى أخواته البنات، يرعى أولاد خالته، أولاد عمته، يهتم بمن حوله فيرزقه الله رزقاً وفيراً مكافأة له، لذلك قول قرأته من أربعين عاماً فيما أذكر ولا أنساه أبداً: ما أحسن عبدٌ من مسلم أو كافر إلا وقع أجره على الله في الدنيا أو في الآخرة، مستحيل وألف ألف ألف مستحيل أن تقدِّم عملاً طيباً لأيّ جهة في الأرض، لأيّ كائن في الأرض، كافر ملحد حينما تعمل عملاً صالحاً لهذا العمل جزاؤه في الدنيا فكيف إذا كنت مؤمناً ؟ كنت مؤمناً تعتقد بالآخرة وترجوها:

﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾

(سورة الإسراء)

لذلك حينما تطيع الله عز وجل بإخلاص لك الدنيا والآخرة، من هنا طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما معاً، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً.

من تكفل بنفقات من حوله وهبه الله رزقاً وفيراً :

أيها الأخوة:

((ما من أهل بيت تواصلوا إلا أجرى الله عليهم الرزق وكانوا في كنف الله))

[رواه الطبراني عن ابن عباس]

تتفقد أختك زوجها فقير، الوقود ارتفع سعره مثلاً لو تلطفت وأكرمتها بمبلغ من المال، والله أعرف أناساً والله لهم رزق يفوق حدّ الخيال يتفقد أخواته البنات، هذه الأخت زوجها دخله

محدود عندها عملية جراحية، يتكفل بها، هذا الذي يتكفل بنفقات من حوله، الله عز وجل (أنا أمام نصوص من عند سيد الخلق وحبيب الحق) يهبه رزقاً وفيراً، لكن ألا تعجبون أن الغرب البعيد عن الله المنحرف، المعاصي والآثام كلها عنده، ألا تعجبون أنهم في بحبوحة كبيرة ؟ هل تصدقون أن النبي صلى الله عليه وسلم أنبأ بذلك، أنا مرة كنت بأستراليا سمعت هذه القصة أن امرأة أنجبت ثلاثة توائم، الأسبوع انتهى في المستشفى أرادت أن تغادر منعت، إنك لا تستطيعين العناية بهذه التوائم، أبقوها شهراً بأكمله حتى دربوها على العناية بتوائمها، ثم كلفوها أن تعتني بهم وهي في المستشفى، ليتأكدوا من ذلك فلما انتقلت إلى البيت زاروها في البيت زيارات دورية للتأكد من حسن إدارتها وقيامها بواجباتها تجاه هذه التوائم.

قصة مشابهة تماماً كنت في جنوب السودان في قرية اسمها جوبه هذه أقصى قرية في الجنوب زرنا مستشفى ما فيها شيء امرأة أنجبت ثلاثة توائم حاضنات ما في، الأول مات، لا يوجد حليب في أثدائها من الجوع، لا يوجد دواء الثلاثة ماتوا، بلد غير مسلم وبلد مسلم، هذه الظاهرة أنا والله لا أمدحهم أبداً، لكن في حديث للنبي الكريم يثير الانتباه:

((تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو أَبْصِرْ مَا تَقُولُ، قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ))

[مسلم، أحمد عَنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ]

الغرب يتحرك بعقله و يخطط لكل شيء أما نحن فنتحرك بعواطفنا بلا روية ولا منهج :

نحن إذا مصور أساء نغضب ونثور ونتحرك بلا روية وبلا منهج وبلا علم، نقاطع ثم نسمح بكلمات ساذجة قيلت لنا وانتهى الأمر، نحن نتحرك بعواطفنا أما هم يتحركون بعقولهم، يخططون، يحافظون على هدوئهم لكنهم يخططون، إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، هذه المصائب التي تنزل بالمسلمين هل صحونا ؟ لا والله، هل صحونا من غفلتنا ؟ لا والله، هل ترون أيها الأخوة، ما يحصل في غزة ؟ الملاهي، الولائم، الحفلات، والرقص، والغناء، والمحطات الخلاعية على قدم وساق، إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ.

عاشرهم النبي صلى الله عليه وسلم ؟ التقى بهم ؟ هذه من دلائل نبوته، لا ينطق عن الهوى، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، الشاهد هنا: وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ. نحن نفرح بصندوق العافية إنجاز رائع لكن عندهم الطب كله مجاني، أغلى عملية عشرة ملايين، أحد أخوتنا الكرام اضطر إلى عملية كلفت عشرة ملايين له إقامة هناك أجراها مجاناً.

أيها الأخوة، أي إنسان بلا دخل يقدم طلباً يأخذ راتباً شهرياً إلى أن يتأمن له دخل: وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ.

أنظمتهم الداخلية فيها حرية، هذا وصف من ؟ وصف رسول الله ألسنا أولى بذلك ؟ وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ.

يعني هذا الكلام ذكرني بآية كريمة:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (105)﴾

(سورة الأنبياء)

الصالحون هنا، الصالحون لإدارتها.

الغرب كل إيجابياته إسلامية لا لأنهم يعبدون الله لكن حياتهم هكذا :

لذلك صدقوا ولا أبالغ أنا زرت بلاداً غربية كثيراً والله كل إيجابياتها إسلامية، لا لأنهم يعبدون الله لكن حياتهم هكذا، يعتنون بالفقراء، بالأيتام، بالضعفاء، بالمرضى .

يعني موضوع طبيب يغلط مع مريض، زرت مرة طبيباً في أمريكا أطلعني على أضابير لمرضاه الذين توفوا قال لي: يجب أن نحتفظ بهذه الأضابير خمس سنوات لعل خطأ منا

صدر تجاه إنسان توفي، بإمكان أولاده أن يقيموا دعوى ويربحوها بعد موت أبيهم بخمس سنوات، أحياناً يكون في خطأ طبي قاتل يقول لك ترتيب ربك، لا، هناك مسؤولية الدليل:

((مَنْ تَطَبَّبَ وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ طِبٌّ قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ ضَامِنٌ))

[أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجة والحاكم عن عمرو بن شعيب]

هذا منهج، أنا أتمنى أن أوضح لكم هذه المفارقة على كفرهم، وانحرافهم، وتفلتهم لكنهم يحرصون على ضعفائهم، ومساكينهم، وأيتامهم، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم والله هذا الحديث لا أفتأ أكرره:

((هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ))

[البخاري عن سهل بن سعد]

مساعدة الأقارب و الفقراء من آثار صلة الرحم :

إذا أردنا أن ننتصر على أقوى قوة في الأرض ونحن ضعاف، الطريق عجيب، أن تنصر من هو أضعف منك، الفقير، اليتيم، الضعيف، الذي لا يملك قوت يومه، المرأة الوحيدة، الشيخ الكبير ذي العيال الكثير والدخل القليل .

فاطمة بنت عبد الملك بن مروان زوجة عمر بن عبد العزيز دخلت عليه فجأة في مصلاه فرأته يبكي، قالت: " ما لي أراك باكياً ؟ قال: دعيني وشأني، فلما ألحّت عليه قال: ويحك يا فاطمة، إني قد وليتُ أمر هذه الأمة، ففكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهول، واليتيم المكسور، والمظلوم المقهور، والغريب، والأسير، والشيخ الكبير، والأرملة الوحيدة، وذي العيال الكثير والرزق القليل، فعلمت أن الله سيسألني عنهم جميعاً، وأن خصمي دونهم رسول الله، فخفت ألا تثبت حجتي، فلهذا أبكي ".

والله أخ كريم سمع لي خطبة عن صلة الرحم قبل سنوات وهو صادق عندي، والله له قريب لا يعرفه فجاء العيد فسأل عن بيته وذهب لزيارته ما وجده وضع له بطاقة، قال هذا القريب أخلاقه عالية جداً رأى قريبه زاره ردّ له الزيارة، ساكن في بيت تحت الأرض، شمالي، رطوبته عالية، ومع أولاده أمراض مزمنة، قال له: هذا

المكان لا يصلح لك ولأولادك، رجل ميسور قال لي والله أعطاني مبلغاً اشتريت بيتاً في الطابق الثالث باتجاه القبلة تدخله الشمس إلى أعماقه، هذه من آثار صلة الرحم.

الدين ليس صياماً و صلاة فقط إنما هو صلة رحم و رعاية اجتماعية :

يا أيها الأخوة نحن مقصرون كثيراً، نحن فهمنا الدين صلاة، وصوم فقط، وأذكار، واستعلاء على الناس، وتوزيع ألقاب، ما فهمنا الدين عمل، ما فهمنا الدين رعاية اجتماعية، ما فهمنا الدين صلة رحم، والله في أغنياء يتفننون في إنفاق الأموال، والله الذي لا إله إلا هو ولهم أقرباء يموتون من الجوع، أنت معك أموال طائلة، يا أيها الأخوة الكرام، أحياناً إنسان يعطي معاش لا يكفي أربعة أيام، خمسة أيام، وينفق في اليوم ما ينفقه الفقير بمئة يوم، مرتاح يصلي ومصحف في السيارة وفي المحل إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً، أي فتح هذا ؟ كلام فارغ، صار في عندنا صور براقة لا تقدم ولا تؤخر، والله لو اهتم كل واحد منا بأقربائه فقط، من يلوذون به، لكنا في حال غير هذا الحال.

((إن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونون فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا، وما من أهل بيت يتواصلون فيحتاجون))

[صحيح عن أبي بكرة]

الغرب خسر الآخرة بفسقه و المسلم خسر الدنيا بتقصيره و الآخرة بمعاصيه :

أعيد على أسماعكم الحديث الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم عن الروم:

((تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو أَبْصِرْ مَا تَقُولُ قَالَ أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ))

[مسلم، أحمد عَنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ]

هذه صفات وصفوا بها من قبل سيد العناية الإلهية النبي صلى الله عليه وسلم، قوانين عند الله عز وجل، الآخرة خسروها بفسقهم وفجورهم ومعاصيهم لكنهم ربحوا الدنيا، وأما المسلمون فاتتهم الآخرة والدنيا، فاتتهم الآخرة بمعاصيهم، طبعاً الأعم الأغلب، والدنيا بتقصيرهم، لا حصّلوا الدنيا ولا حصّلوا الآخرة، يجب أن نصحو أيها الأخوة، لا تقبل أن يكون إسلامك حضور خطبة جمعة في هذا المسجد، والله الذي لا إله إلا هو الدين ليس في المسجد هنا تتلقى التعليمات وتقبض الجائزة فقط، الدين في بيتك، في عندك امرأة ضعيفة متوفي والدها ووالدتها تتفنن في إذلالها أمام أولادها، وتضربها، وتهينها وأنت مسلم، لك شريك ما له اسم في الشركة وثق منك، تخطط تخرجه من الشركة بعدما أخذت خبرته، تصلي أول صف، أنت مسلم ؟

((تَرْكُ دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد الإسلام))

[ورد في الأثر]

الله عز وجل لا يحابي أحداً :

سبعمئة ألف دعوى كيدية في قصر العدل، أكثرها كيدية، مسلمون، مدرس عقد زواجه على فتاة وعنده بيت على الهيكل ليس معه مال لكسوته لم يدع طريقة، مضى شهر، اثنين، سنة، سنة وشهران، أهل الفتاة قرروا فسخ العقد ما في أمل، تكلم لأصدقائه عن حاله أحد الأصدقاء أصحاب المروءة قال له عندي بيت فارغ أعيرك إياه إلى أن تكسو بيتك، عاره البيت وتزوج وتمّ العقد وانتهى كل شيء، من ذوقه العالي انتظره أربع سنوات ثم طرق بابه قال له ما الذي حصل ؟ قال له أنا والله منذ وقت طويل كسيته وأجرته، ما هذا الكلام ؟ قال له أنا ما أجرتك البيت أنا أعرتك إعارة،

قال أنا مستأجر وهذا الواقع وهذه المحاكم، مدرس تربية إسلامية، وكل أحد إخواننا مقيم هنا في الشام يتوسطوا معه، قال له يا رجل الصلاة في هذا البيت لا تجوز، قال له أنا أصلي في المسجد.

مثل هؤلاء المسلمين يريدون قهراً، يريدون أن يكونوا في الدرجة الدنيا في الحياة، أنا اعتراضي أن واقع العالم الإسلامي لا يرضي الله عز وجل أبداً، والدليل:

﴿ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾

(سورة النور الآية: 55)

فإن لم يمكنهم معنى ذلك أن فهمهم للدين، تطبيقهم للدين، عرضهم للدين، لم يرضِ الله عز وجل، الله لا يحابي أحداً.

بر الوالدين يزيد في الرزق و يبارك في العمر :

أيها الأخوة:

((تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثَرِ))

[البخاري، الترمذي عن أبي هريرة]

مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثَرِ: في العمر.

((البر يزيد في الرزق))

[صحيح عن ثوبان]

بر الوالدين يزيد في الرزق.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم:

((مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ))

[أبو داود، أحمد، الترمذي عن أبي بكرة]

((إن الله ليعمر بالقوم الديار، ويثمر لهم الأموال وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضاً لهم '. قيل: وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال: ' بصلتهم أرحامهم))

[رواه الطبراني عن ابن عباس]

((إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ))

[متفق عليه عَنْ عَائِشَةَ]

أعلى صلة رحم أن تأخذ بيد المسلمين إلى الله عز وجل :

أيها الأخوة، آخر شيء إياكم ثم إياكم أن تفهموا صلة الرحم جاء عيد الأضحى نضع البطاقات في الجيب، نعمل قائمة إن شاء الله ما نجده ما في وقت، نطرق الباب نضع كرت ونمشي، خلاص، هذا المعنى السخيف ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم صلة الرحم أن تزوره على موعد، أن تجلس إليه، أن تحادثه، أن تحاوره، أن تستمع إلى شكواه، كيف وضعه الصحي ؟ لك أصدقاء أطباء، وضعه الاجتماعي، وضعه التربوي، وضعه العلمي، وضعه الاقتصادي، عليه ديون .

أنت إنسان قوي، دائماً القوي والغني هو الذي يكلف بادئ ذي بدء أن يبدأ بالصلة، أن تمده بالمال، أن تعيّن له ابنه عندك في المحل التجاري وابنه بطال وعبء على أبيه وأنت عندك مجال للوظيفة، لما أنت تفكر تزور أقرباءك تحل مشاكلهم أحياناً الدينية، عندهم أخطاء كثيرة دلهم على جامع أنت واثق منه، أعطيهم شريطاً، أو حالتهم الاقتصادية بحاجة إلى دعم مالي، أو مشكلات اجتماعية في خلاف بين الأب والأولاد ادخل وسيطاً، ما لم تفكر تفكيراً جاداً بخدمة من حولك فلا أمل في هذا الدين الذي تعتنقه، ما قدمت شيئاً، الناس هل يهتمون بصلاتك ؟ صلِّ ما تشاء، يهمهم المعاملة لهم، فيا أيها الأخوة، تصورت أن صلة الرحم تبدأ باتصال ثم بزيارة ثم بتفقد ثم بمساعدة وأعلى صلة رحم أن تأخذ بيدهم إلى الله عز وجل.

أنا أعرف شخصاً سمع خطبة صلة الرحم فدعا أخواته البنات إلى درس أسبوعي عنده في البيت، أخواته وبنات أخواته، السبب أن إحدى أخواته البنات على خلاف مع زوجها فقدم لها مبلغاً من المال مساعدة لها كي يرأب الصدع بينها وبين زوجها، هذا المبلغ ترك فيها أثراً كبيراً، طلبت منه درساً أسبوعياً هو ما له علاقة بالعلم الشرعي، لكن درس آية وحديث يشرحهم لأخواته وبنات أخواته، أقسم لي بالله بعد حين معظم بنات أخوته تحجبن والتزمن، هذه صلة رحم، اعمل لهم لقاء أسبوعياً، لقاء كل أسبوعين، تفقد أحوالهم، وضعهم

المادي، المعنوي، التربوي، الديني، العلمي، الاقتصادي، أنت أقوى يمكن تحل مشكلتهم بتزويج بنت من بناتهم، تحل مشكلتهم بتعين أحد أبنائه موظفاً عندك ممكن، هذا العمل.

فيا أيها الأخوة الكرام، موضوع صلة الرحم السبب الرابع لزيادة الرزق.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه يغفر لكم، فيا فوز المستغفرين، أستغفر الله.

* * *

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق، ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك و نتوب إليك، اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام، وأعز المسلمين، انصر المسلمين في كل مكان، وفي شتى بقاع الأرض يا رب العالمين، اللهم أرنا قدرتك بأعدائك يا أكرم الأكرمين.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الخامس : صلة الرحم و المناسسبات الدينية

الدرس (3-1) : صلة الرحم في رمضان

الدرس (3-2) : صلة الرحم في العيد

الدرس (3-3) : درجات صلة الرحم في العيد

الدرس (1-3) : صلة الرحم في رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

صلة الرحم :

أيها الأخوة الكرام؛ هناك آيات عديدة وأحاديث صحيحة حول موضوع صلة الرحم، وشهر رمضان، وعيد الفطر السعيد مناسبان لهذه العبادة التي أكدها الإسلام بالكتاب والسنة، ولكن مع مضي الأيام قد تفهم هذه العبادة على أن تزوره في العيد فقط، والله الحقيقة أكبر من ذلك، هذا القريب إذا زرته، وكنت أنت غنياً وهو فقير، ينبغي أن تعينه إذا كنت متفوقاً في مكانتك العلميّة وهو لم يحصل العلم أن تعينه على طلب العلم، إذا عنده ابنه بحاجة إلى طلب المساعدة في الجامعة أن تعينه، حينما تنقلب صلة الرحم من مجرد زيارة، و الأبلغ من ذلك الذي عنده قائمة طويلة ليؤدي الزيارة في العيد يتمنى ألا يجد أحداً ليضع بطاقة، هذه العبادة الراقية الأساسية و التي هي من أهم العبادات انقلبت إلى أشياء شكلية، أن تضع له بطاقة، أنا زرتك، ويتمنى الذي يزور في العيد ألا يجتمع بمن يزوره، لكن أرى أن هذه أرقى العبادات، هذه العبادة تقيّم ما يسمى بالتماسك الاجتماعي، أذكر مرة أني ألقيت درساً عن صلة الرحم في الشام، يبدو أن أحد الأخوة الكرام تأثر تأثراً بالغاً، وأخذ قائمة بأسماء أقربائه وزارهم، أحد الأقرباء ساكن في بيت تحت الأرض، قبو ثان، لا شمس ولا هواء، وعنده أربعة أولاد، معهم أمراض ناتجة عن الرطوبة العالية جداً، بلغني بعد حين أنه أخذ له بيتاً في الطابق الثالث، أنا سررت جداً عندما رأيت أن الدرس أثمر، أن شخصاً ساكناً في بيت بالقبو الثاني، وعنده أولاد أصابتهم أمراض بسبب الرطوبة العالية جداً، طبعاً باع البيت وأضاف عليه الفرق، أنا أفهم أن صلة الرحم و نحن على مشارف العيد كل واحد منا له أقرباء، أقرباؤه على صنفين؛ أقرباء يراهم كل أسبوع، وهناك صنف من الأقرباء يراهم بالعام مرة واحدة، بالعيد، فأنا كنت أقول بالشام: عوض أن نتبادل البطاقات أن نجلس جلسة عند أحد الأخوة الكرام – الثلاثون قريباً – أربع ساعات أو خمس في لقاء، يوجد سؤال وجواب، نصح، تبادل خبرات، الأقرباء الذين قلّما نلتقي بهم في العام مرة أو مرتين.

الآن إذا رقمنا الأقرباء بحسب القرابة تقريباً؛ عشرة بحسب الجوار أو القرابة أو العمل، يكاد هذا اللقاء الطويل تفقد لمن حولنا، تفقد علمي، تفقد تجاري، تفقد مالي، يكون الإنسان وضعه المالي جيداً جداً، لكن ما خطر في باله أن يطل على كل أقربائه في العيد، أنا أرى أن هذه العبادة من أرقى العبادات، وصلة الرحم هناك آيات وأحاديث كثيرة جداً تؤكدها، وتؤكد عليها، فإذا الإنسان عمل خطة، أذكر أن أخاً من أخواني أمّي لا يقرأ ولا يكتب، أحبّ أن يكون داعية، لا تصح، اشترى مئة سيدي، وأخذ قائمة بأسماء أقربائه، وكل يوم يزور واحداً يعطيه السيدي، ويقول له: معك أسبوع، الأسبوع الثاني أحضر لك السيدي الثاني، والله أحضر خمسين أخاً إلى الجامع، وهو أمّي، بلغني منذ يومين أو ثلاثة أن شخصاً كان في برلين، سيارة قديمة جداً يوجد لوحة خلفها مكتوب عليها: إن أردت أن تعرف عن الإسلام شيئاً فاستوقفني، عمل يلفت النظر، سيارة قديمة جداً، أوقفه أحدهم ففتح الصندوق، كان عنده ثلاثون أو أربعون علبة، أنت من أين؟ من فرنسا، باللغة الفرنسية عنده كتيبات عن الإسلام، من البرازيل، من كندا، أكثر من ثلاثين علبة فيها كتيبات عن الإسلام، أي ترك أثراً، أمّي لكن أحبّ أن يكون داعية يذهب إلى السفارات الإسلامية، يأخذ نشرات عن الإسلام، يضع النشرات الخاصة بكل لغة في العلبة المخصصة لها، وكتب لوحة: إن أردت أن تعرف عن الإسلام شيئاً استوقفني، من أين أنت؟ من بريطانيا يعطيه نشرة باللغة الإنكليزية.

حجم الإنسان عند الله بحجم عمله الصالح :

أنا أقول: حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، أنت عندما تكتشف لا سمح الله ولا قدر بعد فوات الأوان أن علة وجودك في الدنيا العمل الصالح غفلت عنه، أكلت، وشربت، واشترينا سيارة، وبيتاً، ورفعنا دخلنا، كله جيد، لكن هذا كله ينتهي عند الموت، دقق الله أجلّ وأكرم أن يعطيك عطاء ينتهي عند الموت، هذا ليس عطاء ملك الملوك، عطاء الملك عطاء كبير، عطاء مستمر، الدنيا تنتهي عند الموت، من أقوالي: الموت ينهي قوة القوي، وضعف الضعيف، ينهي غنى الغني، وفقر الفقير، ينهي وسامة الوسيم، ودمامة الدميم، ينهي صحة الصحيح، ومرض المريض، الموت ينهي كل شيء، لكن ما الذي يبقى بعد الموت؟ هنا قال تعالى:

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾

[سورة الشعراء:89]

انظر إلى دقة الآية، الذي عنده أولاد ولا يوجد عنده دخل، وضعه صعب جداً، والذي عنده دخل كبير ولا ينجب أصعب، قال تعالى:

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ﴾

[سورة الكهف:46]

أما عندما قال: الباقيات الصالحات، هل أشار إلى ما قبلها؟

مثلاً تقول لشخص: بيني وبينك مودة، وبيني وبين الآخرين مودة وتعاون، ماذا تعني؟ أي لا يوجد تعاون بيننا، قال تعالى:

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ ﴾

[سورة الكهف:46]

معنى هذه زائلات وليست باقيات، مهما كان لك مكانة كبيرة الموت ينهي كل شيء، أنت تريد شيئاً يستمر، والله يا أخوان لا يوجد سورة تهز أعمق مشاعرك كصورة العصر، أنا قرأت للإمام الجليل الحسن البصري تعريفاً للإنسان، لا أعتقد أن هناك تعريفاً أبلغ منه، الإنسان بضعة أيام، أنت بضعة أيام، إذا كان عمر الإنسان فرضاً سبعاً وثمانين سنة، وأربعة أشهر، وثلاثة أسابيع، وستة أيام، وأربع ساعات، وثلاث دقائق، وخمس ثوان، وأنت تمشي، كلما تحرك عقرب الثواني حركة، النهاية اقتربت لأنها ثابتة، كلنا نمشي بطريق الموت شئنا أم أبينا.

كنت مرة في أمريكا شاهدت رفاهاً يفوق حدّ الخيال، سألتهم سؤالاً محرجاً: أنتم تموتون؟ قالوا: طبعاً، قلت لهم: مثلنا إذاً، مادمتم تموتون مثلنا فالموت ينهي كل شيء.

تعريف القلب السليم :

هناك شيء أبلغ؛ يوجد العديد من الأمراض الوبيلة هذه تنتهي عند الموت، أمراض الجسم مهما تكن وبيلة – سرطان– تنتهي عند الموت، والأمراض النفسية مدمرة تبدأ بعد الموت، لذلك قال تعالى:

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

[سورة الشعراء:88-89]

ما القلب السليم؟ القلب الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله، لا يشتهي الزنا، ولا يأكل مالاً حراماً، يشتهي ما سمح الله له به، يشتهي الزواج، يشتهي دخله أن يكون جيداً، يشتهي مركزاً اجتماعياً، يشتهي الصحة، فالمؤمن الصادق لا يشتهي شهوة لا ترضي الله، معنى قلبه سليم أي ولا يصدق خبراً يتناقض مع وحي الله، نظرية مالتوس تقول: العالم متجه نحو المجاعة، ليس صحيحاً، والله خيرات الأرض لا يعلمها إلا الله.

أذكر مرة كنا بحقل، قدم لي إنسان حبة قمح، تأملتها فإذا بها خمس وثلاثون سبلة، أخذت سبلة واحدة إلى البيت وجدت أن في السبلة الواحدة خمسين حبة، الحبة الواحدة أخرجت ألفاً وثلاثمئة وخمسين حبة، نحن عندنا في بلدنا موضوع القمح أساسي، سنة ستة ملايين طن، سنة مئتان وستون ألف طن، من ستة ملايين لمئتين وستين ألفاً، الله إذا أعطى أدهش، ملكه ليس له نهاية.

من ينطلق من عقيدة صحيحة يتحرك حركة صحيحة :

لذلك الإنسان عندما ينطلق من عقيدة صحيحة، يتحرك حركة صحيحة، لذلك ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد.

هل من الممكن أن نضغط التجارة كلها بكلمة؟ ممكن إنها الربح، فإن لم تربح فلست تاجراً، هل من الممكن أن نضغط الدين ككل؟ نعم إنها الاستقامة، فإن لم تستقم لن تقطف من ثمار الدين شيئاً، ألغ الاستقامة من الدين صار الدين فلكلوراً، هل تصدقون أن القرآن الكريم قرئ في باريس على أنه فولكلور إسلامي؟ القرآن الكريم كتاب الله، كتاب خالق السموات والأرض قرئ في مهرجان في باريس على أنه فولكلور إسلامي، هذا الكتاب كلام خالق الأكوان، الإنسان عندما يعكف على فهمه، فهم آياته، إذا انتهى رمضان إن شاء الله كل عام وأنتم بخير، إذا الواحد منكم عمل لنفسه برنامجاً، يقرأ في اليوم خمس صفحات من القرآن، يعمل ختمة تعبد، وختمة تدبر، التدبر قراءة آيتين تكفي في اليوم، صلى ركعتي الفجر مع السنة بجامع:

((من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي، ومن صلى العشاء في جماعة فهو في ذمة الله حتى يصبح))

[أحمد]

الفجر والعشاء إن صليتهم في المسجد أنت ضمنت أن تكون في ذمة الله أربعاً وعشرين ساعة، برعاية الله، بحفظ الله، بتوفيق الله.

العناية بتربية الابن لأنه امتداد لأبيه :

أذكر مرة مرّ معي الأثر القدسي:

((أن عبدي أعطيتك مالاً فماذا صنعت فيه؟ يقول: يا رب لم أنفق منه شيئاً مخافة الفقر على أولادي من بعدي، فيقول الله له: ألم تعلم بأني الرزاق ذو القوة المتين؟ إن الذي خشيته على أولادك من بعدك قد أنزلته بهم، يسأل عبد آخر أعطيتك مالاً فماذا صنعت فيه؟ يقول: يا رب أنفقته على كل محتاج ومسكين، لثقتي بأنك خير حافظاً، وأنت أرحم الراحمين، فيقول الله له: أنا الحافظ لأولادك من بعدك))

[ورد في الأثر]

أنا أعرف أناساً كثر يقول الزوج لزوجته: الأولاد ما عندهم شيء؟ يقول لها: أنا ما أكلت مالاً حراماً بحياتي الله يتولاهم، الذي لم يأكل مالاً حراماً إن مات ولم يأكل شيئاً الله يوفق أولاده توفيقاً عجيباً، والذي أكل مالاً حراماً، والله شخص ترك أموالاً طائلة، صديق المتوفى شاهد أحد أولاده بعد يومين أو ثلاثة قال له: أين ذاهب أنت؟ قال له: ذاهب لأسكر على روح أبي، دقق إذا الإنسان لم يربّ أولاده وترك مالاً، كل معاصيهم بصحيفة الأب، أنت تارك مالاً، والابن جاهل، لم ينتبه لأولاده، وعنده مال، مات بجلطة، بحادث، هذا المال ترك لأولاده، والأولاد ما تعلموا شيئاً.

أعرف شخصاً يبدو أنه على مشارف الموت، عمره خمس وسبعون سنة، وهو غني جداً، يقول لزوجته: يا فلانة لحقنا المال وتركنا الأولاد. الذي عنده أولاد يا أخوان هذا الولد قد يكون أكبر تجارة مع الله، والدليل:

((خير كسب الرجل ولده))

أنا أتكلم عن الآباء، يشعر الأب بما يسمى بقرة العين، لو تعطيه الدنيا كلها لا يبدلها بابن صالح، الذي عنده ولد صالح ابنك يكون استمرار لك من بعدك.

مرة خطيب الجامع الأموي– هذا أضخم جامع في الشام – توفي، والله بعد أيام أقيم له عزاء في الأموي، ثالث يوم قام ابنه فألقى خطبة كأبيه تماماً، أنا والهي بكيت، قلت: معنى هذا أن الأب لم يمت، طالما ترك ابناً عالماً، فكل بطولتنا أخواننا، هذا الابن هذا أكبر تجارة مع الله، نحن نهتم هل كتب وظائفه؟ لكن لا يهمنا هل صلى العشاء؟ لذلك دققوا في هذا الحديث:

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))

[أبو داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]

هو يطعمه ويكسوه ويلبي حاجاته الأساسية، كله مؤمَّن لكن لا ينتبه لدينه، لا ينتبه لإيمانه، أنا أقول دائماً: هناك تربية إيمانية، وتربية أخلاقية، وتربية نفسية، وتربية اجتماعية، وتربية جنسية، وتربية جسمية.

أيها الأخوة الكرام؛ لي بالموقع أربعة وستون درساً عن تربية الأولاد في الإسلام، أذيعت بالفضائيات اثنتي عشرة مرة، التربية الإيمانية، ثم التربية الأخلاقية، ثم التربية الاجتماعية، ثم التربية النفسية، ثم التربية الجسمية، ثم التربية الجنسية.

ألوان التربية :

الآن ألوان التربية، يوجد موعظة، و ملاحظة، و متابعة، شيء جميل جداً هذا الموضوع تأخذونه من الانترنيت مجاناً، أنا لا يوجد عندي شيء له ثمن، كله بالمجان، حقوق الطبع غير محفوظة، تفتح الانترنيت تربية الأولاد في الإسلام: هم سلسلتان، أول سلسلة عبارة عن أربعة وخمسين درساً، والثانية ثمانية وثلاثين درساً، مكتوبة، إذا أنت قرأت كل يوم درساً واحداً، هل تعرفون الحج غوغل؟ اكتب اسمي بغوغل يظهر لك الموقع، اكتب في البحث: تربية الأولاد فيظهر لك أربعة وستون درساً، كل يوم درس واحد خلال ربع ساعة فيه نص إذا أردت أن تسمع، تريد مشاهدة يوجد صورة، هذا بين أيديكم، لأن الابن غال، تأخذ التربية الأخلاقية، التربية الإيمانية، التربية النفسية، التربية الاجتماعية، الموعظة، التوضيح، موضوع طويل. بالحقيقة أنا عملت سلسلة بجامع النابلسي، وسلسلة بجامع العثمان، خير كسب الرجل ولده، نحن بعد رمضان نضع برنامجاً على مدى العام؛ برنامج إيماني وبرنامج أخلاقي؛ زيارة الأقارب، صلة الرحم، صلة الرحم شيء مهم جداً، وفيها أحاديث وآيات كثيرة جداً، أنت إذا تفقدت أقرباءك تتكلم كلمة حق.

القدوة قبل الدعوة :

مرة قال لي أخ: دخل إلى بيت أخته وجد خلافاً بينها وبين زوجها، خصومة شديدة وهو وضعه المادي جيد، قال لها: حول ماذا يدور الخلاف؟

قالت له: أريد ثلاثمئة ليرة بالشهر من أجل الأولاد، فقط، صار كل شهر يعطيها المبلغ، أقسم بالله بعد ثلاثة أشهر قالت له: اعمل لنا درساً أسبوعياً، لأنها أحبته، صار يعمل درساً كل سبت يحضر آية وحديثاً، لا يوجد أحد غريب، أخته وأولاد أخته، لذلك أنا أقول: القدوة قبل الدعوة، والإحسان قبل البيان، أي افتح قلب من تخاطبه بإحسانك ليفتح لك عقله لبيانك، الإحسان قبل البيان، والقدوة قبل الدعوة، لو أن الأب لم يتكلم حرفاً، إذا هو لم يكذب، لم يتكلم كلمة بذيئة، لم يكن عنيفاً، لا يضرب، لا يسب، الأب مستقيم، استقامة الأب أكبر دعوة.

القدوة قبل الدعوة، و الإحسان قبل البيان، والأصول قبل الفروع، ومخاطبة العقل والقلب معاً، والتربية لا التعرية.

هناك قواعد للدعوة جميلة جداً، إن شاء الله بعد العيد نطرحهم بالدروس.

على كل أيها الأخوة الكرام؛ هذا الشهر أعرف أنه بدأ البارحة و لكنه على وشك الانتهاء، كل شيء إذا بدأ انتهى، والدنيا ساعة اجعلها طاعة، والنفس طماعة عودها القناعة. ودائماً وأبداً فكر بالنهاية، يوجد مغادرة من بيت إلى قبر، ولا يوجد شخص لن يموت.

كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والـجبروت

***

والليل مهما طـال فلا بد من طلوع الفـجر

والعمر مهما طـال فلابد من نزول الـــقبر

***

وكل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول

فـإذا حملت إلى القبور جنـــــازة فـاعلم أنـــــك بعدها محمول

***

أرجو الله لكم التوفيق والنجاح، وأن يحفظ لكم إيمانكم وأهلكم وأولادكم وصحتكم ومالكم واستقرار بلدكم، هذه نعمة لا يعرفها إلا من فقدها، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يحفظها لكم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-3) : صلة الرحم في العيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

صلة الرحم:

1 – صلة الرحم نوع من الضمان الاجتماعي:

أيها الإخوة الكرام،مع درس جديد من دروس مقاصد الشريعة الإسلامية، والموضوع اليوم صلة الأرحام، والعيد من أبرز ما فيه التواصل بين الأقرباء.

أيها الإخوة الكرام، بالمصطلح المعاصر بما يسمى الضمان الاجتماعي، الضمان الاجتماعي في الإسلام أساسه النسب والجوار، فالأحاديث التي تتعلق بحقوق الجار لا تعد ولا تحصى، والأحاديث التي تتعلق بصلة الأرحام كثيرة جداً، بل إن صلة الأرحام من أبرز الطاعات لله عز وجل، وقد وعد الله من يفعل هذه الطاعة برزق وفير وعمر مديد.

2 – حقيقة صلة الرحم:

لكن الذي يتوهمه بعض الناس أن صلة الأرحام تعني أن تطرق بابه في العيد، وكم تتمنى أن لا يكون موجوداً، فتضع بطاقة، وانتهى الأمر، ليست هذه إطلاقاً من صلة الأرحام، الصلة تبدأ باتصال ولو بالهاتف، وأعلى منه الزيارة، وأعلى منها التفقد، هذا قريبك، أنت أقوى منه، أو أغنى منه، أو أعلم منه، ففي الحياة علم وقوة ومال، إما أنك أغنى منه، أو أعلم منه، أو أقوى منه، فالقوي يأخذ بيد الضعيف، والغني يعين الفقير، والعالم يعلم غير العالم، فبمجرد أنك تصل الأرحام، أي أنك بعد الزيارة لا بد من تفقد هؤلاء الأقرباء، اسأله عن صحته، عن أولاده، عن دراستهم، عن أعمالهم، عن معيشتهم، عن أوضاعهم، هذا نوع من الصلة. الآن كشفت نقطة ضعف على الابن، لا يملك سداد القسط الجامعي، وأنت غني، لو دفعت عنه هذا القسط لكنت في أفضل حال.

والله الذي لا إله إلا هو مَن يعلم أن له قريباً لا يكون بينه وبينه صلة إطلاقاً، وأراد أن يطيع الله عز وجل، وأن يصل هذا القريب، والقريب وضعه المالي جيد، فزار القريب، فلم يجده، ووضع له بطاقة، هذا القريب دقيق في علاقاته، اتصل به هاتفياً، وحدد موعدا وزاره، وجد بيته تحت الأرض شماليا رطبا، عنده خمسة أولاد، ما قبِل هذا الوضع، قال له: ابحث عن بيت جيد، وبحث عن بيت، والآن يسكن في بيت في ثالث طابق باتجاه الجنوب، الشمس تدخله من كل أرجائه، قال: والله ما خطر في بالي إلا أنني وصلت رحمي، لكن هذا الذي وصله إنسان كريم قريب له سيجده في هذا المكان.

تصور التعاون والتواصل والتراحم والتناصح، تنصحه، تعينه، تعلمه، تتبنى أحد أولاده، تقدم له بعض المساعدات، الصلة تعني التواصل الاجتماعي، والتواصل المادي، والتعاون، والمساعدة، والبذل، لكن أعلى صلة الرحم أن تأخذ بيده إلى الله.

لك جامع، وأنت مرتاح بالجامع، هذا القريب بعيد عن الدين، قل له: تعال معي اليوم الفلاني، سمع الدرس مرة ثانية، تفقده، إلى أن يتابع حضور هذه الدروس، بعد حين تحجبت زوجته، بعد حين ضبط بيته، بعض حين ترك بعض المعاصي والآثام، أعلى أنواع الصلة أن تأخذ بيده إلى الله، أقلّ أنواع الصلة اتصال هاتفي، الذي قد يذكر الأخ بأخيه.

نحن بشكل أو بآخر لابد لكل واحد منا أن يتعهد قريبا له، لك أقرباء كثر، اختر قريبا واحدا من سنك، قريبا من بيتك، قريبا من عقليتك، بنيته العامة تقترب منك، اتخذه أخاً لك، قريبا وأخا، قريبا نسباً، وأخا في الله إيماناً، حاول أن تتفقده، تسأل عنه في الأسبوع مرة، دعوته للدرس، لكنه تخلف، لعله مريض، لابد أن أتصل به، هذا التواصل يخلق الود، يحس الإنسان أنه مع مجموع، أنه عضو بأسرة، وله مكانة في أسرته .

تفقُّد الأحوال المعيشية للأقارب مهمٌّ جدا في الدعوة:

اقتراح آخر: لو تعهدت أخا في المسجد، اختر من كل الإخوة الكرام أخا أقرب إنسان لك، إما نسباً، أو إيماناً، أو عقلية، أو سناً، أو مكاناً، أو جواراً، اجعله أخاً لك في الله، النبي عليه الصلاة والسلام قال: تآخيا، وآخى

بين أصحابه أخاً أخاً، فأنت بعبادة لا تكلفك إلا يقظة، تكلفك مذكرة هاتف، عاهدت نفسك كل أسبوع أن تتصل به لتطمئن عليه، هل صحتك طيبة ؟ هل أنت بحاجة إلى مساعدة ؟ نحن مع بعضنا.

دائماً إذا خرج الإنسان من ذاته ينجح في علاقاته، لكن كل الناس اليوم بلا استثناء نشاطه كله من أجل مصالحه، يقول أحدهم: هذا يفيدني، وهذا ينفعني، تفكير مادي محض، أما أنت أيها المؤمن المستقيم فاخرج من ذاتك إلى خدمة الخلق، ولا يمنع أن يكون عندك دفتر مذكرات الاتصال بفلان وفلان وهذه الصلة تبدأ باتصال هاتفي، ثم ترقى إلى زيارة، ثم ترقى إلى تفقد الشؤون المعاشية، الوقت قريب من الشتاء، وتكلفة الوقود السائل مبلغٌ لا بأس به، وأنت ميسور، إذا عاونت قريبك بالوقود السائل، عاونته بثياب أولاده في أول العام الدراسي فقد ملكت قلبه.

أحد إخواننا الكرام يقول: لي أخت مرة ذهبت لزيارتها، فإذا بينها وبين زوجها خصام، وصوت مرتفع في البيت، لما دخلت سكتوا، وقال لهم: هل أستطيع أن أعاونكم ؟ الزوج موظف دخله محدود، وطلبت منه زوجته مبلغا من المال، القصة قديمة، ثلاثمئة ليرة بالشهر كسوة لبناتها، ولحاجاتهم الخاصة، هو رفض، لما رفض رفعت صوتها، وهو رفع صوته، فكان هذا القريب أخو الزوجة يطرق الباب، الوضع المادي وسط، قال لها: لك مني ثلاثمئة ليرة كل شهر، أحب أن يكون هو الفداء، قال لي: أول الشهر طرقت الباب، هذه الثلاثمئة، زرت أختي كل أول شهر مع ثلاثمئة، قال لي: سادس شهر قالت: يا أخي خصِّص لنا درسا، هو له التزام بجامع، وهي عندها أربع بنات، فوافق، قال: أنا صرت أحضِّر، آية أو حديثا أو قصة قبل يومين أكتبها عندي، وأجلس معهم وأبلغهم، قال: أول بنت تحجبت، الثانية تحجبت، الأولى زوجناها، الثانية زوجناها، قال: والله الثلاثمئة ليرة خرج منها خير لا يعلمه إلا الله، أربع بنات التزمن وتحجبن وتزوجن، لأن هذا خالهم قال: علي ثلاثمئة ليرة بالشهر.

لا نعرف كم من الممكن أن تزور أختك فتحس بانتعاش ؛ أن أخاها زارها أمام زوجها وأولادها، هذه الصلة شيء ثمين جداً.

لابد أن تكون الزيارة لله وفي الله:

أحيانا يهتم الإنسان بأقربائه الأغنياء فقط، وفي الحياة الراقية إذا سافر يتصل به، وإذا رجع يهنئه، وإذا عطس يقول له: يرحمك الله، ويكون له أخت ساكنة في آخر الدنيا، ولا يسأل عنها، بل تمضى سنة لا يراها، لذلك زيارة الأغنياء والأقوياء من الدنيا من حبك للدنيا، أما أن تزور أخًا قريبًا بعيدا ساكنا في حي بعيد فقير، ليس له شأن، فهذه الزيارة من الآخرة، وهناك فرق بين زيارة الدنيا وزيارة الآخرة.

تخصيص العيد لبعض الأقرباء ولا سيما الفقراء الضعفاء:

هذه الصلة أيها الإخوة، كنت أقول دائماً: الإنسان في العيد له أقرباء يراهم كل يوم بحكم التواصل، هؤلاء الأقرباء الذين يراهم كل يوم فلا داعي تزورهم في العيد، ولكن هناك داعٍ في أن تجتمعوا كلكم في يوم واحد، إنسان له أصهار، له بنات، له إخوة ذكور يجتمعوا في يوم واحد في بيت واحد، وسهرة طويلة أفضل من تراشق الزيارات، فالجلسة المشتركة لمن تراهم كل يوم، ودع العيد للقريب الذي لا تزوره إلا يوماً في العام، وهؤلاء اكتبهم في قائمة، وليس القصد أن لا تجده، القصد أن تجده، اتصل به هاتفياً رغبةً في أن تراه، اجلس معه ساعة، واسأله عن أولاده، عن دراستهم، أحوالهم الدينية، لهم جامع يرتادونه، عن وضعهم العام، عن صحتهم، لك صديق قريب طبيب مختص بهذا المرض دلَّه عليه، انفع الناس، ولما تفكر في الخروج من ذاتك إلى خدمة الخلق تكون عند الله مقدسًا.

إذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي، وأسعد الناس من يدخل السعادة على قلوب الناس، إذا أردت أن تكون أسعد الناس فأسعد الناس.

الذي أتمناه من هذا الموضوع أن تكون صلة الأرحام، لأن الأقربين أولى بالمعروف.

لي كلمة أقولها دائماً: الآخرون أنت لهم، وغيرك لهم، أما أقربائك فمَن لهم غيرك ؟ فأنا أتمنى أن نكتب قائمة لمَن نطل عليه مِن أقربائنا الذين لا نراهم إلا مرة في العام، يوم العيد لهؤلاء، أما الأقرباء الذين نعيش معهم طوال العام فهؤلاء نلتقي بهم لقاء مطولا كل عيد في بيت مثلاً.

على كل ؛ هذا التواصل الاجتماعي ينعش النفس، وأحيانا يكون الرجل الغني له قريب فقير، أنت لا تعلم كم تدخل على قلبه من السرور لو زرته في البيت، وسألته عن أحواله.

إذا كنت بمنصب رفيع، ولك قريب بأدنى منصب، كاتب، وأنت معاون وزير، مثلاً، زرته، يمضى هذا الفقير شهرين أو ثلاثة أشهر لا ينسى هذه الزيارة، يقول: زارني فلان، ما هذا التواضع ؟ هذا هو الإيمان. سيدنا رسول الله سيد الخلق، وحبيب الحق، لما أراد سيدنا عمر العمرة:

((أَيْ أُخَيَّ، أَشْرِكْنَا فِي دُعَائِكَ، وَلَا تَنْسَنَا))

[الترمذي]

هذا الكلام اللطيف التواصل، هذا التحابب، لذلك ورد في بعض الأحاديث:

((وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ))

[أحمد]

((الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ))

[رواه الترمذي]

إذا كان الإنسان لا يهتم بك إطلاقاً، ولا يقيم لك وزناً فأنا أقول لك بصراحة: لا تصاحب من لا يرى لك من الفضل مثل ما ترى له، وإذا كان الإنسان متكبرا عليك بكثير، ولا يلتفت إليك فلا داعي أن تتذلل أمامه، أما إن كان الإنسان أضعف منك وأقلّ منك شأنا لما تزوره تنعشه، لذلك أنا أقول لك دائماً: الذي يعطيك كتفه أعطه ظهرك، والذي يعطيك جنبه أعطه قلبك، والذي أقبل عليك زره وتلطف معه.

على كلٍ، هذا الموضوع ورد فيه أحاديث كثيرة أكثر من ثلاثين حديثا صحيحا تؤكد أن الذي يصل رحمه ينسأ الله له في أجله، ويرزقه من حيث لا يحتسب.

أعرف أناسا كثيرين، منهم أخ كبير له أخوات بنات كثر، وإخوة، كأنه أب لهم، له من الرزق . ما شاء الله . ما يفوق حد الخيال، لأنه يتفقد أخواته البنات وَاحدةً واحدةً، كل أخت يسألها ماذا تحتاج، فإن كان زوجها وضعه المادي سيئ يدعمها، ولم تدعم أقرباءك فقد وعدك الله عز وجل بمكافأة في الدنيا قبل الآخرة، وعدك برزق وفير، وعمر مديد، وخيركم من طال عمره، وحسن عمله.

الدعوة إلى الله أساسُ صلة الأرحام:

أنا الذي أراه أن أعلى مستوى في هذه الصلة أن تأخذ بيده إلى الله، وبالمناسبة هناك وهمٌ عند معظم الناس: الدعوة إلى الله للدعاة، لا فرض عين على كل مسلم، لكن لماذا تصلي ؟ لأن الصلاة فرض، ما قولك لو أقنعتك أن الدعوة إلى الله فرض كالصلاة ؟ الدليل: قال تعالى:

﴿ وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا (3) ﴾

(سورة العصر)

عندنا أربعة أركان للنجاة، ربع هذه الأركان الدعوة إلى الله، وهي من النجاة:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾

(سورة العصر)

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي (108) ﴾

(سورة يوسف)

فإن لم تدعُ إلى الله على بصيرة فلست متبعاً لرسول الله.

هناك آية مخيفة، قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي (31) ﴾

(سورة آل عمران)

فإن لم تتبع رسول الله فأنت لا تحب الله، لأن الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم.

أنا لا أكلفك أن تلقي محاضرة بأفصح لغة، ولا أن تعالج موضوعا في الفقه عميقا جداً، هذا ربما فوق طاقتك، لكن إذا سمعت درسا، وتأثرت به، سمعت خطبة فتفاعلت معها، قرأت قصة عن صحابي هزت مشاعرك، هذه القصة اروِها، هذا النص الذي سمعته في الجامع، وتأثرت به تأثرا بالغا انقله إلى أصدقائك.

هل هناك إنسان ليس له في الأسبوع لقاء أو لقاءان ؟ هناك جلسات دورية، وسهرات، وزيارات، تزور أخواتك، أقرباءك، صديقك، زميلك بالعمل، جارك في المحل التجاري، الحديث عن ماذا ؟ الحديث كلام فارغ، شاهدت المسلسل الفلاني، كم خيانة زوجية فيه مثلاً، هذه موضوعات الناس اليوم، اسمع الآية، الحديث، القصة، الموقف، قصة الصحابي، ثم حاول أن تنقل للآخرين الذي سمعته في المسجد فقط.

((بلغوا عني ولو آية))

[أخرجه أحمد والبخاري والترمذي عن ابن عمرو]

لذلك أيها الإخوة، صلة الأرحام أساسها أن تأخذ بيد أقربائك إلى الله، وأساسها إن كنت الأغنى فخذ بيد الأفقر، إن كنت الأقوى فخذ بيد الضعف، إن كنت الأعلم فخذ بيد الذي هو أقلُّ منك علماً، قال تعالى:

﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (21) ﴾

(سورة الإسراء)

إياكم والتكبّرَ على الأقارب:

لا نريد صلة جوفاء، صلة فارغة، صلة فيها غيبة ونميمة، صلة فيها استعلاء.

تقول: والله أنا قضيت قبل رمضان أيامًا في المكان الفلاني، كلفني السفر مئتي ألف، لكن سررنا كثيرا، وهذا القريب ما علاقته بسرورك الكثير، لكنه الاستعلاء، وهناك أشخاص دون أن يشعروا يكون حديث أحدِهم عن ذاته، عن مصروفه، عن بيته، عن أولاده، أين ذهب ؟ من أين جاء ؟ هذا الحديث يسبّب جفاء وكسرًا للخاطر أحياناً.

ذكرُ الله أساسُ المجالس:

أنت ذهبت إلى قريب يجب أن تأخذ بيده إلى الله، اذكر له آية أو حديثا أو قصة عن صحابي، عن موقف إسلامي رائع جداً، عن معالجة لمشكلة اجتماعية، وحينما تذكر الله عز وجل فإنك لك كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً))

[متفق عليه]

الشيء المألوف عندنا أن في العيد زيارات، والحديث المألوف عن الأسعار، الحمد لله الطقس تحسن، فإما طقس، أو أسعار العملات، الدولار نازل، ما هذه القصة مثلاً ؟ ما عندنا إلا الدولار والطقس وأسعار الطعام والشراب والفواكه ؟ وأين ذهبنا ؟ وما أكلنا ؟ هذا الكلام كلام فارغ لغو، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) ﴾

(سورة المؤمنون)

حتى إن بعض المفسرين قال: كل ما سوى الله لغو، فأنت بهذه الزيارة دائماً اضبط الموضوع، أحيانا تدخل في متاهة تسمى جلد الذات، تقول: نحن متخلفون، نحن ما نفهم... فتبرك على ركبتيك، لا تستطيع أن تقف، هذه الأمة العريقة العظيمة هذه آخرتها ؟ لا تتشاءم كثيرا، فإن الله لا ينسانا، والأمر بيد الله عز وجل، وهناك تطورات في العالم تؤكد هذه الحقيقة، الله عز وجل لا يسمح لأمة إلى أبد الآبدين أن تكون قوية، بل لكل أمة أجل، بالعكس الآن الأمم القوية في هبوط مريع، والله عز وجل لحكمة بالغة أوجدَنا في هذا الزمان.

خاتمة:

أتمنى عليكم أن نفهم هذه الصلة لا على أنها زيارة جوفاء، ووضع بطاقة استعلاء، وغيبة ونميمة، لا، هذا الذي زرته هذه زيارة تسجل لك الكلمة اللطيفة، التفقد العام، الوضع المعيشي، الوضع المادي، الوضع التربوي الديني، أين تصلي الجمعة ؟ مثلاً، فالصلة لا بد فيها من حديث عن الله عز وجل.

أيها الأخوة، إن شاء الله إذا كان هذا آخر درس كل عام وأنتم بخير.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-3) : درجات صلة الرحم في العيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ، ونستعين به ، ونسترشده ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً بربوبيته ، وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الخلق و البشر ، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذن بخبر.

عظمة الله الأكبر بالأفعال وليس بالأقوال

أيها الإخوة الكرام ؛ ربنا جل جلاله في كتابه الكريم ، وفي آيات الصيام :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ﴾

[سورة البقرة الآية: 185]

وقد تمت عدة رمضان:

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾

[سورة البقرة الآية: 185]

وها أنتم تكبرون الله ، ولكن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾

[سورة البقرة الآية: 185]

لا تقليداً ، تقولون الله أكبر لِما وصلتم إليه من الهدى ، لِما أعانكم الله عليه من صيام رمضان ، ومن قيام رمضان ، ومن غض البصر ، ومن حفظ اللسان .

الله أكبر كلمة يقولها الصائم حينما يفطر ، شكراً لله عز وجل على ما أنعم الله عليه من نعمة الهدى ، لكن أيها الإخوة ؛ الكلمات التي يرددها المسلمون في أعيادهم ، هذه الكلمات إما أن تكون ذات مضمون بها يرقون ، وإما أن تفرغ من مضمونها ، عندئذٍ تردد ترداداً عشوائياً أجوفاً لا معنى له .

أيها الإخوة الكرام ؛ حينما تطيع إنساناً وتعصي الله ما قلت الله أكبر ولا مرة ولو رددتها بلسانك ألف مرة ، لأنك في الحقيقة أطعت القوي ، وقد بدا لك أن طاعة هذا الإنسان أولى لك من أن تطيع الله ، فإذا أطاع الإنسان مخلوقاً كائناً من كان وعصا خالقه ما قال الله أكبر ولا مرة ولو رددها بلسانه ألف مرة .

المسلمون قالوا الله أكبر ، فتحوا بها مشارق الأرض ومغاربها وكانوا لا يزيدون عن عشرة آلاف صحابي ، بينما المسلمون اليوم مليار ومئتا مليون ، وليست كلمتهم هي العليا ، وهم يقولون الله أكبر ، هم إن قالوها بألسنتهم ولم تؤكدها أفعالهم كأنهم هم ما قالوها .

أيها الإخوة الكرام ؛ بماذا جاء الأنبياء ؟ الأنبياء جاؤوا بالكلمة الطيبة ، قال تعالى :

﴿ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾

[سورة إبراهيم الآية: 24]

الكلمة الطيبة المستندة إلى واقع ، الكلمة الطيبة المستندة إلى فطرة ، الكلمة الطيبة مستندة إلى نقل صحيح ، الكلمة الطيبة مستندة إلى منطق العقل ، والنقل ، والواقع ، والفطرة أساس الكلمة الطيبة ، ثم إنها مطبقة ، ثم إنها مطبقة بإخلاص ، فكلمة تتوافق مع العقل ، ومع النقل ومع الواقع ، ومع الفطرة مطبقة بإخلاص ، هذه الكلمة يمكن أن تفعل في الناس فعل السحر .

﴿ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾

[سورة إبراهيم الآية: 24]

أيها الإخوة الكرام ؛ الإنسان العاقل لا يجامل نفسه ، لا يتملقها ، لا يدعها في غفلة ، وفي جهل ، لا يكن كالنعامة بغرس رأسه في الرمال لئلا يرى عدوه .

كلمة الله أكبر كلمة الإسلام ، يقولها المصلي في صلاته ليشعر أن الله الذي يتجه إليه أكبر من كل شيء آخر ، فلا يلتفت إلى سواه ، يقولها المجاهد في الحرب ، حينما يقول الله أكبر ، الله أكبر لعدوه مهما علا واستكبر ، يقولها الذي يفطر بعد رمضان بعد أن هداه الله إليه وإذا وصلت إلى الله وصلت إلى كل شيء .

((ابن آدم اطلبنِ تجدني، فإذا وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء))

يا أيها الإخوة الكرام ؛ تخلف المسلمين يعني أن تنفصل هذه العبادات ، وتلك الكلمات عن واقعهم ، أنتم قلتم الله أكبر ، ورفعتم بها أصواتكم ، وطبقتم بها سنة نبيكم ، ولكن دققوا في أعمالكم ، وفي بيعكم وشرائكم ، وفي علاقاتكم الأسرية ، وفي علاقاتكم بمن حولكم ، ومع من فوقكم ومع من دونكم ، إن كان في هذه العلاقات مجاملة لإنسان على حساب دينك ، أو إرضاء لمخلوق على حساب طاعتك لله فاعلم علم اليقين دون مجاملة ، ودون مواربة ، وكن صريحاً ، والحقيقة المرة أيها الإخوة أفضل بكثير من الوهم المريح ، إن تطرق لإنسان أن يطيع زيداً أو عبيداً ، أو يخضع لفلان أو علان ، أو أن يرضي زوجته في معصية ربه ، والشيء الذي لا يمكن أن يقال ، لقد رأى طاعتها أكبر من طاعة الله ، فهو ما قال الله أكبر ولا مرة ولو رددها بلسانه ألف مرة .

العبادات الشعائرية ومن ثم العبادات التعاملية

ثم إن الله سبحانه وتعالى جعل عيدي الفطر والأضحى عقب عبادتين ففي عيد الفطر يقول الله عز وجل :

﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾

[سورة البقرة الآية: 185]

يعني أنتم في رمضان وصلتم إلى الله ، وذقتم طعم القرب منه ، وحلاوة المناجاة ، وروعة الصيام ، وجمال القيام ، أنتم وصلتم إلى الله فحافظوا على وصلتم إليه .

أيها الإخوة الكرام ؛ أناس كثيرون يصلون إلى القمم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يمكثوا فيها ، والبطولة لا أن تصل إلى قمة الجبل ، بل أن تبقى في القمة ، كل إنجاز حققتموه في رمضان الآن بطولتكم أن تحافظوا على هذا الإنجاز ، غضضتم أبصاركم في رمضان ، فالبطولة أن تبقى هذه

الطاعة مستمرة إلى أن تلقوا الواحد الديان ، ضبتم ألسنتكم في رمضان ، البطولة أن تتابعوا هذا الضبط إلى نهاية الدوران .

أيها الإخوة الكرام ؛ صعود وهبوط ، صعود وهبوط ، المحصلة صفر ، لكن رمضان قفزة نوعية مستمرة ، وقفزة مستمرة ، وقفزة مستمرة ، إنك بهذا تتابع الترقي ، بينما بعض الناس يتابعون التدني .

والشيء الذي يلفت النظر في كتاب الله أن في آيات الحج ، وفي سورة الحج يقول الله عز وجل :

﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[سورة الحج]

لعل النبي صلى الله عليه وسلم استنبط من هاتين الآيتين الكريمتين تكبيرات العيدين .

أيها الإخوة الكرام ؛ لا يليق بالمؤمن أن يقول كلاماً لا معنى له ، لا يليق بالمؤمن أن يقول كلاماً هو في واد وهذا الكلام في واد آخر .

أيها الإخوة الكرام ؛ نحن في رمضان قمنا بعبادة شعائرية ، وفي الحج نقوم بعبادة شعائرية ، والصلاة عبادة شعائرية ، ولكن الأخطر من هذا كله العبادات التعاملية ، لا يخفى عليكم أن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾

[سورة العنكبوت الآية: 45]

لا يخفى عليكم أن الحاج حينما يحج بيت الله الحرام بمال حرام ، ويقول : لبيك اللهم لبيك ، يناديه منادٍ في السماء قائلاً له : لا لبيك ولا سعديك ، وحجك مردود عليك .

حينما ينفق الإنسان ماله وليس منضبطاً بشرع الله ولا بمنهجه ، قال تعالى :

﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾

[سورة التوبة الآية: 53]

حينما يصوم الإنسان رمضان ، ولا يتقي فيه الواحد الديان .

((رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش))

[أخرجه الحاكم في مستدركه وابن خزيمة عن أبو هريرة]

أيها الإخوة الكرام ؛ العبادات الشعائرية يوم فيه جائزة لعبادتك التعاملية ، بقدر انضباطك بعبادتك التعاملية تلقى ثمرة يانعة في عباداتك الشعائرية .

أيها الإخوة الكرام ؛ الإسلام منهج متكامل ، لا يمكن أن تأخذ جزء منه فتقطف ثماره إن هذا منهج متكامل ، إن لم تأخذ كله لا تستطيع أن تقطف ثمرة منه .

أيها الإخوة الكرام ؛ كل ما في الأمر أن المؤمن يشمر بعد رمضان ليتابع السير إلى الله، يشمر بعد رمضان ليحافظ على منجزات رمضان ، يشمر بعد رمضان فلعله فاته أن يكون في المستوى اللائق في رمضان ، الله سبحانه وتعالى مع الإنسان في كل زمان ومكان ، معه في كل شهور العام ، معه في كل مكان حل به ، فالله سبحانه وتعالى جعل رمضان شهراً تطيعه فيه من أجل أن تذوق حلاوة القرب ، ليشيع هذا الاتصال في كل أشهر العام ، جعل البيت الحرام مكاناً تصفو فيه النفس ، من أجل أن يشيع هذا الصفاء في كل مكان ، اصطفى النبي العدنان لتسعد بدعوته وبسنته إلى يوم القيامة .

أيها الإخوة الكرام ؛ نحن في العيد ، وفي يوم الجائزة ، قال عليه الصلاة والسلام :

((إذا كان يوم الفطر وقفت الملائكة في أفواه الطريق فنادوا: يا معشر المسلمين أغدوا إلى رب كريم، رحيم، يمن بالخير، ويثيب عليه الجزيل، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم وأمرتم بصيام النهار فصمتم، وأطعتم ربكم، فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا العيد نادى منادٍ من السماء ارجعوا إلى منازلكم راشدين، فقد غفر لكم ذنوبكم كلها))

ويسمى ذلك اليوم في السماء بيوم الجائزة ، فنحن في يوم الجائزة فطوبى لمن صلى رمضان ، إيماناً واحتساباً، طوبى لمن صام رمضان إيماناً واحتساباً ، طوبى لمن أنفق ماله في رمضان ، إيماناً واحتساباً ، طوبى لمن قرأ القرآن في رمضان ، إيماناً واحتساباً ، فهذا اليوم يوم الجائزة .

أيها الإخوة الكرام ؛ كان صلى الله عليه وسلم إذا استهل شهر رمضان استقبله بوجهه ثم يقول :

((اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام . والعافية المجللة ودفع الأسقام، والعون على الصلاة والصيام، وتلاوة القرآن .))

[أخرجه الطبراني عبد الله بن عمر]

كان يدعو ويقول :

((اللهم سلمنا لرمضان، وسلمه لنا، وتسلمه منا متقبلاً يا رب العالمين))

صلة الرحم في العيد

أيها الإخوة الكرام ؛ شيء آخر في العيد : العيد مناسبات لصلة الرحم ، وصلة الرحم في الإسلام نوع من التكافل الاجتماعي ، فكل مسلم مكلف في العيد أن يتفقد رحمه مطلق أقرباءه ، من جهة الأب أو من جهة الأم ، الأقرباء من أية جهة كانوا هم من الأرحام ، هذا ما استقر عليه رأي العلماء ، فأنت في العيد تصل رحمك ، وهذه الصلة على مستويات ثلاثة :

المستوى الأول :

أن تزورهم ، وأن تهنئهم بالعيد .

المستوى الثاني :

أن تتفقد أحوالهم ، فما شُرع لنا أن نزور أقاربنا في رمضان كي نسلم عليهم فقط ، صلة الأرحام تعني تفقد أحوالهم ، والتبصر في معيشتهم ، فإن كانوا في حاجة إلى مساعدة ، إلى معونة فبادر إلى هذا العمل الطيب، فالله سبحانه وتعالى يثيب عليه الجزيل .

المستوى الثالث :

أن تدلهم على الله ، أن تأخذ بيدهم ، أن تبين لهم ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((بلّغُوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

ولأن الدعوة إلى الله عز وجل في القرآن الكريم فرض عين على كل مسلم ، بدليل أن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾

[سورة العصر الآية: 3.1]

التواصي بالحق أحد أركان النجاة الأربعة ، لا تنجو إلا إذا تواصيت بالحق ، والإيمان لا يستقر في نفس الإنسان إلا ويعبر عن ذاته بذاته بعمل صالح ، ومن أجل الأعمال الصالحة كلمة حق تلقيها على أخ في الله .

أيها الإخوة الكرام ؛ يقول عليه الصلاة والسلام :

((صلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار، يعمرون الديار، ويزدن في الأعمار))

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((ليس شيء أُطيع الله تعالى أعجل ثواباً من صلة الرحم، وليس شيء أعجل من البغي وقطيعة الرحم، واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع))

من أجل الأعمال في الإسلام أن تتفقد أقاربك ، من أجل هذه الأعمال أن تأخذ بيدهم إلى الله ، من أجل هذه الأعمال أن تدلهم إلى الله عز وجل ، يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح :

((أي الأعمال أحب إلى الله ؟ قال: إيمان بالله. قال: قلت: يا رسول الله، ثم مه ؟ قال: ثم صلة الرحم. قال: قلت: يا رسول الله، ثم مه ؟ قال: ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبغض إلى الله ؟ قال: الإشراك بالله. قال: قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: ثم قطعيه الرحم))

[أخرجه أبو يعلى عن رجل من خثعم]

أيها الإخوة الكرام ؛ من علائم تخلف المسلمين فإنهم لا يعرفون بعضهم بعضا فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((تعلَّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم))

[أخرجه البخاري والترمذي عن أبو هريرة]

ينبغي في العيد أن تتعرف على أقرباؤك الصغار ، أولاد أقرباؤك الكبار ، أن تتعرف على أسمائهم ، وأحوالهم، ودراساتهم ، وأوضاعهم ، من أجل أن المعرفة ، ومن أجل أن يبنى على هذه المعرفة كلمة حق تلقى على أسماعهم ، أو معونة تأخذ بيدهم إلى الله عز وجل .

أيها الإخوة الكرام ؛ يقول عليه الصلاة والسلام :

((صلة الرحم مسرات في المال، محبة في الأهل، منسأة في الأجل))

أيها الإخوة ؛ العيد مناسبة سنوية لصلة الأرحام ، والعيد مناسبة سنوية للأعمال الصالحة ، فكم من عمل صالح ملئ البيت فرحاً وسروراً ، كم من عمل صالح رسم على وجوه الصغار البسمة والضياء ؟ كم من عمل صالح فرجت به كرب المكروبين ، وضيق المتضايقين .

((مَن نَفَّسَ عن مؤمن كُرْبة من كُرَب الدنيا نَفَّسَ اللهُ عنه كُربة من كُرَب يوم القيامة))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن أبو هريرة]

أيها الإخوة ؛ شيء آخر : هذه اللقاءات في العيد ينبغي أن تستثمر في ذكر الله عز وجل ، فذكر الله من أجل الأعمال ، قال عليه الصلاة والسلام :

((ألا أخْبِرُكم بخيرِ أعمالِكم، وأرفَعِها في درجاتك، وأزكاها عند مليكِكم ، وخير لكم من الوَرِق والذهب، وخير لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقَكم ؟ قالوا بلى، قال: ذِكْرُ الله وما والاه))

[أخرجه الترمذي ومالك عن أبو الدرداء]

والحمد لله رب العالمين

الفصل السادس : صلة الرحم في تربية الأولاد

الدرس (3-1) : تعريف الأبناء بحقوق الأرحام

الدرس (3-2) : القدوة

الدرس (3-3) : ثمار صلة الرحم

الدرس (1-3) : تعريف الأبناء بحقوق الأرحام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيّها الأخوة الكرام مع الدرس السابع عشر من دروس تربية الأولاد في الإسلام، ولازلنا مع مسؤوليّة الآباء عن تربية أولادهم التربية الاجتماعيّة.

تعريف الإسلام ليس عبادات وإنما هو معاملات:

قد تحدثنا في الدرس الماضي عن تعريف الأبناء بحقوق الوالدين، واليوم ننتقل لتعريف الأبناء بحقوق الأرحام.

موضوع الأرحام موضوعٌ دقيقٌ جداً لكثرة ما في النصوص النبويّة الصحيحة من حثٍ على صلة الرحم، وحسبكم أنّ النجاشي ملك الحبشة حينما سأل سيدنا جعفر بن أبي طالب عن الإسلام ؟ قال: أيُّها الملك كنا قوماً أهل جاهليّة نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منا الضعيف، حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته، وصدقه، وعفافه، ونسبه، فدعانا إلى الله لنعبده ونوحّده، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكفِّ عن المحارم والدماء.

هذه هي الجاهليّة، وهذا هو الإسلام، بتعريفٍ بليغٍ موجزٍ جامعٍ مانعٍ، والعجيب أيُّها الأخوة أنّ تعريف الإسلام في نظر هذا الصحابيّ الجليل ليس عباداتٍ إنّما هو معاملات، فهل هذا واضح ؟ تعريف الإسلام ليس عبادات، إنما هو معاملات.

لذلك العبادات نوعان: عباداتٌ شعائريّة، وعباداتٌ تعامليّة، ولا قيمة للعبادات الشعائريّة ما لم تصحّ العبادات التعامليّة، أتحبون الدليل.

أدلة من القرآن والسُّنة على أنه لا قيمة للعبادات الشعائريّة ما لم تصحّ العبادات التعامليّة:

قال تعالى:

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45) ﴾

(سورة العنكبوت: آية " 45 ")

في الحديث الشريف:

((مَن لم تنهه صلاته عن الفحشاء و المنكر لم يزدد من الله إلا بعداً.))

[تفسير ابن كثير عن ابن عباس مرفوعاً]

في الصيام قال تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183) ﴾

(سورة البقرة: آية " 183 ")

في الحديث الشريف:

((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ))

[أخرجه أحمد و البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة]

الزكاة قال تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)﴾

(سورة التوبة: " 103 ")

وكذلك في الآية الشريفة قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ (53) ﴾

(سورة التوبة: آية " 53 ")

في الحج قال تعالى:

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97) ﴾

(سورة آل عمران: آية " 97 ")

في الحديث الشريف:

((من حج بمال حرام فقال: لبيك اللهم لبيك، قال الله له: لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك))

[الأصبهاني في الترغيب عن أسلم مولى عمر بن الخطاب]

كلامٌ واضحٌ كالشمس.

الفرق بين الأسر المتماسكة والأسر المتباغضة كالفرق بين الجنة والنار:

العبادات الشعائرية لا قيمة لها إطلاقاً ما لم تصحَّ العبادات التعامليّة، صدق، أمانة، عفّة، استقامة، وفاء الوعد، إنجاز العهد، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له))

[رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط وابن حبان عن أنس رضي الله عنه]

ليس عنده إيمان، المؤمن الصادق تأمنه على روحك، وعلى مالك، وعلى عرضك، هذا هو المؤمن، مطمئن إلى أقصى درجة، ولا دين لمن لا عهد له فأذكر لكم مثلاً أعيده كثيراً: تسعة أشهر دراسة، وست ساعات فحص، وهذه الست ساعات هي الصلاة أو الصيام أو الحج، فإذا لم تكن الدراسة موجودة فلن ينجح، فلو أن طالباً معه ستة أقلام حبر احتياطاً ورغيفان من الخبز، ودواء مسكن، وقليلاً من الماء البارد، والسيّارة أوصلته لمكان الفحص والسائق في انتظاره ولكنه لم يقرأ من المقرر شيئاً، فما قيمة كلّ ذلك ؟ الامتحان ليس له قيمة أبداً.

يا أيُّها الأخوة، يجب أن نربّي أولادنا على رعاية حقِّ الأرحام، والشيء الملاحظ أنّ هناك أُسراً والله أعتزُّ بها لما عندهم من الترابط، تجد الأب والأولاد في محبّة وتعاون وتضحية ومؤاثرة، وسبحان الله في النهاية ترى هذه الأسرة بأكملها في المسجد، لشدّة الصلة بينهم، وللتعاون، فإذا انساق أحدهم إلى أهل الحقّ جرَّ معه الآخرين، وهناك أسر بالمحاكم، يقول لك: أربعون سنة ولم يتكلّم مع أخيه، وبالقضاء، أسر كثيرة جداً.

أي بين الجنّة والنار، أسرة متماسكة، ومتعاطفة، ومتعاونة، ومتآزرة، كأنّهم في جنّة، وأسرة متباغضة، متحاسدة، شقاق بينهم، عداوة، بغضاء، محاكم، طلب نفقة، فهل هذه الحياة حياة !

الرحم كلُّ من ترتبط بهم بالقرابة أو النسب:

لذلك النبيّ عليه الصلاة والسلام في أحاديث كثيرة جداً حضَّ على صلة الرحم، من هم الرحم ؟ الرحم كلُّ من ترتبط بهم بالقرابة أو النسب، بعض الناس يظنون الرحم فقط أقرباء الأم، لا، الرحم كلُّ أقربائك من جهة الأب أو من جهة الأم، والعلماء سلسلوا هؤلاء الأقرباء على الشكل التالي:

الآباء والأمّهات أي الأُصول، الأجداد والجدّات مهما علوا، الأخوة والأخوات، الأعمام والعمّات، أولاد الأخ وأولاد الأُخت، الأخوال والخالات، ثمّ من يليهم من الأقرباء الأقرب فالأقرب.

أي آباؤك، وأجدادك، وأولادك، وأحفادك، و(أُخوتُك) إخوتُك وأَخواتك، وأولاد إخوتك، وأولاد أخواتك، وأعمامك، وأخوالك، وأولاد أعمامك، وأولاد أخوالك، وعمّاتك، وخالاتك، أي كلّ أقربائك دخلوا في كلمة الرحم.

الحقيقة أنّ سبب تسمية الرحم هكذا قال: لاشتقاق الرحم من اسم الرحمن، وقد قال بعض علماء التوحيد: الرحمن اسم الله الأعظم والدليل قوله تعالى:

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (110) ﴾

(سورة الإسراء: آية " 110 ")

لذلك في المصاحف الشريفة في الطبعات الحديثة تجد مكتوباً بالأحمر الله، الرحمن، إله، هو، الرحمن اسم الله الأعظم.

الرحم مشتقّة من الرحمن:

الرحم مشتقّة من الرحمن، ربّنا عزَّ وجلَّ خلق الخلق ليرحمهم فقد قال تعالى:

﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119) ﴾

(سورة هود آية: " 119 ")

خلق الخلق ليرحمهم:

((أنا الله، وأنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته))

[رواه أبو داوود والترمذيّ عن عبد الرحمن بن عوف]

ألا يكفي هذا الحديث، من وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته، مثلاً: له أخت متزوّجة بالمخيّم ومن سنتين لم يذهب لعندها لأنّها فقيرة، زوجها فقير، أمّا هو عنده ولائم وسهرات، وأدوار، وأشياء مرتّبة، وبيوت فخمة، وطعام نفيس، وهذه الأخت فقيرة، من وصلها فقد وصلته، ومن قطعها فقد قطعته، ألا تعرف أحياناً عندما تزور أختك فتنتعش وتسرّ بتلك الزيارة، وتعطيها حماساً وترفع شأنها أمام زوجها.

والله يوجد أخ من أخواننا كنت لا أعرفه سابقاً، قال لي: أنا أحضر عندك منذ ست سنوات، وسألني سؤالاً أنّ له أختاً معذّبة مع زوجها، فقال لي: أنا أزورها كل أسبوع مرتين أو ثلاث وأُواسيها، وأخفف عنها، وأحاول مساعدتها، والله يشهد أنّ هذا الأخ كبر في نظري إلى درجة لا تصدّق، فمن لها غير أخيها ؟ إذا زارها أخوها ونصحها، أحياناً يصبّرها ويخفف عنها، وأحياناً يمدح لها زوجها، قد لا يعجبها زوجها، لكن لم تنتبه لبعض المميزات والأشياء الجيدة فيه أنّه شريف مثلاً، ماله حلال، وأخلاقه عالية، وسمعته طيّبة، ولكن بيته صغير، ودخله قليل، أحياناً الأخ بعلمه يبيّن لأخته قيمة زوجها.

لذلك أفضل شفاعةٍ أن تشفع بين اثنين في نكاح، وهي أفضل شفاعة على الإطلاق، أي تقنّع الزوجة بزوجها، وتقنِّع الزوج بزوجته.

صلة الرحم أولها زيارة وثانيها مساعدة وثالثها هدى:

يوجد أقرباء والعياذ بالله، قال لي أحدهم: شكوت زوجتي لأخيها فقال لي: طلّقها فهذا أفضل لك، هذا الأخ . أخ الزوجة . نصح زوجها بتطليقها، هذا أخ ! ولكن يوجد أخ ثانٍ على مستوى راقٍ.

أنت عندما تزور أختك، أو تزور ابنة أخيك، أو ابنة أختك مثلاً، أو ابن عمك زرته، وطبعاً الكبراء يُزارون ولكن يوجد من ورائهم مكسب، بزيارتهم تزداد عزاً ويحتفل بك بضيافة من الدرجة الأولى، لكن بطولتك ليست مع الكبراء، أن تكون أنت كبير ولك قريب صغير، أو مهمل، أو على هامش الحياة فإذا زرته أنعشته.

إذاً:

((أنا الله، وأنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته))

[رواه أبو داوود والترمذيّ عن عبد الرحمن بن عوف]

هذا الحديث يجب أن يحضّنا جميعاً، على كل شخص أن يعيّن يوماً كالجمعة مثلاً وفي الشتاء الليل طويل، ومن المغرب حتى العاشرة مساءً لزيارة الرحم ولو ربع ساعة، فلا تستحِ من إعطاء القليل فإنّ الحرمان أقلّ منه، أو أحياناً اتصالاً هاتفياً والسؤال عن صحة أختك وحالها وسؤالها عما تحتاجه ؟ وبثها شوقه، وأن يطلبها للمجيء لعنده، ثمّ يسلّم عليها ويودّعها، فهذه المخابرة منعشة، لأنّ الله عزَّ وجلَّ يحبُّنا أن نكون على قلبٍ واحد، يحبُّنا أن نكون يداً واحدة، صلة الرحم تدعم التكافل الاجتماعي.

بعد قليل سأقول لكم ما معنى صلة الرحم، أكثر الناس يظنون أنها زيارةٌ فقط، فأولها زيارة، وثانيها مساعدة، وثالثها هدى.

أوّل شيء تزور، فإن وجدت حاجة إلى مساعدة، أو دفع مبلغ من المال، فإنني أروي قصّة نموذجيّة لأحد أخواننا لعلي قلتها سابقاً، ذات مرّة زار أحد الأخوة أخته فوجد خصومة بينها وبين زوجها على مبلغ من المال تطلبه منه كلّ شهر وهو يأبى أن يعطيها إيّاه، هذا الأخ له دخل محدود لكن أراد أن يتقرّب إلى الله، فقال لها: يا أختي هذا المبلغ عليّ وأنهوا هذه المشكلة، وأصبح كلّ أول شهر يدفع لها ثلاثمئة ليرة وهذا المبلغ هو سبب خلافها مع زوجها كسوة لها، ولكن زوجها دخله محدود ولا يكفيه معاشه وليس معه وهي مصرّة على الثلاثمئة ليرة فتحمّل دفعها هذا الأخ، فطرق عليها في اليوم الأول من الشهر الأول ودفع لها المبلغ، وكذلك فعل في الشهر الثاني والثالث.

قال لي هذا الأخ الكريم: في الشهر السادس طلبت أخته منه درساً دينياً لبناتها، ثم بعد ذلك حضر كلّ من بنات الأخت وبنات الأخت الثانية، فقام بتدريس بنات أخواته كلهن درساً أسبوعياً، وقال لي: وأنا على قدر معلوماتي، أية آية سمعتها من أحد الدروس، أو حديثاً، أو حكماً فقهياً، أو قصّة عن الصحابة، فالدرس أنعشني، وشعرت بقيمتي.

العلم يزكو على الإنفاق وزكاة العلم نشره:

عندما يدعو الإنسان إلى الله عزَّ وجلَّ يشعر بقيمته، وأنا لا أكتمكم أنّ أول مستفيد من الدعوة هو الداعي نفسه، أول من يستفيد من الدرس هو المدرس، أول من يستفيد من الدرس هو المعلم، الموجه، المرشد،

الداعي نفسه، لأنّ العلم أيُّها الأخوة زكاته بإنفاقه، فكلّ شيء إذا أنفقت منه يقل إلا العلم يزكو على الإنفاق، وزكاة العلم نشره، والنبيُّ عليه الصلاة والسلام يقول:

((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً))

[البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]

بلغوا عني، فأنا الآن أدعوكم، فأنت تحضر خطبة جمعة، وهي ساعة إلا ربعاً فلم يثبت بذهنك آيةٌ واحدةٌ أو حديث هل هذا معقول ؟ إلا إذا كان . لا سمح الله . النفاق موجوداً، فالمنافق عندما كان يحضر عند رسول الله إذا انفض من عنده قال كما ورد في القرآن الكريم:

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (16) ﴾

(سورة محمد: آية " 16 ")

قد يقول أحد الأشخاص: والله لم أذكر شيئاً من الدرس، فأنا دائماً أقول: إذا لم يكن الإنسان صادقاً في طلب الحق يصبح مثل آلة التصوير من غير فيلمٍ بداخلها، ولو كانت غالية الثمن، ولو انتقى المنظر الجميل، وضبط كل من المسافة والسرعة والفتحة، وضغط على الزر ولكن لا يوجد فيلم بداخلها، لأنّه لا يطلب الحق فلا يظل أو يثبت شيء مما يستمع إليه، فلو حضر الإنسان واستمع إلى خطبة جمعة، أو درس في التفسير، أو درس في الحديث أو في السيرة فهل من المعقول أن لا يبقى شيء مما استمع له ؟!

اجعل هذا الشيء الذي استمعت له مدار الحديث طوال الأسبوع، إن دعيت لغداء فأخبر الموجودين أو المدعوين عن الخطبة وماذا قال فيها الخطيب، فهذا كلام جميل، وإن دعيت لسهرة، أحياناً يكون عقد للقران، أو حل لمشكلة، أو زيارات دوريّة للأصدقاء أو الأقارب، ففي كلّ لقاءاتك بلّغ، هكذا النبيّ قال:

((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً))

[البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]

نشر الحق والتواصي به ركن من أركان النجاة:

أنت حينما تخرج من ذاتك إلى خدمة الخلق تشعر بسعادة الداعية، فلا تصدّق، قد يبذل الدعاة جهداً جهيداً، ويعملون ليلاً ونهاراً ولكن والله هم أسعد الناس، يحس بإنسانيته وأنّه في خدمة الحق.

أقول دائماً الدعوة ليست حكراً على الدعاة، فكلّ مسلمٍ ينبغي أن يكون داعية.

أحد الأخوة أعجبني فقد قال لي: أنا لا أعرف أن أتكلّم ولكنني آخذ أشرطة وأقوم بتوزيعها، وبهذه الطريقة حضر للدروس حوالي عشرة إخوة يستمعون إليك.

هذا شيء جميل، فالآن الوسائل ميسّرة، فأنت لا تستطيع أن تتكلّم فيوجد من يتكلّم عنك، لكن يجب عليك أن تنشر الحق، لأن الحق إذا لم ينتشر فسينتشر الباطل وسيحاصر الحق، أنت ربما تظن الآن أنك تنشر الحق لكي ينمو، لا، بل للحفاظ على وجودك، والدليل: الله قد جعل نشر الحق والتواصي به أحد أربع أركان النجاة فقد قال تعالى:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3) ﴾

(سورة العصر: آية " 3 ")

هذا اللسان يجب أن يكون طليقاً بذكر الله، عوّد نفسك أن يكون كلامك من عملك والعمل محاسب عليه أينما جلست، فالحديث عن الدنيا يفرّق، والحديث عن الآخرة يجمع، قد يكون بالجلسة تاجر أو مهندس أو موظف أو طبيب، فإذا تكلّم التاجر عن تجارته ودخله وأرباحه، تجد الكل ساكتاً لأن بعض الجالسين راتبه لا يكفيه خمسة أيام بالشهر، وسمع من أحد الحاضرين أنّه بصفقة واحدة كسب أربعمئة ألف، فيتضايق، ويقول في نفسه ما هذا الراتب الذي أتقاضاه فأنا أعيش على هامش الحياة، فإذا كان الحديث الدائر عن الدنيا يحدث الانقباض، أما إذا كان الحديث عن الله عزَّ وجلَّ تجد كل القلوب تستمع إليه، لذلك اذكر الله دائماً، وليكن لسانك رطباً بذكر الله.

كيفية بر الوالدين بعد موتهما:

إذا أردت أن يكون لك ابن يصل رحمه أول شيء كن أنت قدوة له، قل له: قم يا بني لنزور عمّتك، أو خالتك، أو نزور أختك اليوم فمنذ شهر لم نرها، أو لنتحدث معها هاتفياً، فإذا رأى الابن أن أباه يزور أقاربه، وأساساً عندما سأل أحدهم النبيّ صلى الله عليه وسلم:

((يا رسول الله، هل بقي عليّ من برِ والديّ شيء من بعدهما أبرهما ؟ قال: نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما فهذا الذي بقي عليك من برّهما بعد موتهما.))

[الحافظ اللالكائي عن أبي أسيد]

هذا الذي بقي عليك من برّهما بعد موتهما، أن تصل الرحم التي لم يكن لها صلةٌ إلا بهما.

يجب أن نقول: أولاً زيارة، ثانياً تفقّد الأحوال، فاستمعوا إلى الآية الكريمة، فمن هو الذي يستحقُّ الصدقة ؟ هل هو السائل ؟ لا، الذي يلح كثيراً ؟ لا، اسمعوا القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (273) ﴾

(سورة البقرة: آية " 273 ")

الذي ينبغي أن تساعده لن يسألك، ولن يطلب منك، هو أعفُّ من ذلك، إذاً ماذا لزاماً عليك أنت أن تفعل ؟ عليك أن تتفقّده، فما دام هو لن يقول لك أعطني لأنّه عفيف وعزيز النفس، فماذا تعني صلة الرحم ؟ تعني تفقّد الأحوال، تسأل عن أخبارهم، وأوضاعهم، تسأل أختك: المدارس حان موعدها فهل يلزمك شيء ؟ بالطبع يلزمها ألبسة وخلافه، وإن كان الجو بارداً فيلزمها ثمن وقود للتدفئة، فاسألهم هل عبأتم خزان الوقود ؟ أنت في حالة ماديّة جيّدة وهي لم تعبئه.

الصلة تعني الزيارة، إنعاش اجتماعي، وتعني ثانياً التفقّد، فتوجد مواسم للمدارس، أو التدفئة بالوقود، أو الألبسة، أو في الأعياد، أما الصلة الثالثة هي: الهداية.

عندما تتفقدهم بالزيارات، وتتفقدهم بالمعونات أصبح لك مكانة كبيرة عندهم والآن أصبحت كلمتك مسموعة، وتوجيهك مقبولاً على العين والرأس، لكن لا يوجد أصعب من توجيه الغني للفقير، فالفقير يتلوّى من جوعه والغني يحدّثه بالقيم، شيء يغيظ تماماً، أما إذا عاونته وقدمت له المساعدة فالآن كلامك أصبح مسموعاً وتوجيهك مقبولاً، فوطّنوا أنفسكم على أنّ صلة الرحم تعني: الزيارة الإنعاشية، والتفقّد الاقتصادي، ثمّ الدعوة إلى الله هذا أعظم عمل، فيا ترى من أحقّ الناس بحسن صحابتك ؟ أقرباؤك.

اتقوا الله أن تعصوه واتقوا الأرحام أن تقطعوها:

أنا أقول دائماً كلمة: الناس العاديّون أنت لهم وغيرك لهم، أما أرحامك من لهم غيرك ؟ لهذا علماء الفقه قالوا: " لا تقبل زكاة المسلم وفي أقربائه محاويج ". فبادئ ذي بدء تفقّد أقرباءك الذين لا يعرفهم أحد إلا أنت، اسمعوا الآيات الكريمة:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (1) ﴾

(سورة النساء: آية " 1 ")

أي اتقوا الله أن تعصوه، واتقوا الأرحام أن تقطعوها هكذا المعنى المراد، لكن توجد بالآية كلمة لطيفة جداً فما معناها وهي: واتقوا الله الذي تساءلون به، فأنت سائر في الطريق، ومرّ شخص هل تستطيع أن تمسك به وتطلب منه أن يعطيك مئتين من الليرات ؟ سوف ينظر لك بازورار، لماذا الابن يسأل أباه بإلحاح وجرأة ؟ لأنّه يعلم أنّ الله أودع في قلب أبيه رحمةً به، تجد شخصاً له مكانة كبيرة والجميع يهابونه إلا ابنه يطلب منه بإلحاح، فمن له غيرك ؟ فلولا أنّ الله أودع في قلب الآباء هذه الرحمة لما تجرّأ الابن وقال لأبيه: أعطني، دليل الرحمة فقد قال تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ (1) ﴾

(سورة النساء: آية " 1 ")

لولا هذه الرحمة التي أودعها الله في قلوب الآباء والأمهات، فأحياناً يكون مع الأم في حقيبتها مبلغ من المال فيأخذ ابنها منه قسماً فلا ينشأ من هذا الفعل شيء يغضبها لأنها أمه، يوجد مودّة ورحمة ومحبّة، ويحسّ الإنسان أنّ الأم والابن شيء واحد وكذلك الأب والابن، فهذا معنى الآية:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (1) ﴾

(سورة النساء: آية " 1 ")

الدعوة إلى قطيعة الرحم من الكبائر:

الآية الثانية قال تعالى:

﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً (26) ﴾

(سورة الإسراء: آية " 26 ")

وقال تعالى:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً (36) ﴾

(سورة النساء: آية " 36 ")

بالمقابل تقول الآية:

﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (25) ﴾

(سورة الرعد: آية " 25 ")

أي الدعوة إلى قطيعة الرحم من الكبائر، وقطيعة الرحم من الكبائر، فإذا قلت لأحد الأشخاص: لا تزر. فهذه كبيرة، فالدعوة كبيرة والقطيعة كبيرة.

الإنسان كلّما كان عظيماً لا ينسى الفضل:

يقول لي أحدهم إن لي أقرباء غير منضبطين ؟ فأجيبه بقولي: إنّك إذا لم تزرهم سيزدادون تفلّتاً، فإذا زرتهم ونصحتهم بالحسنى والحكمة ربما انضبطوا، أو ربما أوقفتهم عند حد، إذاً زيارتك مهمة جداً قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾

(سورة الرعد: آية " 25 ")

وقال تعالى:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) ﴾

(سورة محمد: آية " 22 ")

والله أيها الأخوة لو قرأتم ما في السيرة النبويّة من إكرام النبي لمرضعته حليمة السعديّة لاقشعرّ جلدكم، كان يمدُّ لها الرداء، وقد أكرم قومها بأن أطلق كلّ أسراهم، أعطاهم كلّ سؤلهم لأنّ حليمة السعديّة أرضعته.

الإنسان كلّما كان عظيماً لا ينسى الفضل، ولا ينسى الفضل إلا عديم الأخلاق والإيمان.

ثمرات صلة الرحم:

الآن ثمرات صلة الرحم ودققوا فيها جيداً:

((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت))

[رواه الشيخان عن أبي هريرة]

1. من لوازم الإيمان صلة الرحم:

أي أنّ من لوازم الإيمان صلة الرحم، أي إن لم تصل رحمك فهناك شكٌ في إيمانك، في أصل إيمانك أو في كمال إيمانك على اختلافٍ بين العلماء، فأحياناً تجد شخصاً ذا رزق وفير أي زائد، فدقق تجد أنّه يصل رحمه لأخته أو ابنة أخته عند زواجها أهداها غسالة أو برّاداً، وهذه أقرضها وهذه أعطى لابنها بدلاً، دفع الأموال إلى الأقرباء هذا مما يستدعي الرزق.

2. صلة الرحم تزيد في العمر وتوسّع في الرزق:

روى الشيخان أي البخاري ومسلم وهذا الحديث من أعلى درجات الحديث أي ما اتفق عليه الشيخان:

((من أحبَّ أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه))

[رواه الشيخان عن أنس]

أحد أسباب زيادة الرزق صلة الرحم، فإنّك عندما تنوي زيارة أقربائك وتقدّم لهم المساعدة فالله يحاسب عنك، يجعل المساعدة على حسابه، فيدفع لك.

أحد الأخوة قال لي: اتصلت بي أختي هاتفياً وطلبت مني خمسة آلاف ليرة، وكان الوقت صعباً جداً فلم يكن معي فالإنسان عسر ويسر، دخلت في صراع مع نفسي، معي مبلغ ولكن له مصارف ذات أهميّة كبرى، وبعد صراع طويل قررت أن أعطيها خمسة آلاف، فذهبت إلى بيتها وأعطيتها المبلغ، ونزلت إلى المحل التجاري بالبزورية، فجاءني تاجر من السعوديّة يريد شراء قمر الدين، والقصة

قديمة، فقلت له: ليس عندي. فقال لي: دلني، فقلت له: في المحل الفلاني وكيلٌ للمعمل، فقال لي: خذني معك وأوصلني لعنده، فقلت له: تفضل، فأوصلته وقلت له هذا يريد شراء قمر الدين، وفي المساء بعث البائع لي ظرفاً به عشرة آلاف من الليرات وهو لا ينسى هذه القصة، طبعاً إذا أضافها على الزبون فهذا حرام، وذلك دون ذكر لتفاصيل الحكم الشرعي، أما إذا أعطاها من ربحه فلا شيء في ذلك.

إذا أعطيت إنساناً كان سبباً لصفقة ما، كان سبباً وبذل جهداً فأعطيته مبلغاً من ربحك فلا مانع في ذلك، أما إذا أضفته على الزبون فهذا العمل لا يجوز فعله.

أخ ثانٍ كان له صديقٌ مصاب بانزلاق غضروفي ويجب أن يستلقي على فراش خشبي لمدة شهر، وهو ذو دخل يومي وليس راتباً، فيحتاج إلى مبلغٍ طوال هذا الشهر، فألزم نفسه بتأمين المبلغ له أثناء فترة مرضه، ولكنه ظلّ مريضاً شهرين ودفع له فيهما عشرين ألفاً والقصة طويلة، فقال لي: والله كانت هناك عمليّة معيّنة خارج اهتمامي وخارج كل توقعاتي الله رزقني منها أربعين ألف ليرة، القصص كثيرة جداً:

((أنفق بلال، ولا تخشَ من ذي العرش إقلالا))

[رواه الطبراني عن ابن مسعود]

((أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ))

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

إذاً صلة الرحم تزيد في العمر وتوسّع في الرزق، كما قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان:

((من أحبَّ أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره . أي يزاد له في عمره . فليصل رحمه))

[رواه الشيخان عن أنس]

3. صلة الرحم تدفع عن الواصل ميتة السوء:

صلة الرحم تدفع عن الواصل ميتة السوء، فذات مرّة كنت في طريقي إلى عملي فوجدت أمام القصر العدلي إنساناً ملقىً على الطريق ومغطىً بقطعة من القماش، فسألت ؟ فقالوا: والله مات هنا، فذهبت لفترة ثماني ساعات ورجعت وهو في مكانه والناس عليه وفوقه ينظرون.

أهذه ميتة !! ويوجد رجل من أهل العلم جلست معه في تعزية وخرجنا معاً، شاهد إنساناً له سيّارة خاصّة فطلب من هذا العالم أن يوصله، فما أن خرج من بيت التعزية حتى عرض عليه هذا الأخ الكريم وبالطبع العالم محترم فقال له: الله يرضى عليك شكراً، فأوصله لبيته، والبيت في الطابق الرابع، وصعد إليه، ودخل إلى غرفته، وخلع جبته، وقلع عمامته، واستلقى على الفراش، وأسلم الأمانة إلى بارئها، وهذا من تكريم الله له

فلو أحبّ أن يأخذ تاكسي لمات فيه وأُخذ إلى المشفى ووضع في البراد أليس كذلك ؟ لكن الله ألقى في قلب هذا الأخ . وهو لا يعرفه . بأن يوصله، وهذا الأخ بيته بجانب البيت المقام فيه العزاء وليس على درب الشيخ وأراد أن يكرمه بهذا التوصيل، فقال لي ابن العالم: أنت آخر من كلّمه، ولم يكلّم أحداً بعدك، فصلة الرحم تدفع عن الواصل ميتة السوء لما روي عن أنس رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله أنّه قال:

((إنّ الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر، ويدفع بهما ميتة السوء، والمكروه والمحذور.))

[أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه]

كذلك هناك ميتة على قدر عالٍ، كأن يموت بين أهله وأولاده معززاً ومكرّماً، وتقام له تعزية رسميّة والدليل قوله تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21) ﴾

(سورة الجاثية: آية " 21 ")

هناك ميتة راقية جداً، ويوجد إنسان يموت بالمرحاض، فشخص بالهند ادّعى أنّه المسيح المنتظر وكان هناك وباء الكوليرا متفشياً وكان يقول: أنا من معجزاتي أنني لن أُصاب بهذا المرض، فلم يمت إلا مصاباً بهذا المرض وفي المرحاض، توجد ميتة سوء.

4. صلة الرحم تعمّر الديار وتثمّر الأموال:

صلة الرحم تعمّر الديار وتثمّر الأموال:

((إنّ الله ليعمّر بالقوم الديار ويثمّر لهم الأموال. فقيل: وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال: بصلتهم الرحم))

[رواه الطبراني والحاكم عن ابن عبّاس]

أحياناً تجد إنساناً ماله مبارك، يشتري بيتاً، أو يشتري محلاً، يشتري مزرعة أحياناً وترتفع الأسعار، ويزوّج أولاده ويسكّن أولاده بالبيوت وهو قد بدأ من الصفر، فمن أين له ذلك ؟ فيه بركة ونماء، وتجد إنساناً آخر أينما تحرّك لا يأتي بخير، يقول لك: جميع الطرق مغلقة أمامي.

((إنّ الله ليعمّر بالقوم الديار ويثمّر لهم الأموال. فقيل: وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال: بصلتهم الرحم))

[رواه الطبراني والحاكم عن ابن عبّاس]

هذا هو الحديث الرابع.

5. صلة الرحم تغفر الذنوب وتكفِّر الخطايا:

صلة الرحم تغفر الذنوب وتكفِّر الخطايا.

((أتى النبي صلّى الله عليه وسلّم رجل. فقال: إني أذنبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة ؟؟ فقال عليه الصلاة والسلام: هل لك من أم ؟ قال: لا. قال: هل لك من خالة ؟ قال: نعم. قال: فبرّها))

[رواه ابن حبّان والحاكم عن ابن عمر]

معنى ذلك أنّ الخالة في منزلة الأم:

((قال: هل لك من أم ؟ قال: لا. قال: هل لك من خالة ؟ قال: نعم. قال: فبرّها))

[رواه ابن حبّان والحاكم عن ابن عمر]

أي ببرها يغفر ذنبك.

6. صلة الرحم تيسّر الحساب وتدخل صاحبها الجنّة:

صلة الرحم تيسّر الحساب وتدخل صاحبها الجنّة:

((ثلاثٌ من كنّ فيه حاسبه الله حساباً يسيراً وأدخله الجنّة برحمته. قالوا: وما هي يا رسول الله بأبي أنت وأمي ؟ قال: تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، فإذا فعلت ذلك يدخلك الله الجنّة))

[رواه البزّارُ والطبراني والحاكم عن أبي هريرة]

7. لا يدخل الجنة قاطع رحم:

أما الشيء الخطير:

((لا يدخل الجنّة قاطع رحم.))

[الطبراني وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن جبير بن مطعم]

ماذا ينبغي أن نفعل بعد هذا الدرس ؟

قبل أن تعلّم أولادك كن أنت في هذا المستوى، اعمل جرداً لأقربائك، وحاول أن تعمل زيارة أسبوعيّة، فإذا لم تتمكن فلتكن الزيارة نصف

شهرية، وإذا لم تتمكن فلتكن زيارة شهرية، أما أدنى حد على الإطلاق فبالأعياد الرسمية، عيدي الأضحى والفطر، هذا العيد للرحم، هذا الحد الأدنى، ولو بعدت المسافات، بطرف المدينة أو بقرية من قرى الغوطة.

ادع إلى الله تكن سبباً في هداية الناس:

لا بدّ من أن تزور رحمك أولاً، وأن تتفقد أحوالهم ثانياً، وأن تدلّهم على الله ثالثاً، والأكمل من ذلك أنت طالب علم ورائد من روّاد المسجد، وتحضر أربعة أو خمسة دروس أسبوعياً مع الخطبة، عليك أن تعطي درساً صغيراً لأخواتك البنات، وأولاد أخواتك البنات فهؤلاء مجموعة، أعطهم درساً وقم بتحضيره أولاً قبل يومٍ من اجتماعكم، تفسيراً لآية، وحديثاً له علاقة بالآية، وحكماً فقهياً وقصّة من قصص الصحابة، اجمعهم وقم بإكرامهم، فهذا الدرس ينعشك لأنّك كنت سبباً في هداية الناس، الآن يوجد ضياع فإن تركتهم فسيتربون بوسائل لا ترضي الله عزَّ وجلَّ.

أنا أقترح على كل أخ من أخواننا الكرام أن يدعو، فلا تقل أنا لست داعية، فمن قال لك أنّك داعية بل ينبغي أن تكون داعية شئت أم أبيت، فادع بناتك أو بنات أخواتك، أعطِ درساً للإناث إذا كان لك أخٌ مشغول، تاجر وغارق في تجارته وعنده عدد من الأولاد فيهم من الخير فادعهم لعندك وحدد لهم يوماً في الأسبوع، فإذا وجدوا درساً محضّراً وجيداً، آية، حديثاً، حكمة، قصة أحياناً، " صور من حياة الصحابة " سبعة أجزاء وهو كتاب لطيف جداً، اقرأ لهم قصّة عن الصحابة، تروي لهم حُكماً فقهياً، دعابة، تقدم لهم ضيافة، فالضيافة تجذبهم وهي لله عزَّ وجلَّ.

إذا تمكنت من أن تحيط هؤلاء الشباب أولاد أخيك بالرعاية وتوجّههم، وكذلك أولاد أختك، وبنات أختك هؤلاء رحمك، فأنت كن داعية لأقربائك، بعد عدة أشهر تجد بنات أخواتك قد تحجّبن بعدما اقتنعن بالدين، وأولاد أخواتك أصبحوا يصلون، ثم بعد ذلك حضروا معك إلى الجامع، ثمّ أصبحوا مؤمنين، وأصبحوا قرّة عين لأوليائهم هذا عمل عظيم.

الدرس (2-3) : القدوة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

صلة الرحم:

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الثالث والثلاثين من دروس تربية الأولاد في الإسلام، ولا زلنا في الموضوع الاجتماعي، ومن بين الموضوعات الاجتماعية ذات الأهمية صلة الرحم.

أيها الأخوة، في الإسلام ما يسمى في المصطلح الحديث: تضامن اجتماعي، الله عز وجل أراد أن يكون التضامن الاجتماعي في الإسلام على أساسين، أساس النسب، وأساس المكان " الجغرافية "، فالأحاديث التي توصي بالجار كثيرة جداً، والأحاديث التي تتحدث عن صلة الأرحام كثيرة جداً.

هذا الابن إذا نشأ وهو يرى أباه وأمه على اتصال وثيق بالأقارب، زيارات، مودة، تعاون، ينشأ على هذا الخلق الاجتماعي الرفيع، فاقد الشيء لا يعطيه، يمكن أن تكون أعظم أب في الأرض دون أن تنطق بكلمة، لأن ابنك يراك، يرى سلوكك، يرى ضبط لسانك، يرى رحمتك بمن حولك، يرى برك لأبيك وأمك.

الاستقامة طريق الإنسان لهداية الآخرين:

الإنسان لا يحتاج إلى كلام كثير، ورد في بعض الأحاديث:

((استقيموا يستقم بكم))

[أخرجه الطبراني عن سمرة بن جندب]

فتاة محجبة حجاباً كاملاً، تدرس الرياضيات في أمريكا، أرسلها أستاذها إلى تلميذه، التلميذ اسمه "جيفري لنك" أكبر ملحد بسان فرانسيسكو، لكن بالرياضيات من فلتات الزمان، يقول هذا "جيفري لنك": عندما رأيت هذه الفتاة الشرق أوسطية محجبة حجاباً كاملاً في الصيف، والفتيات في أمريكا شبه عرايا قال: لا بدّ أنها تملك قناعات تتميز بها، فعكف من توه على قراءة القرآن، وهو يظن أن فيه خطأ، فلما وصل إلى قوله تعالى عن فرعون:

﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾

(سورة يونس الآية: 92)

اتصل بصديقه "موريس بوكاي" بفرنسا، وهو رئيس المشرحة في باريس، و قال له: إنك تزعم أن القرآن كلام الله، وهذه الآية ؟ قال: هذا الذي تحدث عنه القرآن رممت جثته بيدي، ومات غرقاً وهو فرعون موسى، و الآن هو أكبر داعية، ما تكلمت ولا كلمة، لأنها محجبة أقنعته بالإسلام.

((استقيموا يُستقم بكم))

أكبر وسيلة فعالة في التربية أن تكون أنت قدوة:

قد تكون أعظم أب في الأرض دون أن تنطق بكلمة، لا يرى ابنك منك كلمة قاسية، ولا كلمة بذيئة، ولا كلمة فاحشة، ولا كلمة نابية، يرى الانضباط، واللطف، و المودة، و الرحمة، يراك وأنت تصل والديك، وتحترمهما، فالطفل ينشأ على ما ربي.

إن شاء الله في دروس قادمة نصل إلى الوسائل الفعالة في التربية، أكبر وسيلة فعالة في التربية أن تكون أنت قدوة.

مرة زرت أحد علماء مصر . الشعراوي رحمه الله . التقيت معه لقاءين مطولين، سألته باللقاء الثاني: بماذا تنصح الدعاة الإسلاميين ؟ ظننت أنه سيتكلم ساعة وأكثر، فإذا بها جملة واحدة، قال لي: ليحذر الداعية أن يراه المدعو على خلاف ما يدعو، فقط.

هذا الكلام يحتاجه الأب و الأم، الأم لا تكذب، لو أنها قالت لزوجها أمام ابنتها الصغيرة عندما سألها زوجها إلى أين ذهبت اليوم ؟ قالت: لم أذهب إلى أي مكان، وقد رأتها ذهبت إلى بيت أختها وأخذتها معها، فلما كذبت على أبيها، سقطت توجيهات أمها.

لي قريب مقيم بأمريكا، فجاء مرة ليزور أهله في الشام، يبدو أن له ابناً حركته زيادة، قات له جدته: اجلس كن هادئاً، وفي المساء سآخذك إلى مكان جميل، فصدقها و جلس، و في المساء لم تأخذه، ما خطر في بالها أن تنفذ وعدها، هو طفل صغير، قال لها: أنت إنسانة كاذبة.

دقق هناك من يَعِد ابنه بدراجة، كلام، ينجح بتفوق لا يوجد دراجة، إذاً: أكبر وسيلة فعالة في تربية الأولاد ؛ القدوة.

صلة الرحم أفضل وسيلة لبر الوالدين بعد موتهما:

كيف تنشئ أولادك على صلة الأرحام ؟ بالمناسبة:

((سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله هل بقي عليّ من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال: أجل، خصال أربع، الصلاة عليهما يعني الدعاء لهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، فهذا الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما))

[حديث رواه أبو داود بسند ضعيف]

كل إنسان فقد والده، أو أمه، إذا وصل الرحم كأنه برهما بعد موتهما.

أيها الأخوة، تصور صحابي كبير يسأله النجاشي عن الإسلام، قال:

((أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لتوحيده ولنعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء))

[أخرجه ابن خزيمة عن جعفر بن أبي طالب]

بصلة الرحم.

من هو الرحم ؟

أيها الأخوة، السؤال الدقيق: من هو الرحم ؟ جميع الأقارب من دون استثناء من طرف الأب، ومن طرف الأم، هذا الكلام الدقيق، مع التفصيل: الآباء والأمهات، والأصول، أي الجد والجدة، جد لأب، جد لأم، جدة لأب، جدة لأم، مهما علوا، والأبناء، والأحفاد مهما نزلوا، آباء وأجداد، والأصول مهما علوا، وأبناء وأحفاد، الأحفاد مهما نزلوا.

الآن الأخوة والأخوات، والأعمام والعمات، وأولاد الأخ وأولاد الأخت، والأخوال والخالات، وأولاد الأخوال، وأولاد الخالات، ومن يليهم من الأرحام الأقرب فالأقرب، أي بشكل أو بآخر الأرحام هم الأقارب من دون استثناء ما كان منهم عن طريق الأب، وما كان منهم عن طريق الأم.

من وصل رحمه قدم عملاً صالحاً يلقى الله به في الصلاة:

النقطة الدقيقة هذه الآية الكريمة:

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾

(سورة العنكبوت الآية: 45)

أنت حينما تصل الرحم تقدم عملاً صالحاً تلقى الله به في الصلاة، عندئذٍ يذكرك الله.

حدثني أخ وهو عندي صادق، قال لي: عقب حضور درس من دروسك عن صلة الرحم أعرف قريباً لي لم أزره قط، فقررت أن أزوره في العيد، زرته فلم أجده، وضعت له بطاقة، الرجل محترم جداً ردّ لي الزيارة، قال لي: أسكن في بيت تحت الأرض شمالي، عندي خمسة أولاد، يبدو أن هذا القريب ميسور الحال، قال له: هنا تسكن ؟ قال له: نعم، أقسم لي بالله وهو عندي صادق، ما خطر في باله ولو لثانية أن هذا القريب يمكن أن يحل مشكلته، لكن سمع درساً وزاره، وردّ له الزيارة، قال له: ابحث عن بيت في الطابق الثالث باتجاه الشمس، وتعال خذ مني ثمنه، قال لي: والله خلال شهرين وجدنا بيتاً في الميدان ثالث طابق، باتجاه القبلة، انتعش أولادي، وسكنوا بيتاً فيه شمس، قال لي: أنا والله أدعو له ليلاً نهاراً، في كل صلاة أدعو له.

الحياة تعاون، أي بشكل أو بآخر إذا الفقير وصل رحمه الغني، واجب الغني أن يتفقد حال هذا القريب.

صلة الرحم تبدأ بالزيارة وتنتهي بالهداية:

الآن هناك نقطة دقيقة جداً، معظم المسلمين يتوهمون أن صلة الرحم أن أتصل به هاتفياً، أو أن أزوره في العيد، لا والله، صلة الرحم تعني أن أزوره وأن أتفقده، و أتفقد وضعه المعاشي، وضعه التربوي، وضعه العلمي، وضعه الصحي، وأن أقدم له بعض المساعدة، إذا كان يحتاج إلى مساعدة مالية، إلى مساعدة علمية، إلى مساعدة اجتماعية، وبعدئذٍ أدله على الله.

صلة الرحم تبدأ بالزيارة وتنتهي بالهداية، هذه صلة الرحم، لكن هناك أشياء كثيرة في حياتنا مسخت هذه الصلة إلى أن تزوره في العيد وتقول: يا رب لا أجده، لعلي لا أجده فأرتاح، تهيئ بطاقة، فإذا فتح الباب تصاب بخيبة أمل، لا حول ولا قوة إلا بالله ! هذه صلة الرحم ؟ أن تتمنى ألا تجده ؟ أصبحت حياتنا شكليات.

لذلك أنا معجب بأبناء المدينة المنورة، فهي مقسمة إلى أربعة أقسام، كل يوم بالعيد هناك ربع يبقى في البيت، لا يوجد زيارة خائبة أبداً، هذا الربع أول يوم، الأرباع الثلاثة يتوجهون لزيارة هذا الربع، كل يوم هناك ربع مقيم بالبيت.

أنا أتمنى الآن بالأعياد بدل تراشق الزيارات الخائبة، اجتمعوا بسهرة، الأقارب، الأخوات، الأصهار، جلسة مطولة في سهرة ببيت.

أنتم لا تصدقون كم من الأحاديث الصحيحة، وكم من الآيات تتحدث عن صلة الرحم، أنا لي كلمة أرددها كثيراً: الناس أنت لهم وغيرك لهم، أما أقرباؤك من لهم غيرك ؟ من هنا لا تقبل زكاة المال من الغني وفي أقربائه محاويج، إذا أعطيت زكاة مالك لأهلك ولأقربائك الفقراء لك أجر مضاعف، أجر أداء الزكاة، وأجر الصلة، لا تقبل زكاة المال من دافع الزكاة وفي أقربائه محاويج، الأقربون أولى.

بطولة الإنسان أن يقنع لا أن يقمع:

أحياناً أخواننا إذا توفى شخص تجد الأولاد في المحاكم، يقول لك: من ثلاثين سنة ما تكلمت مع أخي، والأولاد تنتقل لهم هذه العداوة، وهناك والحمد لله أسر متماسكة، تغيب عين الأب لكن الأولاد بمودة، و محبة، و تعاون.

أنا والله أحياناً عندما إنسان يتوفاه الله، وأتابع أحوال أسرته بعده، أجد بين أفراد الأسرة التواصل، و التعاطف.

هناك تعبير شهير في هذا البلد، يقول لك: ما غابت إلا عينه فقط.

والله في بعض الأخوة الكرام الدعاة كان هناك درس صباحي كل أربعاء في بيت . مضى على وفاته الآن عشرين سنة . لا يوجد أسبوع غاب أخوته عن الدرس، عشرون سنة بعد وفاته و الدرس قائم.

أعرف أخاً رحمه الله توفي بحادث، هناك نظام ببيته، حجاب زوجته، أولاده، بناته، مضى على وفاته الآن 25 سنة، البيت لم يتغير فيه شيء أبداً، مثلما رباهم.

بالمناسبة أخواننا الكرام لعلها قليلاً مزعجة: إذا إنسان ربى أولاده على القمع، أو بناته على القمع، فسيكونون بحياته منضبطات، لكن بعد مماته يصبحن متفلتات، بطولتك لا أن ينضبط أولادك في حياتك، البطولة أن ينضبطوا في غيبتك وبعد مماتك، معنى ذلك لقد ربيتهم تربية عميقة.

((علموا ولا تعنفوا))

[أخرجه الحارث عن أبي هريرة]

إياك أن تستعمل القمع في التربية، القمع ما دمت معهم منقمعون، لكن إذا تركتهم، أو غبت عنهم يتفلتون، ما دمت في حياتك منضبطون، فإذا غادرت الحياة الدنيا يتفلتون، فلذلك البطولة لا أن تقمع بل أن تقنع.

((علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف))

[أخرجه الحارث عن أبي هريرة]

سبب تسمية الأقارب بالأرحام:

قيل: ما سبب تسمية الأقارب بالأرحام ؟ قال بعض العلماء: هذه التسمية مشتقة من اسم الرحمن، والرحمن عند بعض العلماء اسم الله الأعظم.

﴿ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾

(سورة الإسراء الآية: 110)

أيها الأخوة، هناك بعض الأحاديث القدسية:

((قال الله عز وجل: " أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم عن عبد الرحمن بن عوف]

أعرف شابان ؛ الأول يبالغ في صلة الرحم، عنده خمس أخوات بنات، هذه على وشك الولادة يعطيها عشرة آلاف، هذه تحتاج إلى كسوة زوجها فقير، يعمل لها كسوة كاملة، لا يترك أختاً إلا ويبرها، سبحانك يا رب ! الذي يصل رحمه ببحبوحة كبيرة جداً، والأخ الثاني لا يقل عنه ذكاء يعاني ما يعاني من الفقر.

صلة الرحم أحد أسباب زيادة الرزق:

بالمناسبة يا أخوان أحد أسباب زيادة الرزق صلة الرحم.

((فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم عن عبد الرحمن بن عوف]

مثلاً: قد تدعى إلى بيت من أثرياء البلد، تلبي الدعوة فوراً، غير ترتيب، جلسة راقية، ضيافة راقية، لك أخت بآخر البلد الوصول لها يستغرق ساعتين بالباص، تنساها، ويمضي شهر و آخر، وسنة، و لا تزورها، هل تصدق أن زيارة هذه الأخت البعيدة الفقيرة من عمل الآخرة ؟ وأن زيارة هذا الإنسان الغني من عمل الدنيا ؟ أنت لا تعرف لو زرت أختك ما الذي يحصل ؟ تنتعش، تقول لزوجها: جاء أخي اليوم، إذا قال لها كيف صحتك يا أختي إن شاء الله بخير ؟ نحن مشتاقون لك، كيف الأولاد ؟ كيف دراستهم ؟ كيف صحتهم ؟ إذا كنت ميسوراً تحضر معك قليلاً من الهدايا، فواكه، أشياء بحاجة لها، مساعدة تساعدهم، والله الذي لا إله إلا هو أنا أرى أن هذا من أعظم الأعمال.

أنا لي أخ في الله طبعاً، أظنه صالحاً ولا أزكي على الله أحداً، مرة كان عند أخته، طرق الباب، فإذا بصياح بين الزوج وزوجته، طبعاً فتحوا له و عندما دخل سكتوا، ما القصة ؟ قالت له: أطلب منه ثلاثمئة ليرة بالشهر كسوة الأولاد و لا يعطيني، فصار في خصومة، والأخ والله دخله محدود، قال لها: أختي الثلاثمئة ليرة تأخذيهم مني، قال لي: والله ستة أشهر كل أول شهر أطرق الباب هذه الثلاثمئة، حسب ما وعدتك، قال لي: بعد ستة أشهر صار هناك ود بالغ بيننا، لأنه كل شهر يعطيها ثلاثمئة ليرة . طبعاً القصة قديمة الآن لا يعملون شيئاً . بعد ستة أشهر قالت له: اعمل لنا درساً، هو طالب علم عادي، أي مهندس، فرح، فعمل لبنات أخته درساً أسبوعياً، قال لي: أحضر لهم آية أو آيتين، حديث شريف، أو قصة عن صحابي، وأتعب على الدرس، وألقيه عليهم، قال لي: خلال سنة أو سنتين، البنات كلهن تحجبن، ومعظمهن تزوج، قلت: يا رب ! ثلاثمئة ليرة بالشهر، على ستة أشهر صار هناك ود، طلبت أخته درساً أسبوعياً، عمل لهم درساً و وجههم توجيهاً جيداً، ما هذا الخير ؟!.

كل عمل صالح يجعل الإنسان يتألق و يشعر بسعادة لا توصف:

والله أمامكم يا أخوان خيرات لا يعلمها إلا الله، زر أختك، اجبر خاطرها، يزورها بعد عدة أيام فيقول لها: كيف يسعكم هذا البيت ؟ هي مسرورة من زوجها، والبيت راضية به، وراضية عنه، وزوجها موظف، يكرهها بحياتها، هذا البيت لا يسكن، هذا علبة وليس بيتاً.

((وإن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً))

[الترمذي عن أبي هريرة]

مثلاً: زرت أختك، وهي ساكنة ببيت متواضع يقدر بستين متراً، وزوجها موظف مستقيم، طاهر، صاحب دين، تحبه ويحبها، يا أختي الله يهنئك بزوجك، والله أخلاقه عالية جداً، أدام الله الود بينكم، أنا أحترمه كثيراً، يروح، تستقبل زوجها استقبالاً آخر، أقنعها بزوجها، يستطيع هذا الأخ نفسه ما هذا البيت ؟ يليق فيك غير هذا الزوج، كلمة من الشيطان.

((إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً))

[الترمذي عن أبي هريرة]

يمكن أن يزور أخته و يطيب قلبها، هنأك الله على هذا الزوج، أنا أحترمه كثيراً، فهو صاحب دين مستقيم، شريف، فهي ترتاح، لا تعرف كم هو الأثر الذي يحصل من صلة الرحم، تفتخر أمام زوجها اليوم جاء أخي لعندي، وإذا معك هدية جبر خاطر، أسرة دخلها محدود، اقترب الشتاء يحتاجون إلى وقود، أمنت لها الوقود، أمنت لها ولأولادها الألبسة.

والله يا أخوان بالأعمال الصالحة يوجد سعادة لا توصف، الناس يبحثون عن سعادة بالأكل، والشرب، والنزهات، وغاب عنهم أن كل عمل صالح يجعلك تتألق، لا تستحي من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه.

للقرابة ميزة رائعة و هي الثقة فعلى الإنسان أن يستغلها في الدعوة إلى الله:

إذاً الصلة لا تعني أن تهيئ بطاقة بالعيد وإن شاء الله لا أجدهم، لا، ليست هذه الصلة، الصلة أن تزورهم، وأن تلتقي بهم، وأن تجلس معهم، و أن تتفقد شؤونهم المعيشية، والتربوية، والعلمية، والاقتصادية، وأن تمدهم بعون منك، ثم تأخذ بيدهم إلى الله، هذه الصلة، وهي من أعظم الأعمال الصالحة.

أخواننا الكرام، بكل وضوح أنت لا تستطيع أن تحاكي إنساناً بالطريق لا تعرفه و تقول له: امشِ معي إلى الجامع ؟ تستطيع ؟ يخاف منك، أما تستطيع أن تقول لأخيك هذا، أخوك واثق منك، أخوك، ابن عمك، ابن خالتك .

لذلك قال تعالى:

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾

(سورة الشعراء)

فبالقرابة ميزة وهي الثقة، ابن خالتك زارك، امشِ إلى الجامع، لا يخاف منك، أما إذا كان لا تعرفه يقول: لا أريد الذهاب.

فأنت يجب أن تستغل هذه الثقة من الأقارب، والأساس بالقضية

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾

والله يا أخوان عندي أخ بالجامع أنا معجب به كثيراً، غير متعلم، أحب أن يكون داعية، ماذا فعل ؟ اشترى أشرطة وبدأ يوزعهم على أقربائه، وكتب أن هذا أخذ شريطاً، و بعد أن يسمعه يأخذه منه و يعطيه آخر، و بهذه الطريقة أحضر إلى الجامع عشرين إنساناً، لا يستطيع أن يتكلم ولا كلمة، لكن يستطيع أن يوزع شريطاً. فإذا تأثرت بدرس ما خذ شريطه، أعطِه لأقربائك ودعهم يوزعونه فيما بينهم، هذه صلة الرحم دعوة إلى الله، خدمة، عمل صالح.

مرة ثانية: الناس أنت لهم، وغيرك لهم، أما أقرباؤك من لهم غيرك ؟ والنبي عليه الصلاة والسلام عندما قال:

((بلّغُوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

كيف ؟ أي أنت سمعت خطبة تأثرت بها خذ شريطها، زرت أختك اسمعوا هذا الشريط، هل تصدق أن هذه دعوة إلى الله، دعوة كاملة، فأخذت الشريط، بعد عدة أيام أخذته أختك الثانية، أختك الثالثة، شريكك بالعمل، جارك، زميلك، الخطبة سمعها مئة إنسان، طبعاً سمعها إنسان مع أهله، هذه دعوة إلى الله.

((بلّغُوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

الدعوة إلى الله فرض عين في حدود ما تعلم و مع من تعرف:

والدعوة إلى الله فرض عين، طبعاً الآية الكريمة:

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

(سورة العصر)

أي بصراحة في صلة الرحم على الأغنياء أن يبدؤوا بزيارة الفقراء، الفقير مكسور، أنت غني، زره، تودد إليه، اجلس في بيته.

مرة زرت أخاً خجل مني جداً، لأن غرفة الضيوف لا تتسع إلا لشخصين أو ثلاثة، قلت له: من أنت أمام رسول الله ؟ كان إذا أراد أن يصلي الليل لا تكفي غرفته الصغيرة لصلاته ونوم زوجته، فكانت تنزاح يميناً حتى يسجد، وهو سيد الخلق، وحبيب الحق.

فأنت تطيب قلوب الناس أو تكرههم بحياتهم.

((من فرق فليس منا))

[أخرجه الطبراني عن معقل بن يسار]

الحديث عن الدنيا يفرق والحديث عن الآخرة يجمع:

أخواننا الكرام، بالمناسبة الحديث عن الدنيا يفرق، والحديث عن الآخرة يجمع، الآن بالأعياد زيارات، موضوع الحديث، والله ذهبنا إلى اللاذقية، أسعار كاوية، نزلنا بثلاثين ألفاً، غير معقول ! تكلم أمام إنسان موظف، معاشه عشرة آلاف، دفع ثلاثين ألفاً بيومين، ألا يتألم ؟ الحديث عن الدنيا يفرق، والحديث عن الآخرة يجمع. بطولتك أيها المؤمن أن تؤلف القلوب، أن تتحدث عن علام الغيوب، أن تتحدث عن الجنة، هذه متاحة للجميع، تكلم بكلام يستطيعه كل الناس، كل واحد يستطيع أن يصلي، احكِ عن الصلاة، عن العمل الصالح، عن التوبة، عن الإنفاق، حدث حديثاً لا يشعر السامع أنك فوقه بكثير، هذه البطولة، هذه الأخلاق العالية. والله أحياناً ألتقي مع أغنياء، والله تشتهي الغنى من أخلاقهم العالية، من تواضعهم، ومن أدبهم مع الفقير.

لن تستطيع أن تربي ابنك على صلة الرحم إلا أن تصل أنت الرحم أمامه:

نحن درسنا عن تربية الأولاد، إن أردت أن تربي ابنك على صلة الرحم الطريقة الفعالة أن تصل أنت رحمك أمام ابنك، بابا امشِ سنزور الجدة، دخلت قبلت يدها، معه هدية، ابنك ينظر، أبوه زار أمه، أي جدته، وقبّل يدها، وكيف صحتك يا ماما ؟ وخدمها بالبيت، و أحضر معه لها أكلة طيبة، الله يرضى عليك، وينولك مرادك، واشتقت لكم يا بني، يسمع الابن، هذه صلة الرحم، فإذا أنت عملت عملاً صالحاً خذ ابنك معك، أو زرت الوالدة، أو الوالد، الجد و الجدة، أنت لا تستطيع أن تربي ابنك على صلة الرحم إلا أن تصل أنت الرحم أمامه.

المهمة التي تترتب على الآية التالية هي أن تسأل أنت عن الذي يستحق عطاءك وتتفقده:

أيها الأخوة، الله عز وجل قال:

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾

(سورة البقرة الآية: 273)

من هو الذي يستحق أن تساعده ؟ الذي لا يسألك، صاحب النفس العزيزة هذا يجب أن تبحث عنه.

أخواننا الكرام، هناك موضوع دقيق جداً، يقولون في بعض القواعد الفقهية: ما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، مثلاً الله عز وجل يقول لك:

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً ﴾

(سورة البقرة الآية: 273)

من هو الإنسان القريب الذي ينبغي أن تساعده ؟ الأنيق ؟ طبعاً المؤمن أنيق، ونظيف، وبيته مرتب، لا يسألك، وعزيز النفس، كيف الصحة ؟ الحمد لله، الوضع العام ؟ الحمد لله، هذا لا يسألك، هذا الذي يستحق عطاءك، إذاً أنت ما المهمة التي تترتب على هذه الآية ؟ أن تسأل أنت عنه، أن تتفقد شؤونه.

بطولة الإنسان أن يساعد عزيز النفس الذي يستحق العطاء :

أنا والله أحياناً لي قريب مثلاً مستور، عزيز النفس، أستحلفك بالله أعليك دين ؟ يخجل، أستحلفك بالله أعليك دين ؟ يقول لي: نعم والله، كم ؟ ما دام الذي يستحق العطاء لا يسأل هذا سماه الله عز وجل محروماً.

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾

(سورة المعارج)

من عزة نفسه لا يسأل، فيحرم، فأنت من بطولتك مع أقربائك الفقراء أن تستحلفه أعليك دين ؟ لا يتكلم، بصعوبة بالغة، هذا الذي يستحق مساعدتك، فإذا وصلته وصلك الله، وإذا كان في الإسلام شيء اسمه ضمان اجتماعي فهو على أساس النسب، وعلى أساس السكن، والأحاديث والآيات المتعلقة بحسن الجوار كثيرة جداً، والأحاديث والآيات المتعلقة بصلة الأرحام كثيرة جداً.

صلة الأرحام من أرقى العبادات التعاملية:

فاليوم الدرس عن كيف تربي ابنك على صلة الرحم ؟ ينبغي أن تصل الرحم أمامه، وصدقوا ولا أبالغ هناك مئات الأسر لا يوجد كلام بينهم وهم بالمحاكم.

فلذلك المجتمع لا يرقى إلا بهذه العبادة، من أرقى العبادات التعاملية صلة الأرحام.

الآية الكريمة الأصل في هذا الموضوع:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾

(سورة النساء الآية: 1)

أي اتقوا الله أن تعصوه، واتقوا الأرحام أن تقطعوها.

أيها الأخوة، قال تعالى من باب النهي:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾

(سورة محمد)

والله أعرف إنساناً يتمتع بثروة طائلة ليس في بيت أمه ماء، تحمل الماء قديماً بالدلو إلى البيت، وأقامت عليه دعوى نفقة، وهي أمه، وهناك أسر والحمد لله الود، والتواصل، والتراحم، شيء يلفت النظر، وأنا والله أحترم من أعماق أعماقي كل أسرة فيها تواصل حتى بعد موت الأب والأم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-3) : ثمار صلة الرحم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

القدوة من الوسائل الفعالة في تربية الأولاد:

أيها الأخوة الكرام، لا زلنا في التربية الاجتماعية، ولا زلنا في موضوع صلة الرحم.

وكمقدمة لابدّ منها أقول: لا بدّ من أن يعلم الأب أولاً الواجبات تجاه الرحم، إذا أداها كان هذا الأداء أكبر تعليم لأولاده.

نحن نؤمن أن أداء الوسائل الفعالة كثيرة يأتي على رأسها من دون استثناء القدوة، فحينما يرى الابن أباه يتفقد أمه، ويزورها بأوقات متقاربة، ويقدم لها كل آيات الاحترام والخدمة، هذا أكبر تدريس للأبناء لصلة الرحم، أنا لا أؤمن بالتعليم النظري، التعليم العملي أبلغ.

والفرق الكبير بين المصلحين الاجتماعيين، وبين الأنبياء المرسلين، أن الأنبياء تطابقت أقوالهم مع أفعالهم، فجاءت تأثيراتهم معجزة، بينما أي إنسان امتهن التدريس، قد يتحدث بالكمال لكن ليس هو بمستواه، فحينما يكتشف المتعلم أن هناك مسافة كبيرة بين الأقوال والأفعال تسقط الدعوة، وينتهي التعليم.

فلذلك مرة التقيت بأحد أكبر الدعاة في مصر . توفي رحمه الله . سألته عن كلمة نوجهها للدعاة، فقال بشكل موجز: ليحرص الداعية ألا يراه المدعو على خلاف ما يدعو.

فلذلك أنا حينما أتحدث الآن عن بر الآباء والأمهات، وعن صلة الأرحام، من أجل أن يكون هذا نموذجاً يحتذيه الأب، ليكون تعليمه لأولاده في أعلى مستوى.

اللقاء السابق تحدثنا عن حقيقة هذه الصلة.

صلة الأرحام من لوازم الإيمان بالله و اليوم الآخر:

الآن نتحدث عن ثمار هذه الصلة، أولاً يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان البخاري ومسلم:

((مَن كَانَ يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيُكرِم ضَيْفَهُ، وَمَن كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فليصل رحمه))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

عجيب ! ربط النبي عليه الصلاة والسلام هذه الفضيلة، هذه الطاعة، هذه العبادة التعاملية ربطها بالإيمان، أي أنه من لوازم الإيمان صلة الأرحام، فإذا وجدت إنساناً يدعي أنه مؤمن، ويقطع رحمه، ففي إيمانه شك، ربط النبي صلى الله عليه وسلم صلة الأرحام بالإيمان.

((.... وَمَن كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فليصل رحمه، وَمَن كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرا أَو لِيَصْمُتْ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

إذاً إكرام الضيف، وصلة الأرحام، وضبط اللسان هذه الأشياء الثلاثة ربطها النبي العدنان بالإيمان.

لذلك حينما قال عليه الصلاة والسلام:

((وَمَن كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فليصل رحمه))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

هو رفع العبادة التعاملية إلى أعلى مستوى، أي هذا الأب، وهذه الأم، وهؤلاء الأقارب الذين هم حول من كان سبب وجودك لا بدّ من أن تكافئهم بصلة.

صلة الرحم أساسها الزيارة ثم التفقد ثم المساعدة ثم الدعوة إلى الله:

وفي الدرس السابق، واللقاء السابق، بينت لكم أن هذه الصلة خلافاً لمن يتوهمها معظم الناس أن تطرق بابه في العيد وتتمنى ألا تجده، وهيأت البطاقة، ليست هذه الصلة لا من قريب ولا من بعيد متعلقة بتلك الصلة التي أُمرنا بها، هذه الصلة أساسها الزيارة، ثم التفقد، ثم المساعدة، ثم الدعوة إلى الله.

زيارة، فتفقد الشؤون المعاشية، التربوية، العلمية، الاجتماعية، ثم تقديم ما تستطيع لهؤلاء الأقارب وبعدئذٍ تأخذ بيدهم إلى الله عز وجل.

على الإنسان أن يستغل الثقة الموجودة بين الأقارب لهدايتهم إلى الله تعالى:

هناك نقطة دقيقة جداً، حينما قال الله عز وجل:

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾

(سورة الشعراء)

لِمَ بدأ الله بعشيرة النبي الأقربين ؟ أوضح مثل: أنت في الطريق تمشي، قرب هذا المسجد هل تستطيع أن تقول لشخص يمشي لا تعرفه اذهب معي إلى المسجد ؟ لا يعرفك، يتوجس منك خيفة، لكن بإمكانك أن تقول لأخيك، لابن أخيك، لجارك، لقريبك، لصهرك، لابن عمك، لابن عمتك، لابن خالتك، لابن خالك، اذهب معي، القرابة فيها ثقة.

فأنت ينبغي أن تستغل هذه الثقة التي هي موجودة بين الأقارب:

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾

أنا أقول دائماً: ما إن تستقر حقيقة الإيمان في قلب المؤمن إلا وتعبر عن ذاتها بحركة نحو الآخرين، إناء إذا امتلأ لا بدّ من أن يفيض على من حوله، وإذا امتلأت إيماناً لابدّ من أن تفكر أن تأخذ بيد من حولك إلى الله ورسوله.

إذاً ربط النبي صلى الله عليه وسلم هذه العبادة التعاملية، هذه الصلة ربطها بالإيمان.

وعند بعض علماء الحديث أن التوجيهات النبوية التي رُبطت في الإيمان تعد في أعلى مستوى.

من ثمار صلة الرحم:

1 . سعة الرزق:

أيها الأخوة، الثمرة الثانية من ثمار صلة الرحم: سعة الرزق.

دقوا أيها الأخوة: كل إنسان بحكم حياته وعلاقاته يصل إلى سمعه قصص كثيرة، أعرف أشخاصاً كثيرين على أعلى درجة من صلة الأرحام، والله رزقهم متميز، أعرف شخصاً و أنا على اتصال متين به، له أخوات عدة، يتفقد أخواته على المدارس، يقدم مساعدة لهذه الأخت، الثانية تحتاج إلى عملية قلب يساعدها على

حسابه، الثالثة زوجها مسافر يتولى شؤونها، هذا الإنسان يتفقد جميع أخواته البنات و المتزوجات، وكان بإمكانه أن يقول: هذا شأن أزواجكن، وله رزق كبير جداً.

((يا بن آدم، أنفقْ أُنفِقْ عليك))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة]

((أنفق بلالُ ولا تخش من ذي العرش إقلالاً))

[أخرجه الطبراني عن بلال رضي الله عنه]

لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه))

[الشيخان عن أنس]

هذا كلام النبي.

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾

(سورة النجم)

وسيدنا سعد بن أبي وقاص يقول: " ثلاثة أنا فيهن رجل، وفيما سوى ذلك أنا واحد من الناس، ما سمعت حديثاً من رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا علمته أنه حق من الله تعالى ".

النبي الكريم يعدكم إن وصلتم أرحامكم بزيادة الرزق، ثمرة كبيرة.

2 . طول العمر:

لكن الثانية: بطول العمر عليها إشكال بالتفسير، بربكم إذا رجل من كبير علماء الجزائر "عبد الحميد بن باديس" هذا عاش خمس و أربعين سنة، استطاع أن يوضح الحقائق، وأن يعطي الشعب الجزائري بعده الديني، وأن يقف أمام فرنسا، هو أحد أسباب الاستقلال، كم سنة عاش؟ عاش خمس و أربعين سنة.

الإمام النووي عاش أقل من خمسين سنة، الشافعي أقل من خمسين سنة، فالعمر قيمته بمدته الزمنية أم بإنجازاته الكبيرة ؟.

أوضح مثل: إنسان فتح محله التجاري باع بساعة مليون ليرة، و آخر فتح محله النهار بكامله باع بمئة ليرة، الوقت له قيمة، نقول: قيمة الوقت بمضمونه، فالساعة مع مليون أفضل ألف مرة من عشر ساعات مع مئة ليرة.

فالعبرة عمرك يزداد غنىً في العمل الصالح.

لذلك اعتقد يقيناً أن الغنى غنى العمل الصالح، وأن الفقر فقر العمل الصالح، وأن ابنتي سيدنا شعيب حينما سقى لهما سيدنا موسى قال:

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾

(سورة القصص)

إذاً العمر يطول بالعمل الصالح.

طول العمر يكون بغنى المضمون لا بامتداد الزمن:

نحن نعتقد يقيناً أن كل واحد منا له أجل لا يتقدم ساعة ولا يتأخر، ولكن كيف نفسر قول النبي الكريم:

((من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ . يؤخر . له في أثره . أي في عمره . فليصل رحمه))

[الشيخان عن أنس]

نقول: طول العمر بغنى المضمون، لا بامتداد الزمن، والله أحد الأخوة الكرام حدثني مرة فقال: اتصلت بي أختي، و قالت: أنا مضطرة لخمسة آلاف ليرة، أقسم لي بالله لا يملك إلا خمسة آلاف ليرة، وعليه أعباء كثيرة جداً، دخل في صراع، قال لها: بعد ساعة أعطيك الجواب، فكر، جمع، طرح، قسم، مضطر للخمسة آلاف جداً، وأخته غالية عليه وطلبت خمسة آلاف لأمر قاهر، بعد الصراع الذي دخل فيه انتصر على نفسه واتصل بها وسلمها الخمسة آلاف ليرة، قال لي: نزلت إلى المحل، جاءه إنسان من بلد عربي، هو عمله بسوق الغذائيات، قال له: عندك قمر

الدين ؟ قال له: لا والله، قال له: دلني أين يوجد قمر الدين ؟ اتصل بمعمل، قال له: هناك شخص يريد قمر الدين سأبعثه لك، قال لي: مساءً بُعث لي ظرف فيه عشرة آلاف ليرة، أي يبدو أن الشخص الذي أرسلته له قد اشترى كمية كبيرة، فأحب البائع أن يكرم هذا الذي ساق له هذا الإنسان، قال لي: مساء كانوا الخمسة آلاف معي، وخائف عليهم، وقد صاروا عشرة.

أبداً، حينما تصل رحمك انتظر من الله كرماً، الإكرام المادي.

من أنفق على أرحامه زاد الله في رزقه:

أخواننا الكرام، نحن عندنا مشكلة، أحياناً نقرأ الحديث، لكن قد لا نأخذ نصوصه الدقيقة على محمل الجد، أنت حينما تنفق على أرحامك فالله سبحانه وتعالى يزيد لك في رزقك.

أخ آخر له صديق، يعمل يومياً بعمل يدوي بالبيع، فأصيب بانزلاق في أحد فقرات عموده الفقري، فالطبيب أمره أن يستلقي على الفراش شهراً، قال لي: قدمت له مصروفه . القصة قديمة من عشر سنوات . قدم له عشرة آلاف، لم يتحسن قال له الطبيب: تريد شهراً آخر، قال لي: قدمت له عشرة آلاف ثانية، القصة غريبة جداً، هو يتعامل مع شركات أجنبية بحسب القانون يجب أن يصرف العملة الأجنبية في المصارف السورية، قال لي: وقفت بصف طويل وصلت إلى النافذة، جاء هاتف أن أعطوه سعر الدول المجاورة، و هو أول شخص يستفيد من هذا العطاء، قال لي: ربحت أربعين ألفاً زيادة، بعدما قبضت المبلغ جاء هاتف ثان أن أوقفوا العمل، قال لي: والله قصة تكاد لا تصدق، صف طويل وصلت للنافذة جاء هاتف أن أعطوه سعر الدول المجاورة، فصرفوا لي هذا المبلغ بالعملة الصعبة بسعر الدول المجاورة، قال لي: الزيادة عما أستحق بالسعر المألوف أربعين ألفاً، بعدما أدرت ظهري قالت له الموظفة: لم ينتفع غيرك، أنت لوحدك، جاء هاتف آخر عودوا إلى ما كنتم عليه.

الله يريك أنك إذا دفعت لشخص عشرين ألفاً، وأنت لست ميسوراً، وأنت في ضائقة، لكن يوجد إنسان بقي بلا طعام، ولا شراب، أمنت له دخلاً . هو قريبه . أول شهر وثاني شهر.

قصص من هذا النوع لا تعد ولا تحصى، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسئ له في أجله فليصل رحمه))

[الشيخان عن أنس]

3 . تدفع عن الواصل ميتة السوء :

شيء آخر : أحد أكبر النتائج أن صلة الرحم تدفع عن الواصل ميتة السوء، أنا العبد الفقير لي مركز عمل، مرة في اتجاهي إلى مركز عملي، وجدت أمام قصر العدل جثة مغطاة بقماش، يبدو أنه مات في الطريق، فغطوه بقماش وهم بانتظار الطبيب الشرعي، ذهبت إلى مكتبي وجلست فيه أربع أو خمس ساعات أو ثمانية ساعات، وعدت من الطريق نفسه فإذا هذه الجثة كما هي، لم يأتِ الطبيب الشرعي بعد في الطريق، إنسان يموت ببيته، بين أولاده، بين أحبابه، غير ترتيب، في الطريق !.

لكن والله مرة كنت في تعزية لا أنسى هذا الموقف، كان إلى جانبي أحد علماء دمشق الكبار، جريء، مخلص، فخرج من التعزية، مشى متراً، شاب معه سيارة لا يعرف اسمه، لأنه من أهل العلم، وثيابه ثياب علم، قال له: استأذنا أوصلك إلى البيت ؟ قال له: بارك الله بك، إذا أردت، خرج من بيت التعزية بعد مترين أخذه هذا الأخ الكريم لا يعرف اسمه، لكن عرفه من هيئته، هيئته العلمية، أوصله إلى بيته، أنا أعرف بيته بالضبط، صعد أربعة طوابق، دخل إلى البيت، خلع الجبة واللفة، وتوجه لغرفة النوم، واضطجع وسلم روحه إلى باريها، هذا الإنسان لو لم يأت هذا الشاب، ويأخذه بعد متر من بيت التعزية، لمات في الطريق، أُخذ إلى البراد، انظر إلى ترتيب الله عز وجل، مات بفراشه الوقت محسوب بالدقائق، من بيت التعزية، إلى بيته، أربعة طوابق، فتح الباب دخل واستلقى على الفراش، وسلم روحه إلى بارئها، يقول لي ابنه: أنت آخر من كلمه، بعدما جلست معه لم يكلمه أحد.

صنائع المعروف تقي مصارع السوء :

إذاً: صلة الأرحام تقي ميتة السوء، إنسان يموت بين أهله، بين أولاده، بين بناته، معزز، مكرم، محتفى به، وإنسان يموت بالطريق.

إنسان ادعى النبوة بالهند أنه خاتم الأنبياء، لا تعني أنه آخر الأنبياء، تعني شيئاً آخر، فهو النبي، وكان هناك مرض أنفلونزا منتشر انتشاراً كبيراً، وقال: لأنه نبي لن يصاب بهذا المرض، أصيب بهذا المرض ومات بالمرحاض، قصة مشهورة، مات بالمرحاض.

لذلك العمل الصالح في حديث آخر :

((صنائع المعروف تقي مصارع السوء))

[أخرجه الطبراني عن أبي أمامة الباهلي]

طبعاً الدليل:

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾

(سورة الجاثية الآية: 21)

هذا كلام، أنا أخاطب الشباب الآن، أي لا يوجد آية تملأ قلب الشاب طمأنينة كهذه الآية،

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

في الدنيا جنة من لم يدخلها لن يدخل جنة الآخرة:

الآن:

﴿ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ ﴾

الحياة في الدنيا.

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾

(سورة الرحمن)

جنة في الدنيا، وجنة في الآخرة، بيته، زواجه، أولاده، سمعته، مكانته، أعماله الصالحة، أصله الطيب.

الآن:

﴿ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾

والله أعرف رجلاً محسناً كبيراً، كبير جداً وعاش للثمانية و الثمانين، أين مات ؟ مات ليلة القدر، وهو يقرأ القرآن، وقبل أشهر أحد العلماء في دمشق مات وهو في المسجد يؤدي صلاة الجمعة، مات في المسجد، تجد إنساناً يموت و هو ساجد، أو يصلي، أو بالمسجد، و آخر يموت بالمرحاض، مصارع السوء،

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾

﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

(سورة الجاثية)

4 . تعمر الديار و تثمر الأموال:

قال: هذه العبادة الاجتماعية، هذه الصلة . صلة الرحم . تعمر الديار، وتثمر الأموال، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((إن الله ليعمر بالقوم الديار، ويثمر لهم الأموال، قيل: وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال: بصلتهم أرحامهم))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس]

تعمر الديار وتثمر الأموال.

5 . تغفر الذنوب وتكفر الخطايا:

الآن هذه الصلة، وهذه العبادة الاجتماعية تغفر الذنوب وتكفر الخطايا:

((أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله أذنبت ذنباً كبيراً فهل لي من توبة ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألك والدان ؟ قال: لا، قال: ألك خالة ؟))

بالمناسبة الخالة أم، والعم أب، بجو المؤمنين الخالة كالأم، والعم كالأب.

((ألك والدان ؟ قال: لا، قال: ألك خالة ؟ نعم، قال: فبرها))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس]

أي الله عز وجل يكفر ذنبك بخدمة خالتك، ببرها يغفر ذنبك.

6 . تيسر الحساب وتدخل صاحبها الجنة:

من ثمار صلة الرحم، أن صلة الرحم تيسر الحساب وتدخل صاحبها الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال:

((ثلاث من كن فيه حاسبه الله حساباً يسيراً وأدخله الجنة برحمته. قال: ما هن يا رسول الله ؟ بأبي أنت وأمي. قال: تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك. قال: فإذا فعلت هذا يدخلك الله الجنة))

[أخرجه الطبراني عن أبي هريرة]

على الإنسان أن يشجع على هذه العبادة التعاملية الاجتماعية و يجعلها واقعاً:

لذلك أيها الأخوة، من الأحاديث التي تقصم الظهر:

((لا يَدْخُلُ الجنةَ قاطِع رحم))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود عن جبير بن مطعم]

أيها الأخوة، الاقتراح، بعد هذه الأحاديث التي تشجع على هذه العبادة التعاملية الاجتماعية، ماذا ينبغي أن نفعل ؟ إن كان للإنسان أولاد أخ، أو بنات أخت، و جمعهم كل أسبوع مرة، وألقى عليهم درساً لطيفاً محضراً جيداً، شرح آية، حديث، قصة عن الصحابة، هناك ود، هذا نوع من الصلة، أنت اعمل عملاً صالحاً هذا العمل الصالح مع أهلك، مع أقربائك، وليكن عملاً دعوياً بسيطاً، لا يوجد واحد منا إلا و يستطيع أن يهيئ حديثاً، أو حكماً فقهياً، أو قصة عن الصحابة، فإذا بلغهم، وكان لطيفاً معهم، وأكرمهم، صار في دعوة لله عز وجل.

النبي عليه الصلاة والسلام يقول: يا علي:

((فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ))

[متفق عليه عن سهل بن سعد]

هذه رواية.

الرواية الثانية:

((خير له مما طلعت عليه الشمس))

[أخرجه الطبراني عن أبي رافع]

الرواية الثالثة:

((خير لك من الدنيا وما فيها))

[تخريج أحاديث الإحياء للعراقي]

أنا دخلت الآن إلى التطبيقات العملية، هل يوجد إنسان ليس له أقرباء ؟ ليس له أخوة ؟ أخوات بنات وعندهم أطفال صغار ؟ أنت شاب، بالصف العاشر، أو الحادي عشر يمكن أن تهيئ درساً لنصف ساعة، آية سمعتها يوم الجمعة، حديثاً لطيفاً من كتاب رياض الصالحين، قصة عن صحابي سمعتها، تأثرت بها، أجمع أولاد أختي، أولاد أخي الصغار، أؤمن لهم ضيافة، وأكلات طيبة، و أكلمهم عن الله عز وجل، فأنت بهذه الطريقة تواصلت مع أختك، ومع أولادها، ومع بناتها، بهذه الطريقة تكون قد ترجمت هذه العبادة الاجتماعية وجعلتها واقعاً.

7 . ترفع الواصل إلى الدرجات العلا يوم القيامة:

ومن ثمار هذه العبادة الاجتماعية الراقية، قال: صلة الرحم ترفع الواصل إلى الدرجات العلا يوم القيامة، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات ؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: تحلم عن من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك))

[أخرجه البزار عن عبادة بن الصامت]

المعاملة بالمثل لا تدخل في حسابات المؤمن:

لكن لابدّ من توضيح دقيق جداً، التوضيح أساسه ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم:

((ليس الواصلُ بالمكافئ))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

زارك تزوره، قدم لك هدية تقدم له هدية، ما زارك لا تزوره، ما دعاك لا تدعوه، دعاك إلى وليمة تدعوه إلى وليمة، هذه المعاملة بالمثل ليس لها علاقة بدرسنا إطلاقاً، كل إنسان يعملها، المعاملة بالمثل.

((ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكن الواصلُ مَنْ إذا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

الشيء الدقيق جداً أن المعاملة بالمثل لا تدخل في حسابات المؤمن، أي يصل من قطعه، ويعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه.

من دلائل الإخلاص أن تكون خشيتك لله في بيتك وأمام الناس واحدة لا تختلف:

لذلك هناك حديث دقيق جداً، يقول عليه الصلاة والسلام:

((أَمَرَنِي رَبِّي بِتِسْع ؛ خَشْيَةِ الله في السِّرِّ والعلانية))

[أخرجه زيادات رزين عن أبي هريرة]

أحد دلائل الإخلاص أن تكون خشيتك لله في بيتك وأمام الناس واحدة لا تختلف، أي عبادتك، استقامتك، ورعك لا يختلف بين أن تكون بين الناس، أو أن تكون في البيت وحدك، أي المؤمن خلوته كجلوته، وسره كعلانيته، وظاهره كباطنه.

((خَشْيَةِ الله في السِّرِ والعلانية))

وهذا من علامات الإخلاص، لا يوجد عنده ازدواجية، لا يوجد عنده موقف معلن وموقف حقيقي، لا يوجد عنده موقف للاستهلاك الخارجي وحقيقة أخرى، لا يوجد عنده شخصيتين، ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً.

((خَشْيَةِ الله في السِّرِ والعلانية))

بل إن بعض العلماء قال: من علامات الإخلاص ألا يختلف عملك في سرك وجهرك، ولا إذا أثنى الناس عليك أو إذا ذموك سيان.

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً ﴾

(سورة الإنسان)

على الإنسان أن يكون موضوعياً في غضبه و رضاه:

الآن:

((وكلمة العدل في الغضب والرضا))

[أخرجه زيادات رزين عن أبي هريرة]

النبي الكريم كان يستعرض عقب موقعة بدر الأسرى، فإذا صهره بين الأسرى زوج ابنته أبو العاص، جاء يحاربه، قال: والله ما ذممناه صهراً، كان صهراً ممتازاً.

((وكلمة العدل في الغضب والرضا))

أي إنسان يخطب، يمدحونه لدرجة غير معقولة، أي لا يوجد بالشام مثله، الزواج يفسخ، يصبح يقع بالساعة، عنده أمراض نفسية، مديح

الناس بالرضا غير معقول، وذمهم بالغضب غير معقول، أما أن تكون موضوعياً، والموضوعية قيمة علمية، وقيمة أخلاقية، بل إن العلم والخلق بقيمة الموضوعية.

((وكلمة العدل في الغضب والرضا))

وأنت غاضب تقول كلمة الحق، وأنت راضٍ تقول كلمة الحق.

((القصد . أن تقصد الله . في الفقر والغنى))

الإنسان من طبيعته البشرية إذا كان ببحبوحة ليس له علاقة بالدين، حينما تأتي الشدة يذهب إلى المسجد. حدثني أخ، قال لي: والله باستنبول، أحياناً الظهر هناك صف واحد من المصلين فقط، عقب الزلزال، الحرم كله ممتلئ، والصحن ممتلئ، والصلاة على الرصيف، وبالطريق، بعد الزلزال طبعاً.

((والقصد في الفقر والغنى))

على المؤمن أن يغفر لمن أساء إليه:

البطولة:

((وأن أَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي))

قطعك، تصله، لم يأت لزيارتك تزره، لا يدعُك إلى عقد قران ابنه، تدعه أنت إلى عقد قران ابنك، قطعك فوصلته.

((وأن أَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي))

تحتاج إلى إدراك واسع جداً، وإلى نفس عالية جداً، أما المعاملة بالمثل لا فضل لك بها إطلاقاً. العالم كله الآن يقول لك: المعاملة بالمثل، ليس لك فيها فضل أبداً، أما:

((أَمَرَنِي رَبِّي بِتِسْع: خَشْيَةِ الله في السِّرِّ والعلانية، وكلمة العدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، وأن أَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي، وأعطي مَنْ حَرَمَنِي، وأعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي))

تصور النبي الكريم فتح مكة، عشرة آلاف سيف متوهجة، تنتظر كلمة من شفتيه، وبإمكانه أن ينهي وجودهم، حاربوه عشرين عاماً، نكلوا بأصحابه، أخرجوه، قتلوا أصحابه، حاربوه في بدر، وأُحد، والخندق، فلما فتح مكة، قال:

((قال: ما تظنوني أني فاعل بكم ؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء))

[السيرة النبوية]

((وأعطي مَنْ حَرَمَنِي، وأعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي))

أحياناً أخ كبير يستولي على الإرث كله، يبقي أخوته بفقر شديد، أحياناً الله عز وجل يكرم أحد هؤلاء المحرومين فيجعله غنياً كبيراً، المؤمن يصل أخاه الذي حرمه.

((وأعطي مَنْ حَرَمَنِي))

أما الثلاثة الثالثات:

((وأن يكون صَمْتي فِكْرا، ونُطْقِي ذِكْرا، ونظري عبرة))

حديث رائع جداً.

((أَمَرَنِي رَبِّي بِتِسْع: خَشْيَةِ الله في السِّرِّ والعلانية، وكلمة العدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، وأن أَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي، وأعطي مَنْ حَرَمَنِي، وأعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي، وأن يكون صَمْتي فِكْرا، ونُطْقِي ذِكْرا، ونظري عبرة))

[أخرجه زيادات رزين عن أبي هريرة]

درء المفاسد مقدم على جلب المنافع:

لكن هناك تحفظاً واحداً على صلة الأرحام، طبعاً له خالة، وبنات خالاته، أو بنات خالته متفلتات، غير منضبطات، فذهب ليزور خالته، وجلس مع بنات خالته، وثيابهم فاضحة، وحدثهم، وضحكوا، أعجبته صلة الرحم، نقول له: دع خيراً عليه الشر يربو، نقول له: درء المفاسد مقدم على جلب المنافع، مثل هذه الصلة لا تجوز، لأن بنات خالتك أجنبيات، بنات عمك أجنبيات، فإذا كان هناك صلة معها اختلاط، معها إطلاق بصر، معها بداية شيء لا يرضي الله، دع خيراً عليه الشر يربو، درء المفاسد مقدم على جلب المنافع، هذا التحفظ لا بدّ منه، ماذا أفعل ؟ نمر على البيت، الخالة هنا ؟ أنا مستعجل يلزم أي خدمة ؟ أعمل اتصالاً هاتفياً، يلزم أي خدمة أنا جاهز، يمكن أن تزورها سريعاً دون أن تدخل إلى البيت، إذاً ينبغي أن تصل رحمك بطريقة لا تقع بمعصية لله عز وجل، هذا التحفظ لابدّ منه.

مرة ثانية: دع خيراً عليه الشر يربو، درء المفاسد مقدم على جلب المنافع.

والحمد لله رب العالمين

الخاتمة : سعادة الإنسان بصلة الرحم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع:

أعزائي المشاهدين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أرحب بكم أجمل ترحيب في حلقة جديدة من برنامجكم:" عطر السنة "، نستنشق فيه عبير النبوة الفواح من فم أستاذنا الكريم الدكتور محمد راتب النابلسي ، مرحباً بكم أستاذنا عطرت البرنامج .

الدكتور راتب :

بارك الله بكم ونفع بكم .

المذيع:

أعزائي المشاهدين حديثنا اليوم عن عبير كريم من فم النبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث عظيم عن صلة الرحم :

((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

حياكم الله أستاذنا ، النبي صلى الله عليه وسلم عظم من شأن صلة الرحم فجاء بهذا الحديث الكريم :

((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

ما معنى أن ينسأ له في عمره ؟

العمل الصالح علة وجود الإنسان في الحياة الدنيا :

الدكتور راتب :

الحقيقة أن العمر يقيّم بحجم العمل الصالح ، لأن حجم الإنسان عند الله بحجم عمله الصالح ، لو أن إنساناً فتح دكانه ، وباع خلال ساعة بمليون ليرة ، إنسان آخر فتح عشر ساعات وباع بمئة ليرة ، الزمن لا قيمة له إطلاقاً ، العمر قيمته بمضمونه ، قيمته بالعمل الصالح الذي يحتويه ، والإنسان علة وجوده في الدنيا العمل الصالح الذي ثمنه الجنة :

﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[سورة النحل : 32]

فبين أن يظن الإنسان أنه جاء إلى الحياة ليعمل أو لا ليعمل ، وبين أن يأتي إلى الدنيا وهو يعلم علم اليقين أن علة وجوده في الدنيا العمل الصالح ، والدليل :

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾

[سورة المؤمنون: 99-100]

فهذا المعنى حينما يفهم الإنسان سرّ وجوده ينطلق إلى العمل الصالح كل يوم ، في صلاة الفجر بالدعاء :

اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك .

المذيع:

هناك من يبرر صلة الرحم على أنها مبنية على المصلحة التي أخذها الإنسان من أرحامه ولكن بالمعنى الإسلامي ليس الحديث هنا عن المصالح بل الحديث عن المبادئ .

بناء صلة الرحم على الإنسانيّة لا على العنصريّة :

الدكتور راتب : أولاً الآية تقول :

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

[سورة النساء: 21]

أي أقدس عقد في الحياة عقد الزواج ، عقد مقدس ، وهذا العقد من لوازمه أن نصل كل من ينتمي إلى أطرافه ، أطراف العقد الأب والأم ، حتى قيل لك : الآباء ثلاثة ، أب أنجبك، وأب زوجك ، وأب دلك على الله ، فالإنسان حينما يتعامل مع أهل زوجته على أنهم أهله تكون العلاقة طيبة ، فالإنسان إما أن يكون إنسانياً أو أن يكون عنصرياً ، حينما يمضي سهرة بأكملها يسخر من أم زوجته ، فإن تكلمت امرأته كلمة عن أمه أقام عليها الدنيا ، هو عنصري ، العنصرية بالإنسان صفة قبيحة جداً ، فإما أن يكون إنسانياً يرى لغيره ما له ، ويرى عليه ما على غيره ، فإذا توهم أن له ما ليس لغيره ، وأن على غيره ما ليس عليه ، مادام هناك عنصرية في الأرض الحروب لا تقف ، والنزاعات لا تقف .

المذيع:

أستاذنا الكريم ما هي الرحم ؟

التعريف بصلة الرحم :

الدكتور راتب :

والله أنا أفهم هذه الآية مطلق الأقارب من دون تحديد من طرف الأب أو الأم .

المذيع:

طبعاً هناك أشياء واجبة ، مستحبة ، ما المطلوب منا تجاه أرحامنا ؟

تمتين العلاقة الإنسانية تجاه أرحامنا :

الدكتور راتب :

لعلي أفهم أن المراد الإلهي إذا كان الأول غنياً والثاني فقيراً فتعني صلة الرحم أن يعطي الغني للفقير إن كان الأول عالماً والثاني في طريق العلم أن يعطيه من علمه ، إما من علمه ، أو من ماله ، أو من مودته ، هذه الصلة بين أطراف الرحم ، بين أصدقاء الأم أو الأب، هذه الصلة تمتن العلاقة الإنسانية ،

هناك دوائر كلما أخذنا بهذا الأمر الإلهي والنبوي في آن واحد تتسع دوائر الحق ، وكلما ابتعدنا عن هذا الأمر تضيق دوائر الحق وتتسع دوائر الباطل .

المذيع:

أستاذنا الكريم النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

هذه الرغبات فطرية سعة الرزق وطول العمر ؟

حرص الإنسان على سلامته و سعادته :

الدكتور راتب :

ما من إنسان إلا ويتمنى أن يعيش عمراً مديداً ، لأن في الأرض الآن سبعة مليارات ومئتي مليون ، ما منهم واحد إلا وهو حريص لا حدود له على سلامته ، وعلى كمال وجوده ، وعلى استمرار وجوده ، فالسلامة بالاستقامة والسعادة بالعمل الصالح :

﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾

[سورة فاطر: 10]

وأما استمرار وجوده فبتربية أولاده ، الإنسان إذا ربى أولاده ، وربى من حول أولاده أولاد أخوته ، أولاد أخواته، أحفاده ، هذه الأسرة بشطريها الأم والأب ، وبأطرافها الأولاد والبنات والأصهار والكنائن ، هذا الجمع الغفير من هذه الشجرة الطيبة ، هذه مأمورة بأكملها بالتواصل ، والتواصل درجات ، قد يبدأ التواصل باتصال هاتفي ، وقد يتبعه زيارة ،

وقد يتبع هذه الزيارة تفقد الأحوال ، إنسان زار أخته ، كيف حال أولادك ؟ كيف دراستهم ؟ كيف منهجهم بالجامعة ؟ أي فرع اختاروا ؟ كيف حال ابنك الذي يعمل في المتجر ؟ هل دخله كاف ؟ ما وضع زواجه ؟

الحقيقة أن المقصود من هذه الزيارة ، نحن قد نفهمها أحياناً أنك أنت تطرق بابه بالعيد لم تجده تضع له بطاقة ، هذا فهم سقيم جداً ، وضعيف جداً ، أن تحرص على ألا تجلس معه .

المذيع:

أستاذنا الكريم يقال : صلة الرحم روح وليست علاقة جوفاء ، يقودنا هذا لاشك إلى أن الأرحام ليست على درجة واحدة من الحقوق ، والإنسان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((إنكم لن تَسَعوا الناس بأموالكم، فليسعهم منكم بَسْط الوجه وحسنُ الخلق))

[أبو يعلى وابن أبي شيبة عن أبي هريرة]

فلا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل للأرحام حقوقاً وهم ليسوا سواء في حقوق لقربهم أو بعدهم عن الإنسان ، ما هو أوجب شيء في صلة الرحم؟

على الإنسان أن يصنع المعروف مع أهله و مع غير أهله :

الدكتور راتب :

أنا أذكر هذه القاعدة : اصنع المعروف إلى من هو أهله ، وإلى غير أهله ، فإن أصبت أهله ، أصبت أهله ، وإن لم تصب أهله ، كنت أنت أهله .

أنا ينبغي أن أفعل الخير مع من يستحق ومع من لا يستحق ، الذي لا يستحق قد يتألم في أعماقه كيف واجهني بهذه الجفاء عندما

وصلته؟

لكن لعله في المرة الثانية يكن في وضع أفضل ، فالحقيقة مرة إنسان دخل في الجامعة ولم ينجح فترك الدراسة ، جالس رأى نملة صعدت على حائط إلى مسافة متر ثم وقعت أعادت المحاولة عدّ المحاولات فكانت ثلاثاً وأربعين محاولة ، فاستحيا من النملة وتابع الدراسة .

المذيع:

أستاذنا الكريم في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أو هناك أحاديث كثيرة عن صلة الرحم منها هذا الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

((ليس الواصلُ بالمكافئ ....))

[البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

ما معنى هذا الحديث ؟

أكبر نشاطات الإنسان أن يتصل بأرحامه :

الدكتور راتب :

زارك في العيد ترد له الزيارة ، هذه المكافأة ، لكن من هو صاحب الفضل الكبير ؟ من إذا قطعه أقرباؤه فوصلهم ، أن تصل من قطعك ، وأن تعطي من حرمك ، وأن تعفو عمن ظلمك .

((أَمَرَنِي رَبِّي بِتِسْع : خَشْيَةِ الله في السِّرّ والعلانية ، وكلمة العدل في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، وأن أَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي ، وأعطي مَنْ حَرَمَنِي ، وأعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي ، وأن يكون صَمْتي فِكْرا ، ونُطْقِي ذِكْرا ، ونظري عبرة))

[زيادات رزين عن أبي هريرة]

الحقيقة أحد أكبر نشاطات الإنسان أن يتصل بأرحامه بشتى أنواع الاتصالات ، أقلها اتصال هاتفي بعدها زيارة ، بعدها تفقد ، بعدها مساعدة ، قد تكون علمية ، وقد تكون مادية ، وقد تكون اجتماعية .

المذيع:

أستاذنا لا شك أن صلة الرحم تبدأ بالمودة القلبية والمحبة الداخلية لهذه الأرحام، هناك كثير من الناس من يظن أن صلة الأرحام فقط مجرد زيارات أو تفقدات وقد يكون القلب جافياً ؟

الود هو التعبير المادي عن الحب :

الدكتور راتب :

أنا أعتقد يقيناً أن المودة بين الأقرباء من خلق الله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً ﴾

[سورة مريم: 96]

والحقيقة الود هو التعبير المادي عن الحب ، في الداخل يوجد حب ، الحب ينعكس زيارة ، ينعكس هدية تقدم ، ينعكس ابتسامة ، ينعكس سلاماً حاراً ، فكل المظاهر المادية هي ود، أما هذا الود فينطوي على الحب ، لكن الحب كيف يكون ؟ يكون الحب حينما تتشابه السمات والصفات ، كلما كثر تشابهها الحب ازداد .

خاتمة و توديع :

المذيع:

نسأل الله أن يجعل لنا ولكم وداً في قلوب المؤمنين ، جزاك الله خيراً أستاذنا ، بارك الله فيكم ، نشكركم على هذا العبير الكريم ، نسأل الله أن ينفعنا ، وأنتم أعزائي المشاهدين كذلك أشكركم على حسن المتابعة ، ألقاكم في حلقة قادمة ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

الفصل الاول : تمهيد 1

الدرس (1-2) : مقدمة عامة 2

الدرس (2-2) : التعاون الاجتماعي في الإسلام 10

الفصل الثاني : مفاهيم عامة لصلة الرحم 22

الدرس (1-5) : مفاهيم صلة الرحم 23

الدرس (2-5) : حقيقة صلة الرحم 35

الدرس (3-5) : نتائج قطع الأرحام 48

الدرس (4-5) : صلة الرحم و أهميتها 66

الدرس (5-5) : المفهوم الواسع لصلة الرحم 74

الفصل الثالث : تعريف الأرحام 91

الدرس (1-3) : من هم الأرحام 92

الدرس (2-3) : الوصول إلى صلة الرحم 101

الدرس (3-3) : معنى الرحم وبيان حكمها 112

الفصل الرابع : العبادات و صلة الرحم 122

الدرس (1-4) : صلة الرحم من أبرز العبادات التعاملية 123

الدرس (2-4) : صلة الرحم من أهم الطاعات 134

الدرس (3-4) : صلة الرحم و الإساءة 141

الدرس (4-4) : صلة الرحم سبب لزيادة الرزق 148

الفصل الخامس : صلة الرحم و المناسسبات الدينية 161

الدرس (1-3) : صلة الرحم في رمضان 162

الدرس (2-3) : صلة الرحم في العيد 170

الدرس (3-3) : درجات صلة الرحم في العيد 178

الفصل السادس : صلة الرحم في تربية الأولاد 186

الدرس (1-3) : تعريف الأبناء بحقوق الأرحام 187

الدرس (2-3) : القدوة 203

الدرس (3-3) : ثمار صلة الرحم 216

الخاتمة : سعادة الإنسان بصلة الرحم 230